سلسلة تفسير القرآن
17

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء التّاسع

ندقيق
أسعد جمعة

دار كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
2024

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع

أبو القاسم الزّمخشري

الكشّاف عن حقائق غوامض التّنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التّأويل

الجزء التّاسع

سورة الرعد

سُورَةُ الرَّعْدِ

[مَدَنِيَّةٌ، وَقِيلَ] مُخْتَلَفٌ فِيهَا
وَهِيَ ثَلَاثٌ وَأَرْبَعُونَ آيَةً
[نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ مُحَمَّدٍ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ
وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾[1]

تِلْكَ: إِشَارَةٌ إِلَى آيَاتِ السُّورَةِ، وَالْمُرَادُ بِالْكِتَابِ: السُّورَةُ، أَيْ: تِلْكَ الْآيَاتُ آيَاتُ السُّورَةِ الْكَامِلَةِ الْعَجِيبَةِ فِي بَابِهَا.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾[2]، مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ، هُوَ: ﴿الْحَقُّ﴾[3]: الَّذِي لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ، لَا هَذِهِ السُّورَةُ وَحْدَهَا.

وَفِي أُسْلُوبِ هَذَا الْكَلَامِ قَوْلُ الْأَنْمَارِيَّةِ: هُمْ كَالْحَلْقَةِ الْمُفَرَّغَةِ، لَا يُدْرَى أَيْنَ طَرَفَاهَا؟ تُرِيدُ الْكَمَلَةَ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ
وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ
لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا
وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

﴿اللَّهُ﴾[2]: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿الَّذِي﴾[3]: خَبَرُهُ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ﴾[4]، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً.

وَقَوْلُهُ: ﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ﴾[5]: خَبَرٌ بَعْدَ خَبَرٍ، وَيَنْصُرُهُ مَا تُقَدِّمُهُ مِنْ ذِكْرِ الْآيَاتِ.

﴿رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾[6]: كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ اسْتِشْهَادٌ بِرُؤْيَتِهِمْ لَهَا كَذَلِكَ، وَقِيلَ: هِيَ صِفَةٌ لِ ﴿عَمَدٍ﴾[7]، وَيُعَضِّدُهُ قِرَاءَةُ أُبَيٍّ: "تَرَوْنَهُ".

وَقُرِئَ: "عُمُدٍ" بِضَمَّتَيْنِ.

﴿يُدَبِّرُ الأَمْرَ﴾[8]: يُدَبِّرُ أَمْرَ مَلَكُوتِهِ وَرُبُوبِيَّتِهِ.

﴿يُفَصِّلُ﴾[9]: آيَاتُهُ فِي كُتُبِهِ الْمُنَزَّلَةِ.

﴿لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾[10]: بِالْجَزَاءِ وَبِأَنَّ هَذَا الْمُدَبَّرَ وَالْمُفَصَّلَ لَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ الرُّجُوعِ إِلَيْهِ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[8] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[9] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[10] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "نُدَبِّرُ": بِالنُّونِ.

﴿جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ﴾[1]: خَلَقَ فِيهَا مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الثَّمَرَاتِ زَوْجَيْنِ زَوْجَيْنِ حِينَ مَدَّهَا، ثُمَّ تَكَاثَرَتْ بَعْدَ ذَلِكَ وَتَنَوَّعَتْ.

وَقِيلَ: أَرَادَ بِالزَّوْجَيْنِ: الْأَسْوَدَ وَالْأَبْيَضَ، وَالْحُلْوَ وَالْحَامِضَ، وَالصَّغِيرَ وَالْكَبِيرَ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِنَ الْأَصْنَافِ الْمُخْتَلِفَةِ.

﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ﴾[2]: يُلْبِسُهُ مَكَانَهُ، فَيَصِيرُ أَسْوَدَ مُظْلِمًا بَعْدَ مَا كَانَ أَبْيَضَ مُنِيرًا.

وَقُرِئَ: "يُغَشِّي" بِالتَّشْدِيدِ.

﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[3]

﴿قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ﴾[4]: بِقَاعٌ مُخْتَلِفَةٌ، مَعَ كَوْنِهَا مُتَجَاوِرَةً مُتَلَاصِقَةً، طَيِّبَةٌ إِلَى سَبْخَةٍ، وَكَرِيمَةٌ إِلَى زَهِيدَةٍ، وَصُلْبَةٌ إِلَى رِخْوَةٍ، وَصَالِحَةٌ لِلزَّرْعِ لَا لِلشَّجَرِ إِلَى أُخْرَى عَلَى عَكْسِهَا، مَعَ انْتِظَامِهَا جَمِيعًا فِي جِنْسِ الْأَرْضِيَّةِ، وَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى قَادِرٍ مُرِيدٍ، مُوقِعٍ لِأَفْعَالِهِ عَلَى وَجْهٍ دُونَ وَجْهٍ، وَكَذَلِكَ الزُّرُوعُ وَالْكُرُومُ وَالنَّخِيلُ النَّابِتَةُ فِي هَذِهِ الْقِطَعِ، مُخْتَلِفَةُ الْأَجْنَاسِ وَالْأَنْوَاعِ، وَهِيَ تُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ، وَتَرَاهَا مُتَغَايِرَةَ الثَّمَرِ فِي الْأَشْكَالِ وَالْأَلْوَانِ وَالطُّعُومِ وَالرَّوَائِحِ، مُتَفَاضِلَةً فِيهَا.

وَفِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ: "قِطَعًا مُتَجَاوِرَاتٍ" عَلَى: وَجَعَلَ.

وَقُرِئَ: "وَجَنَّاتٍ": بِالنَّصْبِ لِلْعَطْفِ عَلَى زَوْجَيْنِ، أَوْ بِالْجَرِّ عَلَى كُلِّ الثَّمَرَاتِ.

وَقُرِئَ: "وَزَرْعٍ وَنَخِيلٍ"، بِالْجَرِّ عَطْفًا عَلَى أَعْنَابٍ أَوْ جَنَّاتٍ، وَالصِّنْوَانُ: جَمْعُ صِنْوٍ، وَهِيَ النَّخْلَةُ لَهَا رَأْسَانِ، وَأَصْلُهَا وَاحِدٌ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَقُرِئَ بِالضَّمِّ، وَالْكَسْرُ: لُغَةُ أَهْلِ الْحِجَازِ، وَالضَّمُّ: لُغَةُ بَنِي تَمِيمٍ وَقَيْسٍ، "تُسْقَى" بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، "وَنُفَضِّلُ" بِالنُّونِ، وَبِالْيَاءِ: عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ وَالْمَفْعُولِ جَمِيعًا، "فِي الْأُكُلِ" بِضَمِّ الْكَافِ وَسُكُونِهَا.

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾[1]

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ﴾[2]: يَا مُحَمَّدُ مِنْ قَوْلِهِمْ فِي إِنْكَارِ الْبَعْثِ، فَقَوْلُهُمْ عَجِيبٌ حَقِيقٌ بِأَنْ يُتَعَجَّبَ مِنْهُ، لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَى إِنْشَاءِ مَا عَدَّدَ عَلَيْكَ مِنَ الْفِطَرِ الْعَظِيمَةِ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ، كَانَتِ الْإِعَادَةُ أَهْوَنَ شَيْءٍ عَلَيْهِ وَأَيْسَرَهُ، فَكَانَ إِنْكَارُهُمْ أُعْجُوبَةً مِنَ الْأَعَاجِيبِ.

﴿أَإِذَا كُنَّا﴾[3]: إِلَى آخِرِ قَوْلِهِمْ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَحَلِّ الرَّفْعِ بَدَلًا مِنْ قَوْلِهِمْ، وَأَنْ يَكُونَ مَنْصُوبًا بِالْقَوْلِ، وَإِذَا نَصْبٌ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: ﴿أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ، أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾[4]: أُولَئِكَ الْكَامِلُونَ الْمُتَمَادُونَ فِي كُفْرِهِمْ.

﴿وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ﴾[5]: وَصْفٌ بِالْإِصْرَارِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا﴾[6]، وَنَحْوُهُ:

.....لَهُمْ عَنِ الرُّشْدِ أَغْلَالٌ وَأَقْيَادُ

أَوْ هُوَ مِنْ جُمْلَةِ الْوَعِيدِ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1]

﴿بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ﴾[2]: بِالنِّقْمَةِ قَبْلَ الْعَافِيَةِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ بِالْإِمْهَالِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ يَأْتِيَهُمْ بِالْعَذَابِ اسْتِهْزَاءً مِنْهُمْ بِإِنْذَارِهِمْ.

﴿وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ﴾[3]، أَيْ: عُقُوبَاتُ أَمْثَالِهِمْ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ، فَمَا لَهُمْ لَمْ يَعْتَبِرُوا بِهَا فَلَا يَسْتَهْزِءُوا، وَالْمَثُلَةُ: الْعُقُوبَةُ، بِوَزْنِ السَّمُرَةِ، وَالْمَثُلَةُ لِمَا بَيْنَ الْعِقَابِ وَالْمُعَاقَبِ عَلَيْهِ مِنَ الْمُمَاثَلَةِ، "وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا"، وَيُقَالُ: أَمْثَلْتُ الرَّجُلَ مِنْ صَاحِبِهِ وَأَقْصَصْتُهُ مِنْهُ، وَالْمِثَالُ: الْقِصَاصُ.

وَقُرِئَ: "الْمُثُلَاتُ" بِضَمَّتَيْنِ لِإِتْبَاعِ الْفَاءِ الْعَيْنَ؛ وَ"الْمَثْلَاتُ"، بِفَتْحِ الْمِيمِ وَسُكُونِ الثَّاءِ، كَمَا يُقَالُ: السَّمْرَةُ؛ وَ"الْمُثْلَاتُ" بِضَمِّ الْمِيمِ وَسُكُونِ الثَّاءِ، تَخْفِيفَ "الْمُثُلَاتِ" بِضَمَّتَيْنِ؛ وَ"الْمُثُلَاتِ": جَمْعُ مُثْلَةٍ كَرُكْبَةٍ وَرُكُبَاتٍ.

﴿لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ﴾[4]، أَيْ: مَعَ ظُلْمِهِمْ أَنْفُسَهُمْ بِالذُّنُوبِ، وَمَحَلُّهُ الْحَالُ، بِمَعْنَى ظَالِمِينَ لِأَنْفُسِهِمْ.

وَفِيهِ أَوْجُهٌ:

– أَنْ يُرِيدَ السَّيِّئَاتِ الْمُكَفِّرَةَ لِمُجْتَنِبِ الْكَبَائِرِ؛

– أَوِ الْكَبَائِرَ بِشَرْطِ التَّوْبَةِ؛

– أَوْ يُرِيدُ بِالْمَغْفِرَةِ السِّتْرَ وَالْإِمْهَالَ.

وَرُوِيَ أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالَ النَّبِيُّ –عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ–: "لَوْلَا عَفْوُ اللَّهِ وَتَجَاوُزُهُ مَا هَنَأَ أَحَدٌ الْعَيْشَ، وَلَوْلَا وَعِيدُهُ وَعِقَابُهُ لَاتَّكَلَ كُلُّ أَحَدٍ".

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]

﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[2]: لَمْ يَعْتَدُّوا بِالْآيَاتِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عِنَادًا، فَاقْتَرَحُوا نَحْوَ آيَاتِ مُوسَى وَعِيسَى، مِنِ انْقِلَابِ الْعَصَا حَيَّةً، وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى؛ فَقِيلَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: إِنَّمَا أَنْتَ رَجُلٌ أُرْسِلْتَ مُنْذِرًا وَمُخَوِّفًا لَهُمْ مِنْ سُوءِ الْعَاقِبَةِ، وَنَاصِحًا كَغَيْرِكَ مِنَ الرُّسُلِ، وَمَا عَلَيْكَ إِلَّا الْإِتْيَانُ بِمَا يَصِحُّ بِهِ أَنَّكَ رَسُولٌ مُنْذِرٌ.

وَصِحَّةُ ذَلِكَ حَاصِلَةٌ بِأَيَّةِ آيَةٍ كَانَتْ، وَالْآيَاتُ كُلُّهَا سَوَاءٌ فِي حُصُولِ صِحَّةِ الدَّعْوَةِ بِهَا لَا تَفَاوُتَ بَيْنَهَا، وَالَّذِي عِنْدَهُ كُلُّ شَيْءٍ بِمِقْدَارٍ يُعْطِي كُلَّ نَبِيٍّ آيَةً عَلَى حَسَبِ مَا اقْتَضَاهُ عِلْمُهُ بِالْمَصَالِحِ وَتَقْدِيرِهِ لَهَا.

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[3]: مِنَ الْأَنْبِيَاءِ يَهْدِيهِمْ إِلَى الدِّينِ، وَيَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ بِوَجْهٍ مِنَ الْهِدَايَةِ، وَبِآيَةٍ خُصَّ بِهَا، وَلَمْ يَجْعَلِ الْأَنْبِيَاءَ شَرْعًا وَاحِدًا فِي آيَاتٍ مَخْصُوصَةٍ.

وَوَجْهٍ آخَرَ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّهُمْ يَجْحَدُونَ كَوْنَ مَا أُنْزِلَ عَلَيْكَ آيَاتٍ وَيُعَانِدُونَ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ ذَلِكَ، إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ، فَمَا عَلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُنْذِرَ لَا أَنْ تُثَبِّتَ الْإِيمَانَ فِي صُدُورِهِمْ، وَلَسْتَ بِقَادِرٍ عَلَيْهِ، وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ قَادِرٌ عَلَى هِدَايَتِهِمْ بِالْإِلْجَاءِ، وَهُوَ اللَّهُ –تَعَالَى–.

وَلَقَدْ دَلَّ بِمَا أَرْدَفَهُ مِنْ ذِكْرِ آيَاتِ عِلْمِهِ وَتَقْدِيرِهِ الْأَشْيَاءَ عَلَى قَضَايَا حِكْمَتِهِ أَنَّ إِعْطَاءَهُ كُلَّ مُنْذِرٍ آيَاتٍ خِلَافَ آيَاتِ غَيْرِهِ أَمْرٌ مُدَبَّرٌ بِالْعِلْمِ النَّافِذِ مُقَدَّرٌ بِالْحِكْمَةِ الرَّبَّانِيَّةِ، وَلَوْ عَلِمَ فِي إِجَابَتِهِمْ إِلَى مُقْتَرَحِهِمْ خَيْرًا وَمَصْلَحَةً، لَأَجَابَهُمْ إِلَيْهِ.

وَأَمَّا عَلَى الْوَجْهِ الثَّانِي: فَقَدْ دَلَّ بِهِ عَلَى أَنَّ مَنْ هَذِهِ قُدْرَتُهُ وَهَذَا عِلْمُهُ، هُوَ الْقَادِرُ وَحْدَهُ عَلَى هِدَايَتِهِمْ، الْعَالِمُ بِأَيِّ طَرِيقٍ يَهْدِيهِمْ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى ذَلِكَ لِغَيْرِهِ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾[1]

﴿اللَّهُ يَعْلَمُ﴾[2]: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا، وَأَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: هُوَ اللَّهُ، تَفْسِيرًا لِهَادٍ عَلَى الْوَجْهِ الْأَخِيرِ.

ثُمَّ ابْتُدِئَ، فَقِيلَ: ﴿يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى﴾[3]، وَ﴿مَا﴾[4] فِي ﴿مَا تَحْمِلُ﴾[5]، ﴿وَمَا تَغِيضُ﴾[6]، ﴿وَمَا تَزْدَادُ﴾[7] إِمَّا: مَوْصُولَةٌ، وَإِمَّا مَصْدَرِيَّةٌ.

فَإِنْ كَانَتْ مَوْصُولَةً، فَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُهُ مِنَ الْوَلَدِ عَلَى أَيِّ حَالٍ هُوَ، مِنْ ذُكُورَةٍ وَأُنُوثَةٍ، وَتَمَامٍ وَخَدَاجٍ، وَحُسْنٍ وَقُبْحٍ، وَطُولٍ وَقِصَرٍ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَحْوَالِ الْحَاضِرَةِ وَالْمُتَرَقَّبَةِ؛ وَيَعْلَمُ مَا تَغِيضُهُ الْأَرْحَامُ، أَيْ: تَنْقُصُهُ، يُقَالُ: غَاضَ الْمَاءُ وَغِضْتُهُ أَنَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَغِيضَ الْمَاءُ﴾[8]، وَمَا تَزْدَادُهُ، أَيْ: تَأْخُذُهُ زَائِدًا؛ تَقُولُ: أَخَذْتُ مِنْهُ حَقِّي، وَازْدَدْتُ مِنْهُ كَذَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾[9].

وَيُقَالُ: زِدْتُهُ فَزَادَ بِنَفْسِهِ وَازْدَادَ، وَمِمَّا تَنْقُصُهُ الرَّحِمُ وَتَزْدَادُهُ عَدَدُ الْوَلَدِ، فَإِنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَى وَاحِدٍ، وَقَدْ تَشْتَمِلُ عَلَى اثْنَيْنِ وَثَلَاثَةٍ وَأَرْبَعَةٍ.

وَيُرْوَى أَنْ شُرَيْكًا كَانَ رَابِعَ أَرْبَعَةٍ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، وَمِنْهُ جَسَدُ الْوَلَدِ، فَإِنَّهُ يَكُونُ تَامًّا وَمُخَدَّجًا؛ وَمِنْهُ مُدَّةُ وِلَادَتِهِ، فَإِنَّهَا تَكُونُ أَقَلَّ مِنْ تِسْعَةِ أَشْهُرٍ وَأَزْيَدَ عَلَيْهَا إِلَى سَنَتَيْنِ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ، وَإِلَى أَرْبَعٍ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، وَإِلَى خَمْسٍ عِنْدَ مَالِكٍ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[8] سورة هُودٌ، الآية 44.

[9] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَقِيلَ: إِنَّ الضَّحَّاكَ وُلِدَ لِسَنَتَيْنِ، وَهَرَمُ بْنُ حَيَّانَ بَقِيَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعَ سِنِينَ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ هَرَمًا، وَمِنْهُ الدَّمُ، فَإِنَّهُ يَقِلُّ وَيَكْثُرُ، وَإِنْ كَانَتْ مَصْدَرِيَّةً.

فَالْمَعْنَى: أَنَّهُ يَعْلَمُ حَمْلَ كُلِّ أُنْثَى، وَيَعْلَمُ غَيْضَ الْأَرْحَامِ وَازْدِيَادَهَا، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَمِنْ أَوْقَاتِهِ وَأَحْوَالِهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ غُيُوضَ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَزِيَادَتَهُ، فَأَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَى الْأَرْحَامِ، وَهُوَ لِمَا فِيهَا، عَلَى أَنَّ الْفِعْلَيْنِ غَيْرُ مُتَعَدِّيَيْنِ.

وَيُعَضِّدُهُ قَوْلُ الْحَسَنِ: الْغَيْضُوضَةُ أَنْ تَضَعَ لِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ أَوْ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ، وَالِازْدِيَادُ أَنْ تَزِيدَ عَلَى تِسْعَةِ أَشْهُرٍ؛ وَعَنْهُ الْغَيْضُ الَّذِي يَكُونُ سَقْطًا لِغَيْرِ تَمَامٍ، وَالِازْدِيَادُ مَا وُلِدَ لِتَمَامٍ.

﴿بِمِقْدَارٍ﴾[1]: بِقَدْرٍ وَاحِدٍ لَا يُجَاوِزُهُ وَلَا يَنْقُصُ عَنْهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[2].

﴿الْكَبِيرُ﴾[3]: الْعَظِيمُ الشَّأْنِ الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ دُونَهُ.

﴿الْمُتَعَالِ﴾[4]: الْمُسْتَعْلِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ بِقُدْرَتِهِ، أَوِ الَّذِي كَبُرَ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَتَعَالَى عَنْهَا.

﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾[5]

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الْقَمَرُ، الآية 49.

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿وَسَارِبٌ﴾[1]: ذَاهِبٌ فِي سَرَبِهِ بِالْفَتْحِ أَيْ: فِي طَرِيقِهِ وَوَجْهِهِ، يُقَالُ: سَرَبَ فِي الْأَرْضِ سُرُوبًا، وَالْمَعْنَى: سَوَاءٌ عِنْدَهُ مَنِ اسْتَخْفَي: أَيْ طَلَبَ الْخَفَاءَ فِي مُخْتَبَإٍ بِاللَّيْلِ: فِي ظُلْمَتِهِ، وَمَنْ يَضْطَرِبُ فِي الطُّرُقَاتِ ظَاهِرًا بِالنَّهَارِ يُبْصِرُهُ كُلُّ أَحَدٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَانَ حَقُّ الْعِبَارَةِ أَنْ يُقَالَ: وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ، وَمَنْ هُوَ سَارِبٌ بِالنَّهَارِ، حَتَّى يَتَنَاوَلَ مَعْنَى الِاسْتِوَاءِ الْمُسْتَخْفِيَ وَالسَّارِبَ، وَإِلَّا فَقَدَ تَنَاوَلَ وَاحِدًا هُوَ مُسْتَخْفٍ وَسَارِبٌ.

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

-أَحَدُهُمَا: أَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَسَارِبٌ﴾[2]: عَطْفٌ عَلَى ﴿مَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ﴾[3]، لَا عَلَى ﴿مُسْتَخْفٍ﴾[4].

-وَالثَّانِي: أَنَّهُ عُطِفَ عَلَى ﴿مُسْتَخْفٍ﴾[5]، إِلَّا أَنَّ ﴿مَنْ﴾[6] فِي مَعْنَى الِاثْنَيْنِ، كَقَوْلِهِ:

.....نَكُنْ مِثْلَ مَنْ يَا ذِئْبُ يَصْطَحِبَانِ

كَأَنَّهُ قِيلَ: سَوَاءٌ مِنْكُمُ اثْنَانِ: مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ، وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿لَهُ﴾: مَرْدُودٌ عَلَى ﴿مَنْ﴾[7]، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِمَنْ أَسَرَّ وَمَنْ جَهَرَ، وَمَنِ اسْتَخْفَي وَمَنْ سَرَبَ.

﴿مُعَقِّبَاتٌ﴾[8]: جَمَاعَاتٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ تَعْتَقِبُ فِي حِفْظِهِ وَكَلَاءَتِهِ، وَالْأَصْلُ: مُعْتَقِبَاتٌ، فَأُدْغِمَتِ التَّاءُ فِي الْقَافِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ﴾[9]، بِمَعْنَى: الْمُعْتَذِرُونَ.

وَيَجُوزُ "مُعِقِّبَاتٌ"، بِكَسْرِ الْعَيْنِ وَلَمْ يُقْرَأْ بِهِ، أَوْ هُوَ مُفَعِّلَاتٌ مَنْ عَقَبَهُ إِذَا جَاءَ عَلَى عَقِبِهِ، كَمَا يُقَالُ: قَفَاهُ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يَعْقُبُ بَعْضًا، أَوْ: لِأَنَّهُمْ يَعْقُبُونَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فَيَكْتُبُونَهُ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[8] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[9] سورة التَّوْبَةُ، الآية 90.

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[1]: هُمَا صِفَتَانِ جَمِيعًا، وَلَيْسَ ﴿مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾[2]: بِصِلَةٍ لِلْحِفْظِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، أَوْ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَجْلِ أَمْرِ اللَّهِ، أَيْ: مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَهُمْ بِحِفْظِهِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قِرَاءَةُ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ،-وَابْنِ عَبَّاسٍ، وَزَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ، وَجَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ، وَعِكْرِمَةَ: "يَحْفَظُونَهُ بِأَمْرِ اللَّهِ"، أَوْ يَحْفَظُونَهُ مِنْ بَأْسِ اللَّهِ وَنِقْمَتِهِ إِذَا أَذْنَبَ، بِدُعَائِهِمْ لَهُ وَمَسْأَلَتِهِمْ رَبَّهُمْ أَنْ يُمْهِلَهُ رَجَاءَ أَنْ يَتُوبَ وَيُنِيبَ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ﴾[3].

وَقِيلَ: الْمُعَقِّبَاتُ الْحَرَسُ وَالْجَلَاوِزَةُ حَوْلَ السُّلْطَانِ، يَحْفَظُونَهُ فِي تَوَهُّمِهِ وَتَقْدِيرِهِ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ، أَيْ: مِنْ قَضَايَاهُ وَنَوَازِلِهِ، أَوْ عَلَى التَّهَكُّمِ بِهِ.

وَقُرِئَ: "لَهُ مَعَاقِيبُ": جَمْعُ مُعَقِّبٍ أَوْ مُعَقِّبَةٍ، وَالْيَاءُ عِوَضٌ مِنْ حَذْفِ إِحْدَى الْقَافَيْنِ فِي التَّكْسِيرِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ﴾[4]: مِنَ الْعَافِيَةِ وَالنِّعْمَةِ.

﴿حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[5]: مِنَ الْحَالِ الْجَمِيلَةِ بِكَثْرَةِ الْمَعَاصِي.

﴿مِنْ وَالٍ﴾[6]: مِمَّنْ يَلِي أَمْرَهُمْ وَيَدْفَعُ عَنْهُمْ.

﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[7]

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الْأَنْبِيَاءُ، الآية 42.

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾[1]: لَا يَصِحُّ أَنْ يَكُونَا مَفْعُولًا لَهُمَا، لِأَنَّهُمَا لَيْسَا بِفِعْلِ فَاعِلِ الْفِعْلِ الْمُعَلَّلِ إِلَّا عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: إِرَادَةَ خَوْفٍ وَطَمَعٍ، أَوْ عَلَى مَعْنَى إِخَافَةٍ وَإِطْمَاعًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَا مُنْتَصِبَيْنِ عَلَى الْحَالِ مِنَ الْبَرْقِ، كَأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ خَوْفٌ وَطَمَعٌ، أَوْ عَلَى: ذَا خَوْفٍ وَذَا طَمَعٍ، أَوْ مِنَ الْمُخَاطَبِينَ، أَيْ: خَائِفِينَ وَطَامِعِينَ، وَمَعْنَى الْخَوْفِ وَالطَّمَعِ: أَنَّ وُقُوعَ الصَّوَاعِقِ يُخَافُ عِنْدَ لَمْعِ الْبَرْقِ، وَيَطْمَعُ فِي الْغَيْثِ.

قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ:

فَتًى كَالسَّحَابِ الْجُونِ تُخْشَى وَتُرْتَجَى... يُرْجَى الْحَيَاءُ مِنْهَا وَيَخْشَى الصَّوَاعِقَ

وَقِيلَ: يَخَافُ الْمَطَرَ مَنْ لَهُ فِيهِ ضَرَرٌ، كَالْمُسَافِرِ، وَمَنْ لَهُ فِي جَرِينِهِ التَّمْرُ وَالزَّبِيبُ، وَمَنْ لَهُ بَيْتٌ يَكُفُّ، وَمِنَ الْبِلَادِ مَا لَا يَنْتَفِعُ أَهْلُهُ بِالْمَطَرِ كَأَهْلِ مِصْرَ، وَيَطْمَعُ فِيهِ مَنْ لَهُ فِيهِ نَفْعٌ، وَيَحْيَا بِهِ، "السَّحَابُ": اسْمُ الْجِنْسِ، وَالْوَاحِدَةُ سَحَابَةٌ، وَ"الثِّقَالُ": جَمْعُ ثَقِيلَةٍ، لِأَنَّكَ تَقُولُ: سَحَابَةٌ ثَقِيلَةٌ، وَسَحَابٌ ثِقَالٌ، كَمَا تَقُولُ: امْرَأَةٌ كَرِيمَةٌ وَنِسَاءٌ كِرَامٌ، وَهِيَ الثِّقَالُ بِالْمَاءِ.

﴿وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ﴾[2]: وَيُسَبِّحُ سَامِعُ الرَّعْدِ مِنَ الْعِبَادِ الرَّاجِينَ لِلْمَطَرِ حَامِدِينَ لَهُ، أَيْ: يَضِجُّونَ بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدِ لِلَّهِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: "سُبْحَانَ مَنْ يُسَبِّحُ الرَّعْدَ بِحَمْدِهِ".

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ لَهُ، وَإِذَا اشْتَدَّ الرَّعْدُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "اللَّهُمَّ لَا تَقْتُلْنَا بِغَضَبِكَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِعَذَابِكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذَلِكَ".

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْيَهُودَ سَأَلَتِ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَنِ الرَّعْدِ مَا هُوَ؟ فَقَالَ: "مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُوَكَّلٌ بِالسَّحَابِ، مَعَهُ مَخَارِيقُ مِنْ نَارٍ يَسُوقُ بِهَا السَّحَابَ".

وَعَنِ الْحَسَنِ: خَلْقٌ مِنْ خَلْقِ اللَّهِ لَيْسَ بِمَلَكٍ، وَمِنْ بِدَعِ الْمُتَصَوِّفَةِ: الرَّعْدُ صَعَقَاتُ الْمَلَائِكَةِ، وَالْبَرْقُ: زَفَرَاتُ أَفْئِدَتِهِمْ، وَالْمَطَرُ بُكَاؤُهُمْ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾[1]: وَيُسَبِّحُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ هَيْبَتِهِ وَإِجْلَالِهِ، ذَكَرَ عِلْمَهُ النَّافِذَ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَاسْتِوَاءُ الظَّاهِرِ وَالْخَفِيِّ عِنْدَهُ، وَمَا دَلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ وَوَحْدَانِيَّتِهِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَهُمْ﴾[2]، يَعْنِي: الَّذِينَ كَفَرُوا، وَكَذَّبُوا رَسُولَ اللَّهِ، وَأَنْكَرُوا آيَاتِهِ، ﴿يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ﴾[3]، حَيْثُ يُنْكِرُونَ عَلَى رَسُولِهِ مَا يَصِفُهُ بِهِ مِنَ الْقُدْرَةِ عَلَى الْبَعْثِ وَإِعَادَةِ الْخَلَائِقِ بِقَوْلِهِمْ: ﴿مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[4].

وَيَرُدُّونَ الْوَحْدَانِيَّةَ بِاتِّخَاذِ الشُّرَكَاءِ وَالْأَنْدَادِ، وَيَجْعَلُونَهُ بَعْضَ الْأَجْسَامِ الْمُتَوَالِدَةِ بِقَوْلِهِمْ: "الْمَلَائِكَةَ بَنَاتِ اللَّهِ".

فَهَذَا جِدَالُهُمْ بِالْبَاطِلِ، كَقَوْلِهِمْ: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ﴾[5].

وَقِيلَ: الْوَاوُ لِلْحَالِ، أَيْ: فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ فِي حَالِ جِدَالِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَدَ أَخَا لَبِيدِ ابْنِ رَبِيعَةَ الْعَامِرِيَّ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ مَعَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ قَاصِدَيْنِ لِقَتْلِهِ، فَرَمَى اللَّهُ عَامِرًا بِغُدَّةٍ كَغُدَّةِ الْبَعِيرِ، وَمَوْتٍ فِي بَيْتِ سَلُولِيَّةَ، وَأَرْسَلَ عَلَى أَرْبَدَ صَاعِقَةً، فَقَتَلَتْهُ: أَخْبِرْنَا عَنْ رَبِّنَا، أَمِنْ نُحَاسٍ هُوَ أَمْ مِنْ حَدِيدٍ؟

﴿الْمِحَالِ﴾[6]: الْمُمَاحَلَةُ، وَهِيَ شِدَّةُ الْمُمَاكَرَةِ وَالْمُكَايَدَةِ، وَمِنْهُ: تَمَحَّلَ لِكَذَا، إِذَا تَكَلَّفَ اسْتِعْمَالَ الْحِيلَةِ وَاجْتَهَدَ فِيهِ، وَمَحَلَ بِفُلَانٍ إِذَا كَادَهُ وَسَعَى بِهِ إِلَى السُّلْطَانِ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "وَلَا تَجْعَلْهُ عَلَيْنَا مَاحِلًا مُصَدَّقًا".

وَقَالَ الْأَعْشَى:

فَرْعُ نَبْعٍ يَهَشُّ فِي غُصُنِ الْمَجْـ... ـدِ غَزِيرُ النَّدَى شَدِيدُ الْمِحَالِ

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ شَدِيدُ الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ لِأَعْدَائِهِ، يَأْتِيهِمْ بِالْهَلَكَةِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ.

وَقَرَأَ الْأَعْرَجُ بِفَتْحِ الْمِيمِ، عَلَى أَنَّهُ مُفْعَلٌ، مِنْ حَالَ يَحُولُ مَحَالًا إِذَا احْتَالَ، وَمِنْهُ: أَحْوَلُ مِنْ ذِئْبٍ، أَيْ: أَشَدُّ حِيلَةً.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة يَس، الآية 78.

[5] سورة غَافِرٌ، الآية 5.

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: شَدِيدُ الْفَقَارِ، وَيَكُونُ مَثَلًا فِي الْقُوَّةِ وَالْقُدْرَةِ كَمَا جَاءَ: فَسَاعِدُ اللَّهِ أَشَدُّ، وَمُوسَاهُ أَحَدُّ، لِأَنَّ الْحَيَوَانَ إِذَا اشْتَدَّ مِحَالُهُ، كَانَ مَنْعُوتًا بِشِدَّةِ الْقُوَّةِ وَالِاضْطِلَاعِ بِمَا يَعْجَزُ عَنْهُ غَيْرُهُ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِمْ: فَقَرَتْهُ الْفَوَاقِرُ؟ وَذَلِكَ أَنَّ الْفَقَارَ عَمُودُ الظَّهْرِ وَقِوَامُهُ.

﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاّ فِي ضَلالٍ﴾[1]

﴿دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾[2]: فِيهِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ تُضَافَ الدَّعْوَةُ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ الْبَاطِلِ، كَمَا تُضَافُ الْكَلِمَةُ إِلَيْهِ فِي قَوْلِكَ: كَلِمَةُ الْحَقِّ، لِلدَّلَالَةِ عَلَى أَنَّ الدَّعْوَةَ مُلَابِسَةٌ لِلْحَقِّ مُخْتَصَّةٌ بِهِ، وَأَنَّهَا بِمَعْزِلٍ مِنَ الْبَاطِلِ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ –سُبْحَانَهُ– يُدْعَى فَيَسْتَجِيبُ الدَّعْوَةَ، وَيُعْطِي الدَّاعِي سُؤَالَهُ إِنْ كَانَ مَصْلَحَةً لَهُ، فَكَانَتْ دَعْوَةً مُلَابِسَةً لِلْحَقِّ، لِكَوْنِهِ حَقِيقًا بِأَنْ يُوَجَّهَ إِلَيْهِ الدُّعَاءُ، لِمَا فِي دَعْوَتِهِ مِنَ الْجَدْوَى وَالنَّفْعِ، بِخِلَافِ مَا لَا يَنْفَعُ وَلَا يُجْدِي دُعَاؤُهُ.

– وَالثَّانِي: أَنْ تُضَافَ إِلَى الْحَقِّ الَّذِي هُوَ اللَّهُ –عَزَّ وَعَلَا–، عَلَى مَعْنَى: دَعْوَةُ الْمَدْعُوِّ الْحَقِّ الَّذِي يَسْمَعُ فَيُجِيبُ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: الْحَقُّ هُوَ اللَّهُ، وَكُلُّ دُعَاءٍ إِلَيْهِ دَعْوَةُ الْحَقِّ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ اتِّصَالِ هَذَيْنِ الْوَصْفَيْنِ بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: أَمَّا عَلَى قِصَّةِ أَرْبَدَ فَظَاهِرٌ، لِأَنَّ إِصَابَتَهُ بِالصَّاعِقَةِ مِحَالٌ مِنَ اللَّهِ وَمَكْرٌ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَشْعُرْ، وَقَدْ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى صَاحِبِهِ بِقَوْلِهِ: "اللَّهُمَّ اخْسِفْهُمَا بِمَا شِئْتَ"، فَأُجِيبَ فِيهِمَا، فَكَانَتِ الدَّعْوَةُ دَعْوَةَ حَقٍّ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَأَمَّا عَلَى الْأَوَّلِ: فَوَعِيدٌ لِلْكَفَرَةِ عَلَى مُجَادَلَتِهِمْ رَسُولَ اللَّهِ بِحُلُولِ مِحَالِهِ بِهِمْ، وَإِجَابَةِ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ دَعَا عَلَيْهِمْ فِيهِمْ.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾[1]: وَالْآلِهَةُ الَّذِينَ يَدْعُوهُمُ الْكُفَّارُ، ﴿مِنْ﴾[2]: دُونَ اللَّهِ.

﴿لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ﴾[3]: مِنْ طَلَبَاتِهِمْ.

﴿إِلاّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ﴾[4]: إِلَّا اسْتِجَابَةً كَاسْتِجَابَةِ بَاسِطِ كَفَّيْهِ، أَيْ: كَاسْتِجَابَةِ الْمَاءِ مَنْ بَسَطَ كَفَّيْهِ إِلَيْهِ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يَبْلُغَ فَاهُ، وَالْمَاءُ جَمَادٌ لَا يَشْعُرُ بِبَسْطِ كَفَّيْهِ وَلَا بِعَطَشِهِ وَحَاجَتِهِ إِلَيْهِ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُجِيبَ دُعَاءَهُ وَيَبْلُغَ فَاهُ، وَكَذَلِكَ مَا يَدْعُونَهُ جَمَادٌ لَا يُحِسُّ بِدُعَائِهِمْ، وَلَا يَسْتَطِيعُ إِجَابَتَهُمْ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَى نَفْعِهِمْ.

وَقِيلَ: شُبِّهُوا فِي قِلَّةِ جَدْوَى دُعَائِهِمْ لِآلِهَتِهِمْ بِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَغْرِفَ الْمَاءَ بِيَدَيْهِ لِيَشْرَبَهُ، فَبَسَطَهُمَا نَاشِرًا أَصَابِعَهُ، فَلَمْ تَلْقَ كَفَّاهُ مِنْهُ شَيْئًا وَلَمْ يَبْلُغْ طِلْبَتَهُ مِنْ شُرْبِهِ.

وَقُرِئَ: "تَدْعُونَ" بِالتَّاءِ، كَبَاسِطٍ كَفَّيْهِ، بِالتَّنْوِينِ.

﴿إِلاّ فِي ضَلالٍ﴾[5]: إِلَّا فِي ضَيَاعٍ لَا مَنْفَعَةَ فِيهِ، لِأَنَّهُمْ إِنْ دَعَوُا اللَّهَ لَمْ يُجِبْهُمْ، وَإِنْ دَعَوُا الْآلِهَةَ لَمْ تَسْتَطِعْ إِجَابَتَهُمْ.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾[6]

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ﴾[7]، أَيْ: يَنْقَادُونَ لِإِحْدَاثِ مَا أَرَادَهُ فِيهِمْ مِنْ أَفْعَالِهِ، شَاؤُوا أَوْ أَبَوْا، لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَمْتَنِعُوا عَلَيْهِ، وَتَنْقَادُ لَهُ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿وَظِلالُهُمْ﴾[1]: أَيْضًا، حَيْثُ تَتَصَرَّفُ عَلَى مَشِيئَتِهِ فِي الِامْتِدَادِ وَالتَّقَلُّصِ، وَالْفَيْءِ وَالزَّوَالِ.

وَقُرِئَ: "بِالْغُدُوِّ وَالْإِيصَالِ": مَنْ آصَلُوا: إِذَا دَخَلُوا فِي الْأَصِيلِ.

﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مَنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾[2]

﴿قُلِ اللَّهُ﴾[3]: حِكَايَةٌ لِاعْتِرَافِهِمْ وَتَأْكِيدٌ لَهُ عَلَيْهِمْ، لِأَنَّهُ إِذَا قَالَ لَهُمْ: مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، لَمْ يَكُنْ لَهُمْ بُدٌّ مِنْ أَنْ يَقُولُوا: اللَّهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾[4].

وَهَذَا كَمَا يَقُولُ الْمُنَاظِرُ لِصَاحِبِهِ: أَهَذَا قَوْلُكَ؟

فَإِذَا قَالَ: هَذَا قَوْلِي، قَالَ: هَذَا قَوْلُكَ، فَيُحْكَى إِقْرَارُهُ تَقْرِيرًا لَهُ عَلَيْهِ وَاسْتِيثَاقًا مِنْهُ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: فَيَلْزَمُكَ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ كَيْتَ وَكَيْتَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَلْقِينًا، أَيْ: إِنْ كَعُّوا عَنِ الْجَوَابِ فَلَقِّنْهُمْ، فَإِنَّهُمْ يَتَلَقَّنُونَهُ وَلَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُنْكِرُوهُ.

﴿أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾[5]: أَبَعْدَ أَنْ عَلِمْتُمُوهُ رَبَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ اتَّخَذْتُمْ مَنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ، فَجَعَلْتُمْ مَا كَانَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ سَبَبَ التَّوْحِيدِ مِنْ عِلْمِكُمْ، وَإِقْرَارِكُمْ سَبَبَ الْإِشْرَاكِ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الْمُؤْمِنُونَ، الآيتان 86–87 .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا﴾[1]: لَا يَسْتَطِيعُونَ لِأَنْفُسِهِمْ أَنْ يَنْفَعُوهَا أَوْ يَدْفَعُوا عَنْهَا ضَرَرًا، فَكَيْفَ يَسْتَطِيعُونَهُ لِغَيْرِهِمْ، وَقَدْ آثَرْتُمُوهُمْ عَلَى الْخَالِقِ الرَّازِقِ الْمُثِيبِ الْمُعَاقِبِ؟ فَمَا أَبْيَنَ ضَلَالَكُمَا!

﴿أَمْ جَعَلُوا﴾[2]: بَلِ اجْعَلُوا، وَمَعْنَى الْهَمْزَةِ: الْإِنْكَارُ.

وَ﴿خُلِقُوا﴾[3]: صِفَةٌ لِشُرَكَاءَ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَمْ يَتَّخِذُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَالِقِينَ قَدْ خَلَقُوا مِثْلَ خَلْقِ اللَّهِ.

﴿فَتَشَابَهَ﴾[4]: عَلَيْهِمْ خَلْقُ اللَّهِ وَخَلْقُهُمْ، حَتَّى يَقُولُوا: قَدَرَ هَؤُلَاءِ عَلَى الْخَلْقِ كَمَا قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَاسْتَحَقُّوا الْعِبَادَةَ، فَنَتَّخِذُهُمْ لَهُ شُرَكَاءَ وَنَعْبُدُهُمْ كَمَا يُعْبَدُ، إِذْ لَا فَرْقَ بَيْنَ خَالِقٍ وَخَالِقٍ؛ وَلَكِنَّهُمُ اتَّخَذُوا لَهُ شُرَكَاءَ عَاجِزِينَ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْخَلْقُ، فَضْلًا أَنْ يَقْدِرُوا عَلَى مَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ الْخَالِقُ.

﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾[5]: لَا خَالِقَ غَيْرُ اللَّهِ، وَلَا يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْخَلْقِ، فَلَا يَكُونُ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْعِبَادَةِ.

﴿وَهُوَ الْوَاحِدُ﴾[6]: الْمُتَوَحِّدُ بِالرُّبُوبِيَّةِ.

﴿الْقَهَّارُ﴾[7]: لَا يُغَالَبُ، وَمَا عَدَاهُ مَرْبُوبٌ وَمَقْهُورٌ.

﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ﴾[8]

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[8] سورة الرَّعْدِ، الآية .

هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلْحَقِّ وَأَهْلِهِ وَالْبَاطِلِ وَحِزْبِهِ، كَمَا ضَرَبَ الْأَعْمَى وَالْبَصِيرَ وَالظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ مَثَلًا لَهُمَا، فَمَثَّلَ الْحَقَّ وَأَهْلَهُ بِالْمَاءِ الَّذِي يُنْزِلُهُ مِنَ السَّمَاءِ، فَتَسِيلُ بِهِ أَوْدِيَةُ النَّاسِ، فَيَحْيَوْنَ بِهِ، وَيَنْفَعُهُمْ أَنْوَاعَ الْمَنَافِعِ، وَبِالْفِلِزِّ الَّذِي يَنْتَفِعُونَ بِهِ فِي صَوْغِ الْحُلِيِّ مِنْهُ، وَاتِّخَاذِ الْأَوَانِي وَالْآلَاتِ الْمُخْتَلِفَةِ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا الْحَدِيدُ الَّذِي فِيهِ الْبَأْسُ الشَّدِيدُ لَكَفَى بِهِ، وَأَنَّ ذَلِكَ مَاكِثٌ فِي الْأَرْضِ بَاقٍ بَقَاءً ظَاهِرًا، يَثْبُتُ الْمَاءُ فِي مَنَافِعِهِ، وَتَبْقَى آثَارُهُ فِي الْعُيُونِ وَالْبِئَارِ وَالْجُبُوبِ، وَالثِّمَارِ الَّتِي تَنْبُتُ بِهِ مِمَّا يُدَّخَرُ وَيُكْنَزُ؛ وَكَذَلِكَ الْجَوَاهِرُ تَبْقَى أَزْمِنَةً مُتَطَاوِلَةً، وَشَبَّهَ الْبَاطِلَ فِي سُرْعَةِ اضْمِحْلَالِهِ وَوَشْكِ زَوَالِهِ وَانْسِلَاخِهِ عَنِ الْمَنْفَعَةِ، بِزَبَدِ السَّيْلِ الَّذِي يَرْمِي بِهِ، وَبِزَبَدِ الْفِلِزِّ الَّذِي يَطْفُو فَوْقَهُ إِذَا أُذِيبَ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ نُكِّرَتِ الْأَوْدِيَةُ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْمَطَرَ لَا يَأْتِي إِلَّا عَلَى طَرِيقِ الْمُنَاوَبَةِ بَيْنَ الْبِقَاعِ، فَيَسِيلُ بَعْضُ أَوْدِيَةِ الْأَرْضِ دُونَ بَعْضٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿بِقَدَرِهَا﴾[1]؟

قُلْتُ: بِمِقْدَارِهَا الَّذِي عَرَفَ اللَّهُ أَنَّهُ نَافِعٌ لِلْمَمْطُورِ عَلَيْهِمْ غَيْرُ ضَارٍّ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾[2]؟ لِأَنَّهُ ضَرَبَ الْمَطَرَ مَثَلًا لِلْحَقِّ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَطَرًا خَالِصًا لِلنَّفْعِ خَالِيًا مِنَ الْمَضَرَّةِ، وَلَا يَكُونُ كَبَعْضِ الْأَمْطَارِ وَالسُّيُولِ الْجَوَارِفِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا فَائِدَةُ قَوْلِهِ: ﴿ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾[3]؟

قُلْتُ: الْفَائِدَةُ فِيهِ كَالْفَائِدَةِ فِي قَوْلِهِ: ﴿بِقَدَرِهَا﴾[4]، لِأَنَّهُ جَمَعَ الْمَاءَ وَالْفِلِزَّ فِي النَّفْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾[5]، لِأَنَّ الْمَعْنَى: وَأَمَّا مَا يَنْفَعُهُمْ مِنَ الْمَاءِ وَالْفِلِزِّ فَذَكَرَ وَجْهَ الِانْتِفَاعِ بِمَا يُوقَدُ عَلَيْهِ مِنْهُ وَيُذَابُ، وَهُوَ الْحِلْيَةُ وَالْمَتَاعُ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية 17.

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ﴾[1]: عِبَارَةٌ جَامِعَةٌ لِأَنْوَاعِ الْفِلِزِّ، مَعَ إِظْهَارِ الْكِبْرِيَاءِ فِي ذِكْرِهِ عَلَى وَجْهِ التَّهَاوُنِ بِهِ، كَمَا هُوَ هِجِّيرَى الْمُلُوكِ، نَحْوُ مَا جَاءَ فِي ذِكْرِ الْآجُرِّ: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانُ عَلَى الطِّينِ﴾[2].

وَ﴿مِنْ﴾[3] لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، أَيْ: وَمِنْهُ يَنْشَأُ زَبَدٌ مِثْلُ زَبَدِ الْمَاءِ، أَوْ لِلتَّبْعِيضِ بِمَعْنَى: وَبَعْضُهُ زَبَدًا رَابِيًا مُنْتَفِخًا مُرْتَفِعًا عَلَى وَجْهِ السَّيْلِ، أَيْ: يَرْمِي بِهِ، وَجَفَأَتِ الْقِدْرُ بِزَبَدِهَا، وَأَجْفَأَ السَّيْلُ وَأَجْفَلَ.

وَفِي قِرَاءَةِ رُؤْبَةَ ابْنِ الْعَجَّاجِ: "جُفَالًا".

وَعَنْ أَبِي حَاتِمٍ: لَا يُقْرَأُ بِقِرَاءَةِ رُؤْبَةَ، لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ الْفَأْرَ.

وَقُرِئَ: "يُوقِدُونَ"، بِالْيَاءِ: أَيْ: يُوقِدُ النَّاسُ.

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[4]

﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾[5]: اللَّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِيَضْرِبُ، أَيْ: كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا، وَلِلْكَافِرِينَ الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا، أَيْ: هُمَا مَثَلَا الْفَرِيقَيْنِ.

وَ﴿الْحُسْنَى﴾[6]: صِفَةٌ لِمَصْدَرِ اسْتَجَابُوا، أَيْ: اسْتَجَابُوا الِاسْتِجَابَةَ الْحُسْنَى.

وَقَوْلُهُ: ﴿لَوْ أَنَّ لَهُمْ﴾[7]: كَلَامٌ مُبْتَدَأٌ فِي ذِكْرِ مَا أُعِدَّ لِغَيْرِ الْمُسْتَجِيبِينَ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الْقَصَصُ، الآية 38.

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَقِيلَ: قَدْ تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾[1]، وَمَا بَعْدَهُ كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ، وَالْحُسْنَى: مُبْتَدَأٌ، خَبَرُهُ: ﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ﴾[2]؛ وَالْمَعْنَى: لَهُمُ الْمَثُوبَةُ الْحُسْنَى، وَهِيَ الْجَنَّةُ.

﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا﴾[3]: مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ: ﴿لَوْ﴾[4] مَعَ مَا فِي حَيِّزِهِ.

وَ﴿سُوءُ الْحِسَابِ﴾[5]: الْمُنَاقَشَةُ فِيهِ.

وَعَنِ النَّخْعِيِّ: أَنْ يُحَاسَبَ الرَّجُلُ بِذَنْبِهِ كُلِّهِ لَا يُغْفَرُ مِنْهُ شَيْءٌ.

﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[6]

دَخَلَتْ هَمْزَةُ الْإِنْكَارِ عَلَى الْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ﴾[7]: لِإِنْكَارِ أَنْ تَقَعَ شُبْهَةٌ بَعْدَ مَا ضَرَبَ مِنَ الْمَثَلِ فِي أَنَّ حَالَ مَنْ عَلِمَ.

﴿أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ﴾[8]: فَاسْتَجَابَ، بِمَعْزِلٍ مِنْ حَالِ الْجَاهِلِ الَّذِي لَمْ يَسْتَبْصِرْ فَيَسْتَجِيبَ، كَبُعْدِ مَا بَيْنَ الزَّبَدِ وَالْمَاءِ وَالْخَبَثِ وَالْإِبْرِيزِ.

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[9]، أَيْ: الَّذِينَ عَمِلُوا عَلَى قَضِيَّاتِ عُقُولِهِمْ، فَنَظَرُوا وَاسْتَبْصَرُوا.

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية 17.

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[8] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[9] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ
لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ
وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ
بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1]

﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾[2]: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[3]: خَبَرُهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْد اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَة﴾[4].

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِأُولِي الْأَلْبَابِ، وَالْأَوَّلُ أَوْجَهُ، وَعَهْدُ اللَّهِ: مَا عَقَدُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ الشَّهَادَةِ بِرُبُوبِيَّتِهِ، ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾[5].

﴿وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ﴾[6]: وَلَا يَنْقُضُونَ كُلَّ مَا وَثَّقُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَقَبِلُوهُ: مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَوَاثِيقِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ الْعِبَادِ، تَعْمِيمٌ بَعْدَ تَخْصِيصٍ.

﴿مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ﴾[7]: مِنَ الْأَرْحَامِ وَالْقَرَابَاتِ، وَيَدْخُلُ فِيهِ وَصْلُ قَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ وَقَرَابَةِ الْمُؤْمِنِينَ الثَّابِتَةِ بِسَبَبِ الْإِيمَانِ.

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[8]: بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ عَلَى حَسَبِ الطَّاقَةِ، وَنُصْرَتِهِمْ، وَالذَّبِّ عَنْهُمْ، وَالشَّفَقَةِ عَلَيْهِمْ، وَالنَّصِيحَةِ لَهُمْ، وَطَرْحِ التَّفْرِقَةِ بَيْنَ أَنْفُسِهِمْ وَبَيْنَهُمْ، وَإِفْشَاءِ السَّلَامِ عَلَيْهِمْ، وَعِيَادَةِ مَرْضَاهُمْ، وَشُهُودِ جَنَائِزِهِمْ؛ وَمِنْهُ مُرَاعَاةُ حَقِّ الْأَصْحَابِ وَالْخَدَمِ وَالْجِيرَانِ وَالرُّفَقَاءِ فِي السَّفَرِ، وَكُلِّ مَا تَعَلَّقَ مِنْهُمْ بِسَبَبٍ، حَتَّى الْهِرَّةُ وَالدَّجَاجَةُ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[4] سورة الرَّعْدِ، الآية 25.
[5] سورة الرَّعْدِ، الآية 20.
[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[8] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَعَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ أَنَّ جَمَاعَةً دَخَلُوا عَلَيْهِ بِمَكَّةَ فَقَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمْ؟ قَالُوا: مِنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ، قَالَ: اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْعَبْدَ لَوْ أَحْسَنَ الْإِحْسَانَ كُلَّهُ، وَكَانَتْ لَهُ دَجَاجَةٌ فَأَسَاءَ إِلَيْهَا لَمْ يَكُنْ مِنَ الْمُحْسِنِينَ.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾[1]، أَيْ: يَخْشَوْنَ وَعِيدَهُ كُلَّهُ.

﴿وَيَخَافُونَ﴾[2]: خُصُوصًا ﴿سُوءَ الْحِسَابِ﴾[3]: فَيُحَاسِبُونَ أَنْفُسَهُمْ قَبْلَ أَنْ يُحَاسَبُوا.

﴿صَبَرُوا﴾[4]: مُطْلَقٌ فِيمَا يُصْبَرُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَصَائِبِ فِي النُّفُوسِ وَالْأَمْوَالِ وَمَشَاقِّ التَّكْلِيفِ.

﴿ابْتِغَاءَ وَجْهِ﴾[5]: اللَّهِ، لَا لِيُقَالَ: مَا أَصْبَرَهُ وَأَحْمَلَهُ لِلنَّوَازِلِ، وَأَوْقَرَهُ عِنْدَ الزَّلَازِلِ، وَلَا لِئَلَّا يُعَابَ بِالْجَزَعِ، وَلِئَلَّا يَشْمَتَ بِهِ الْأَعْدَاءُ كَقَوْلِهِ:

وَتَجَلَّدِي لِلشَّامِتِينَ أُرِيهِمُ.....

وَلَا لِأَنَّهُ لَا طَائِلَ تَحْتَ الْهَلَعِ، وَلَا مَرَدَّ فِيهِ لِلْفَائِتِ، كَقَوْلِهِ:

مَا إِنْ جَزِعْتُ وَلا هَلَعْ... تُ وَلا يَرُدُّ بُكَآيَ زَنْـــدَا

وَكُلُّ عَمَلٍ لَهُ وُجُوهٌ يُعْمَلُ عَلَيْهَا، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَنْ يَنْوِيَ مِنْهَا مَا بِهِ كَانَ حَسَنًا عِنْدَ اللَّهِ، وَإِلَّا لَمْ يَسْتَحِقَّ بِهِ ثَوَابًا، وَكَانَ فِعْلًا كَلَا فِعْلٍ.

﴿مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ﴾[6]: مِنَ الْحَلَالِ، لِأَنَّ الْحَرَامَ لَا يَكُونُ رِزْقًا، وَلَا يُسْنَدُ إِلَى اللَّهِ.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[7]: يَتَنَاوَلُ النَّوَافِلَ، لِأَنَّهَا فِي السِّرِّ أَفْضَلُ، وَالْفَرَائِضَ لِوُجُوبِ الْمُجَاهَرَةِ بِهَا نَفْيًا لِلتُّهْمَةِ.

﴿وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ﴾[8]: وَيَدْفَعُونَهَا.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[8] سورة الرَّعْدِ، الآية .

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: يَدْفَعُونَ بِالْحَسَنِ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَرِدُ عَلَيْهِمْ مِنْ سَيِّئِ غَيْرِهِمْ.

وَعَنِ الْحَسَنِ: إِذَا حُرِمُوا أَعْطَوْا، وَإِذَا ظُلِمُوا عَفَوْا، وَإِذَا قُطِعُوا وَصَلُوا.

وَعَنِ ابْنِ كَيْسَانَ: إِذَا أَذْنَبُوا تَابُوا، وَقِيلَ: إِذَا رَأَوْا مُنْكَرًا أَمَرُوا بِتَغْيِيرِهِ،

﴿عُقْبَى الدَّارِ﴾[1]: عَاقِبَةُ الدُّنْيَا وَهِيَ الْجَنَّةُ، لِأَنَّهَا الَّتِي أَرَادَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ عَاقِبَةَ الدُّنْيَا وَمَرْجِعَ أَهْلِهَا.

وَ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾[2]: بَدَلٌ مِنْ عُقْبَى الدَّارِ.

وَقُرِئَ: "فَنَعْمَ" بِفَتْحِ النُّونِ، وَالْأَصْلُ: نِعْمَ، فَمَنْ كَسَرَ النُّونَ فَلِنَقْلِ كَسْرَةِ الْعَيْنِ إِلَيْهَا، وَمَنْ فَتَحَ فَقَدْ سَكَّنَ الْعَيْنَ وَلَمْ يَنْقُلْ، وَقُرِئَ: "يُدْخَلُونَهَا" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي عَبْلَةَ: "صَلُحَ" بِضَمِّ اللَّامِ، وَالْفَتْحُ أَفْصَحُ، أَعْلَمَ أَنَّ الْأَنْسَابَ لَا تَنْفَعُ إِذَا تَجَرَّدَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَآبَاؤُهُمْ جَمْعُ أَبَوَيْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ.

﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ﴾[3]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: قَائِلِينَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ أَوْ مُسْلِمِينَ.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾[4]؟

قُلْتُ: بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: هَذَا بِمَا صَبَرْتُمْ، يَعْنُونَ: هَذَا الثَّوَابُ بِسَبَبِ صَبْرِكُمْ، أَوْ بَدَلٌ مَا احْتَمَلْتُمْ مِنْ مَشَاقِّ الصَّبْرِ، وَمَتَاعِبِهِ هَذِهِ الْمَلَاذُ وَالنِّعَمِ، وَالْمَعْنَى: لَئِنْ تَعِبْتُمْ فِي الدُّنْيَا لَقَدِ اسْتَرَحْتُمُ السَّاعَةَ، كَقَوْلِهِ:

.....بِمَا قَدْ أَرَى فِيهَا أَوَانِسَ بُدَّنَـــا

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –أَنَّهُ كَانَ يَأْتِي قُبُورَ الشُّهَدَاءِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ حَوْلٍ، فَيَقُولُ: "السَّلَامُ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ، فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ".

وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِسَلَامٍ، أَيْ: نُسَلِّمُ عَلَيْكُمْ وَنُكْرِمُكُمْ بِصَبْرِكُمْ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ
وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ
وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾[1]

﴿مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ﴾[2]: مِنْ بَعْدِ مَا أَوْثَقُوهُ بِهِ مِنَ الِاعْتِرَافِ وَالْقَبُولِ.

﴿سُوءُ الدَّارِ﴾[3]: يُحْتَمَلُ أَنْ يُرَادَ سُوءُ عَاقِبَةِ الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ عُقْبَى الدَّارِ، وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالدَّارِ: جَهَنَّمُ، وَبِسُوئِهَا: عَذَابُهَا.

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ﴾[4]

﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ﴾[5]، أَيْ: اللَّهُ وَحْدَهُ هُوَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ، وَيَقْدُرُهُ دُونَ غَيْرِهِ، وَهُوَ الَّذِي بَسَطَ رِزْقَ أَهْلِ مَكَّةَ وَوَسَّعَهُ عَلَيْهِمْ.

﴿وَفَرِحُوا﴾[6]: بِمَا بَسَطَ لَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا فَرَحَ بَطَرٍ وَأَشَرٍ لَا فَرَحَ سُرُورٍ بِفَضْلِ اللَّهِ وَإِنْعَامِهِ عَلَيْهِمْ، وَلَمْ يُقَابِلُوهُ بِالشُّكْرِ حَتَّى يَسْتَوْجِبُوا نَعِيمَ الْآخِرَةِ، وَخَفِيَ عَلَيْهِمْ أَنَّ نَعِيمَ الدُّنْيَا فِي جَنْبِ نَعِيمِ الْآخِرَةِ لَيْسَ إِلَّا شَيْئًا نَزْرًا يُتَمَتَّعُ بِهِ كَعُجَالَةِ الرَّاكِبِ، وَهُوَ مَا يَتَعَجَّلُهُ مِنْ تُمَيْرَاتٍ أَوْ شَرْبَةِ سَوِيقٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ
وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

الْقُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ طَابَقَ قَوْلُهُمْ: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ﴾[2] قَوْلَهُ: ﴿قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ﴾[3]؟

قُلْتُ: هُوَ كَلَامٌ يَجْرِي مَجْرَى التَّعَجُّبِ مِنْ قَوْلِهِمْ، وَذَلِكَ أَنَّ الْآيَاتِ الْبَاهِرَةَ الْمُتَكَاثِرَةَ الَّتِي أُوتِيَهَا رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– لَمْ يُؤْتَهَا نَبِيٌّ قَبْلَهُ، وَكَفَى بِالْقُرْآنِ وَحْدَهُ آيَةً وَرَاءَ كُلِّ آيَةٍ، فَإِذَا جَحَدُوهَا وَلَمْ يَعْتَدُّوا بِهَا وَجَعَلُوهُ كَأَنَّ آيَةً لَمْ تَنْزِلْ عَلَيْهِ قَطُّ، كَانَ مَوْضِعًا لِلتَّعَجُّبِ وَالِاسْتِنْكَارِ؛ فَكَأَنَّهُ قِيلَ لَهُمْ: مَا أَعْظَمَ عِنَادَكُمْ، وَمَا أَشَدَّ تَصْمِيمَكُمْ عَلَى كُفْرِكُمْ: إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ مِمَّنْ كَانَ عَلَى صِفَتِكُمْ مِنَ التَّصْمِيمِ وَشِدَّةِ الشَّكِيمَةِ فِي الْكُفْرِ، فَلَا سَبِيلَ إِلَى اهْتِدَائِهِمْ وَإِنْ أُنْزِلَتْ كُلُّ آيَةٍ.

﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ﴾[4]: كَانَ عَلَى خِلَافِ صِفَتِكُمْ، ﴿أَنَابَ﴾[5]: أَقْبَلَ إِلَى الْحَقِّ، وَحَقِيقَتُهُ دَخَلَ فِي نَوْبَةِ الْخَيْرِ.

وَ﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾[6]: بَدَلٌ مِنْ "مَنْ أَنَابَ".

﴿وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ﴾[7]: بِذِكْرِ رَحْمَتِهِ وَمَغْفِرَتِهِ بَعْدَ الْقَلَقِ وَالِاضْطِرَابِ مِنْ خَشْيَتِهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾[8]، أَوْ تَطْمَئِنُّ بِذِكْرِ دَلَائِلِهِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ، أَوْ تَطْمَئِنُّ بِالْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ مُعْجِزَةٌ بَيِّنَةٌ تُسَكِّنُ الْقُلُوبَ وَتُثَبِّتُ الْيَقِينَ فِيهَا.

﴿الَّذِينَ آمَنُوا﴾[9]: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿طُوبَى لَهُمْ﴾[10]: خَبَرُهُ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[8] سورة الزُّمَر، الآية 23.
[9] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[10] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْقُلُوبِ، عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ قُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا، وَطُوبَى مَصْدَرٌ مِنْ طَابَ، كَبُشْرَى وَزُلْفَى.

وَمَعْنَى: "طُوبَى لَكَ": أَصَبْتَ خَيْرًا وَطِيبًا، وَمَحَلُّهَا النَّصْبُ أَوِ الرَّفْعُ، كَقَوْلِكَ: طَيِّبًا لَكَ، وَطَيِّبٌ لَكَ، وَسَلَامًا لَكَ، وَسَلَامٌ لَكَ، وَالْقِرَاءَةُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[1] بِالرَّفْعِ وَالنَّصْبِ، تَدُلُّكَ عَلَى مَحَلَّيْهَا.

وَاللَّامُ فِي ﴿لَهُمْ﴾[2]: لِلْبَيَانِ مِثْلُهَا فِي سَقْيًا لَكَ، وَالْوَاوُ فِي طُوبَى مُنْقَلِبَةٌ عَنْ يَاءٍ لِضَمَّةِ مَا قَبْلَهَا، كَمُوقِنٍ وَمُوسِرٍ وَقَرَأَ مَكْوَزَةُ الْأَعْرَابِيُّ: "طِيبِي لَهُمْ" فَكَسَرَ الطَّاءَ لِتَسْلَمَ الْيَاءُ، كَمَا قِيلَ: بِيضٌ وَمَعِيشَةٌ.

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ رَبِّي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[3]

﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ﴾[4]: مِثْلَ ذَلِكَ الْإِرْسَالِ أَرْسَلْنَاكَ، يَعْنِي: أَرْسَلْنَاكَ إِرْسَالًا لَهُ شَأْنٌ وَفَضْلٌ عَلَى سَائِرِ الْإِرْسَالَاتِ، ثُمَّ فَسَّرَ كَيْفَ أَرْسَلَهُ، فَقَالَ: ﴿فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ﴾[5]، أَيْ: أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ تَقَدَّمَتْهَا أُمَمٌ كَثِيرَةٌ، فَهِيَ آخِرُ الْأُمَمِ، وَأَنْتَ خَاتَمُ الْأَنْبِيَاءِ.

﴿لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[6]: لِتَقْرَأَ عَلَيْهِمُ الْكِتَابَ الْعَظِيمَ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ.

﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ﴾[7]: وَحَالُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ يَكْفُرُونَ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿بِالرَّحْمَنِ﴾[1]: بِالْبَلِيغِ الرَّحْمَةِ الَّذِي وَسِعَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَمَا بِهِمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنْهُ؛ فَكَفَرُوا بِنِعْمَتِهِ فِي إِرْسَالِ مِثْلِكَ إِلَيْهِمْ، وَإِنْزَالِ هَذَا الْقُرْآنِ الْمُعْجِزِ الْمُصَدِّقِ لِسَائِرِ الْكُتُبِ عَلَيْهِمْ.

﴿قُلْ هُوَ رَبِّي﴾[2]: الْوَاحِدُ الْمُتَعَالِي عَنِ الشُّرَكَاءِ.

﴿عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ﴾[3]: فِي نُصْرَتِي عَلَيْكُمْ.

﴿وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[4]: فَيُثِيبُنِي عَلَى مُصَابِرَتِكُمْ وَمُجَاهَدَتِكُمْ.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[5]

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا﴾[6]: جَوَابُهُ مَحْذُوفٌ، كَمَا تَقُولُ لِغُلَامِكَ: لَوْ أَنِّي قُمْتُ إِلَيْكَ، وَتَتْرُكُ الْجَوَابَ.

وَالْمَعْنَى: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا ﴿سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾[7]: عَنْ مَقَارِّهَا، وَزُعْزِعَتْ عَنْ مَضَاجِعِهَا، ﴿أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ﴾[8]: حَتَّى تَتَصَدَّعَ وَتَتَزَايَلَ قِطَعًا.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[8] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾[1]: فَتَسْمَعُ وَتُجِيبُ، لَكَانَ هَذَا الْقُرْآنُ لِكَوْنِهِ غَايَةً فِي التَّذْكِيرِ وَنِهَايَةً فِي الْإِنْذَارِ وَالتَّخْوِيفِ، كَمَا قَالَ: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[2].

هَذَا يُعَضِّدُ مَا فَسَّرْتُ بِهِ قَوْلَهُ: ﴿لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[3] مِنْ إِرَادَةِ تَعْظِيمِ مَا أُوحِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنَ الْقُرْآنِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا وَقَعَ بِهِ تَسْيِيرُ الْجِبَالِ، وَتَقْطِيعُ الْأَرْضِ، وَتَكْلِيمُ الْمَوْتَى، وَتَنْبِيهُهُمْ، لَمَا آمَنُوا بِهِ وَلَمَا تَنَبَّهُوا عَلَيْهِ كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ﴾[4]، الْآيَةُ.

وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "سَيِّرْ بِقُرْآنِكَ الْجِبَالَ عَنْ مَكَّةَ حَتَّى تَتَّسِعَ لَنَا فَنَتَّخِذَ فِيهَا الْبَسَاتِينَ وَالْقَطَائِعَ، كَمَا سُخِّرَتْ لِدَاوُدَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا كَمَا تَزْعُمُ، فَلَسْتَ بِأَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ دَاوُدَ، وَسَخِّرْ لَنَا بِهِ الرِّيحَ لِنَرْكَبَهَا وَنَتَّجِرَ إِلَى الشَّامِ ثُمَّ نَرْجِعُ فِي يَوْمِنَا، فَقَدْ شَقَّ عَلَيْنَا قَطْعُ الْمَسَافَةِ الْبَعِيدَةِ كَمَا سُخِّرَتْ لِسُلَيْمَانَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، أَوِ ابْعَثْ لَنَا بِهِ رَجُلَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةً مِمَّنْ مَاتَ مِنْ آبَائِنَا: مِنْهُمْ قُصَيُّ بْنُ كِلَابٍ، فَنَزَلَتْ وَمَعْنَى تَقْطِيعِ الْأَرْضِ عَلَى هَذَا: قَطْعُهَا بِالسَّيْرِ وَمُجَاوَزَتُهَا.

وَعَنِ الْفَرَّاءِ: هُوَ مُتَعَلِّقٌ بِمَا قَبْلَهُ، وَالْمَعْنَى: وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ.

﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ﴾[5]: وَمَا بَيْنَهُمَا اعْتِرَاضٌ، وَلَيْسَ بِبَعِيدٍ مِنَ السَّدَادِ.

وَقِيلَ: ﴿قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ﴾[6]: شُقِّقَتْ فَجُعِلَتْ أَنْهَارًا وَعُيُونًا.

﴿بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[7]: عَلَى مَعْنَيَيْنِ:

–أَحَدُهُمَا: بَلْ لِلَّهِ الْقُدْرَةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْآيَاتِ الَّتِي اقْتَرَحُوهَا، إِلَّا أَنَّ عِلْمَهُ بِأَنَّ إِظْهَارَهَا مَفْسَدَةٌ يَصْرِفُهُ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الْحَشْرُ، الآية 21.

[3] سورة الْحَشْرُ، الآية 21.

[4] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 11.

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

–وَالثَّانِي: بَلْ لِلَّهِ أَنْ يُلْجِئَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى الْإِلْجَاءِ لَوْلَا أَنَّهُ بَنَى أَمْرَ التَّكْلِيفِ عَلَى الِاخْتِيَارِ، وَيُعَضِّدُهُ قَوْلُهُ: ﴿أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ﴾[1]، يَعْنِي: مَشِيئَةَ الْإِلْجَاءِ وَالْقَسْرِ.

﴿لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا﴾[2]، وَمَعْنَى: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسْ﴾[3]: أَفَلَمْ يَعْلَمْ.

قِيلَ: هِيَ لُغَةُ قَوْمٍ مِنَ النَّخْعِ، وَقِيلَ: إِنَّمَا اسْتُعْمِلَ الْيَأْسُ بِمَعْنَى: الْعِلْمِ، لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَاهُ، لِأَنَّ الْيَائِسَ عَنِ الشَّيْءِ عَالِمٌ بِأَنَّهُ لَا يَكُونُ، كَمَا اسْتُعْمِلَ الرَّجَاءُ فِي مَعْنَى: الْخَوْفِ، وَالنِّسْيَانُ فِي مَعْنَى: التَّرْكِ لِتَضَمُّنِ ذَلِكَ.

قَالَ سُحَيْمُ بْنُ وَثِيلٍ الرِّيَاحِيُّ:

أَقُولُ لَهُمْ بِالشِّعْبِ إِذْ يَيْسُرُونَنِي:... أَلَمْ تَيْأَسُوا أَنِّي ابْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ أَنَّ عَلِيًّا وَابْنَ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةً مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِيْنِ قَرَؤُوا: "أَفَلَمْ يَتَبَيَّنْ"[4]، وَهُوَ تَفْسِيرُ: ﴿أَفَلَمْ يَيْئَسْ﴾[5].

وَقِيلَ: إِنَّمَا كَتَبَهُ الْكَاتِبُ، وَهُوَ نَاعِسٌ مُسْتَوَى السَّيِّئَاتِ.

وَهَذَا وَنَحْوَهُ مِمَّا لَا يُصَدَّقُ فِي كِتَابِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَكَيْفَ يَخْفَى مِثْلُ هَذَا حَتَّى يَبْقَى ثَابِتًا بَيْنَ دَفَّتَيِ الْإِمَامِ، وَكَانَ مُتَقَلِّبًا فِي أَيْدِي أُولَئِكَ الْأَعْلَامِ الْمُحْتَاطِينَ فِي دِينِ اللَّهِ الْمُهَيْمِنِينَ عَلَيْهِ لَا يَغْفُلُونَ عَنْ جَلَائِلِهِ وَدَقَائِقِهِ، خُصُوصًا عَنِ الْقَانُونِ الَّذِي إِلَيْهِ الْمَرْجِعُ، وَالْقَاعِدَةُ الَّتِي عَلَيْهَا الْبِنَاءُ، وَهَذِهِ –وَاللَّهِ– فِرْيَةٌ مَا فِيهَا مِرْيَةٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ ﴿أَنْ لَوْ يَشَاءُ﴾[6] بِآمَنُوا، عَلَى: أَوْ لَمْ يَقْنَطْ عَنْ إِيمَانِ هَؤُلَاءِ الْكَفَرَةِ الَّذِينَ آمَنُوا بِأَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلَهَدَاهُمْ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية 31.

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا﴾[1]: مِنْ كُفْرِهِمْ وَسُوءِ أَعْمَالِهِمْ، ﴿قَارِعَةٌ﴾[2]: دَاهِيَةٌ تَقْرَعُهُمْ بِمَا يُحِلُّ اللَّهُ بِهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ صُنُوفِ الْبَلَايَا، وَالْمَصَائِبِ فِي نُفُوسِهِمْ، وَأَوْلَادِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ.

﴿أَوْ تَحُلُّ﴾[3]: الْقَارِعَةُ، ﴿قَرِيبًا﴾[4]: مِنْهُمْ فَيَفْزَعُونَ، وَيَضْطَرِبُونَ، وَيَتَطَايَرُ إِلَيْهِمْ شَرَارُهَا، وَيَتَعَدَّى إِلَيْهِمْ شُرُورُهَا.

﴿حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ﴾[5]: وَهُوَ مَوْتُهُمْ، أَوِ الْقِيَامَةُ.

وَقِيلَ: وَلَا يَزَالُ كُفَّارُ مَكَّةَ تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنَ الْعَدَاوَةِ وَالتَّكْذِيبِ قَارِعَةٌ، لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– كَانَ لَا يَزَالُ يَبْعَثُ السَّرَايَا، فَتُغِيرُ حَوْلَ مَكَّةَ وَتَخْتَطِفُ مِنْهُمْ، وَتُصِيبُ مِنْ مَوَاشِيهِمْ، أَوْ تَحُلُّ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ بِجَيْشِكَ، كَمَا حَلَّ بِالْحُدَيْبِيَةِ، حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهِ، وَهُوَ فَتْحُ مَكَّةَ، وَكَانَ اللَّهُ قَدْ وَعَدَهُ ذَلِكَ.

﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾[6]

الْإِمْلَاءُ: الْإِمْهَالُ، وَأَنْ يُتْرَكَ مُلَاوَةً مِنَ الزَّمَانِ فِي خَفْضٍ وَأَمْنٍ، كَالْبَهِيمَةِ يُمْلِي لَهَا فِي الْمَرْعَى.

وَهَذَا وَعِيدٌ لَهُمْ، وَجَوَابٌ عَنِ اقْتِرَاحِهِمُ الْآيَاتِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– اسْتِهْزَاءً بِهِ وَتَسْلِيَةً لَهُ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ﴾[1]

﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ﴾[2]: احْتِجَاجٌ عَلَيْهِمْ فِي إِشْرَاكِهِمْ بِاللَّهِ، يَعْنِي: أَفَا اللَّهُ الَّذِي هُوَ قَائِمٌ رَقِيبٌ.

﴿عَلَى كُلِّ نَفْسٍ﴾[3]: صَالِحَةٍ أَوْ طَالِحَةٍ.

﴿بِمَا كَسَبَتْ﴾[4]: يَعْلَمُ خَيْرَهُ وَشَرَّهُ، وَيُعِدُّ لِكُلٍّ جَزَاءَهُ، كَمَنْ لَيْسَ كَذَلِكَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُقَدَّرَ مَا يَقَعُ خَبَرًا لِلْمُبْتَدَأِ وَيُعْطَفَ عَلَيْهِ وَجَعَلُوا، وَتَمْثِيلُهُ: أَفَمَنْ هُوَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لَمْ يُوَحِّدُوهُ.

"وَجَعَلُواْ": لَهُ، وَهُوَ اللَّهُ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَحْدَهُ.

﴿شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾[5]، أَيْ: جَعَلْتُمْ لَهُ شُرَكَاءَ فَسَمُّوهُمْ لَهُ مَنْ هُمْ وَنَبِّئُوهُ بِأَسْمَائِهِمْ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿أَمْ تُنَبِّئُونَهُ﴾[6]: عَلَى أَمِ الْمُنْقَطِعَةِ، كَقَوْلِكَ لِلرَّجُلِ: قُلْ لِي مَنْ زَيْدٌ أَمْ هُوَ أَقَلُّ مِنْ أَنْ يُعْرَفَ.

وَمَعْنَاهُ: بَلْ أَتُنَبِّؤُونَهُ بِشُرَكَاءَ، لَا يَعْلَمُهُمْ فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَالِمُ بِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، فَإِذَا لَمْ يَعْلَمْهُمْ عَلِمَ أَنَّهُمْ لَيْسُوا بِشَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِهِ الْعِلْمُ.

وَالْمُرَادُ: نَفْيُ أَنْ يَكُونَ لَهُ شُرَكَاءُ، وَنَحْوُ: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ، أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ﴾[7]: بَلْ أَتُسَمُّونَهُمْ شُرَكَاءَ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لِذَلِكَ حَقِيقَةٌ، كَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ﴾[1]، ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا﴾[2].

وَهَذَا الِاحْتِجَاجُ وَأَسَالِيبُهُ الْعَجِيبَةُ الَّتِي وَرَدَ عَلَيْهَا مُنَادٍ عَلَى نَفْسِهِ بِلِسَانٍ طَلْقٍ ذَلْقٍ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْبَشَرِ لِمَنْ عَرَفَ وَأَنْصَفَ مِنْ نَفْسِهِ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ.

وَقُرِئَ: "أَتُنَبِّئُونَهُ" بِالتَّخْفِيفِ.

﴿مَكْرُهُمْ﴾[3]: كَيْدُهُمْ لِلْإِسْلَامِ بِشِرْكِهِمْ، "وَصُدُّواْ": قُرِئَ بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ.

وَقَرَأَ ابْنُ أَبِي إِسْحَاقَ: ﴿وَصَدٌّ﴾ بِالتَّنْوِينِ.

﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ﴾[4]: وَمَنْ يَخْذُلْهُ لِعِلْمِهِ أَنَّهُ لَا يَهْتَدِي.

﴿فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾[5]: فَمَا لَهُ مِنْ أَحَدٍ يَقْدِرُ عَلَى هِدَايَتِهِ.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[6]: وَهُوَ مَا يَنَالُهُمْ مِنَ الْقَتْلِ وَالْأَسْرِ وَسَائِرِ الْمِحَنِ، وَلَا يَلْحَقُهُمْ إِلَّا عُقُوبَةً لَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ، وَلِذَلِكَ سَمَّاهُ عَذَابًا.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ وَاقٍ﴾[7]: وَمَا لَهُمْ مِنْ حَافِظٍ مِنْ عَذَابِهِ، أَوْ مَا لَهُمْ مِنْ جِهَتِهِ وَاقٍ مِنْ رَحْمَتِهِ.

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾[8]

---

[1] سورة التَّوْبَةُ، الآية 9.

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[8] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ﴾[1]: صِفَتُهَا الَّتِي هِيَ فِي غَرَابَةِ الْمَثَلِ، وَارْتِفَاعُهُ بِالِابْتِدَاءِ، وَالْخَبَرُ مَحْذُوفٌ عَلَى مَذْهَبِ سِيبَوَيْهِ، أَيْ: فِيمَا قَصَصْنَاهُ عَلَيْكُمْ مَثَلُ الْجَنَّةِ، وَقَالَ غَيْرُهُ: الْخَبَرُ: ﴿تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[2]، كَمَا تَقُولُ: صِفَةُ زَيْدٍ أَسْمَرُ.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: مَعْنَاهُ: مَثَلُ الْجَنَّةِ جَنَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، عَلَى حَذْفِ الْمَوْصُوفِ تَمْثِيلًا لِمَا غَابَ عَنَّا بِمَا نُشَاهِدُ.

وَقَرَأَ عَلِيٌّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "أَمْثَالُ الْجَنَّةِ" عَلَى الْجَمْعِ، أَيْ: صِفَاتُهَا، ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ﴾[3]، كَقَوْلِهِ: ﴿لا مَقْطُوعَةٍ وَلا مَمْنُوعَةٍ﴾[4].

﴿وِظِلُّهَا﴾[5]: دَائِمٌ لَا يُنْسَخُ، كَمَا يُنْسَخُ فِي الدُّنْيَا بِالشَّمْسِ.

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾[6]

﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ﴾[7]: يُرِيدُ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ، كَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ وَكَعْبٍ وَأَصْحَابِهِمَا، وَمَنْ أَسْلَمَ مِنَ النَّصَارَى وَهُمْ ثَمَانُونَ رَجُلًا: أَرْبَعُونَ بِنَجْرَانَ، وَاثْنَانِ وَثَلَاثُونَ بِأَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَثَمَانِيَةٌ مِنْ أَهْلِ الْيَمَنِ، هَؤُلَاءِ: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ﴾[8]، يَعْنِي: وَمِنْ أَحْزَابِهِمْ، وَهُمْ كَفَرَتُهُمُ الَّذِينَ تَحَزَّبُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– بِالْعَدَاوَةِ، نَحْوُ: كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَأَصْحَابِهِ، وَالسَّيِّدِ وَالْعَاقِبِ أُسْقُفَيْ نَجْرَانَ وَأَشْيَاعِهِمَا.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الْوَاقِعَةُ، الآية 33.

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[8] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ﴾[1]، لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُنْكِرُونَ الْأَقَاصِيصَ، وَبَعْضَ الْأَحْكَامِ وَالْمَعَانِي هُوَ ثَابِتٌ فِي كُتُبِهِمْ غَيْرُ مُحَرَّفٍ، وَكَانُوا يُنْكِرُونَ مَا هُوَ نَعْتُ الْإِسْلَامِ وَنَعْتُ رَسُولِ اللَّهِ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا حَرَّفُوهُ وَبَدَّلُوهُ مِنَ الشَّرَائِعِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ﴾[2] بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: هُوَ جَوَابٌ لِلْمُنْكِرِينَ، مَعْنَاهُ: قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ فِيمَا أُنْزِلَ إِلَيَّ بِأَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ، فَإِنْكَارُكُمْ لَهُ إِنْكَارٌ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ، فَانْظُرُوا مَاذَا تُنْكِرُونَ مَعَ ادِّعَائِكُمْ وُجُوبَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَأَلَّا يُشْرَكَ بِهِ، ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلا نَعْبُدَ إِلا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾[3].

وَقَرَأَ نَافِعٌ فِي رِوَايَةِ أَبِي خُلَيْدٍ: "وَلَا أُشْرِكُ" بِالرَّفْعِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ كَأَنَّهُ قَالَ: وَأَنَا لَا أُشْرِكُ بِهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ عَلَى مَعْنَى: أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ غَيْرَ مُشْرِكٍ بِهِ.

﴿إِلَيْهِ أَدْعُو﴾[4]: خُصُوصًا لَا أَدْعُو إِلَى غَيْرِهِ.

﴿وَإِلَيْهِ﴾[5]: لَا إِلَى غَيْرِهِ مَرْجِعِي، وَأَنْتُمْ تَقُولُونَ مِثْلَ ذَلِكَ، فَلَا مَعْنَى لِإِنْكَارِكُمْ.

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾[6]

﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ﴾[7]: وَمِثْلَ ذَلِكَ الْإِنْزَالِ أَنْزَلْنَاهُ مَأْمُورًا فِيهِ، بِعِبَادَةِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ وَإِلَى دِينِهِ، وَالْإِنْذَارِ بِدَارِ الْجَزَاءِ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة آلُ عِمْرَانَ، الآية 64.

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿حُكْمًا عَرَبِيًّا﴾[1]: حِكْمَةً عَرَبِيَّةً مُتَرْجَمَةً بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَانْتِصَابُهُ عَلَى الْحَالِ، كَانُوا يَدْعُونَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى أُمُورٍ يُوَافِقُهُمْ عَلَيْهَا مِنْهَا: أَنْ يُصَلِّيَ إِلَى قِبْلَتِهِمْ بَعْدَ مَا حَوَّلَهُ اللَّهُ عَنْهَا، فَقِيلَ لَهُ: لَئِنْ تَابَعْتَهُمْ عَلَى دِينٍ مَا هُوَ إِلَّا أَهْوَاءٌ وَشُبَهٌ بَعْدَ ثُبُوتِ الْعِلْمِ عِنْدَكَ بِالْبَرَاهِينِ وَالْحُجَجِ الْقَاطِعَةِ، خَذَلَكَ اللَّهُ فَلَا يَنْصُرُكَ نَاصِرٌ، وَأَهْلَكَكَ فَلَا يَقِيكَ مِنْهُ وَاقٍ. و

هَذَا مِنْ بَابِ الْإِلْهَابِ وَالتَّهْيِيجِ، وَالْبَعْثِ لِلسَّامِعِينَ عَلَى الثَّبَاتِ فِي الدِّينِ وَالتَّصَلُّبِ فِيهِ، وَأَلَّا يَزِلَّ زَالٌّ عِنْدَ الشُّبْهَةِ بَعْدَ اسْتِمْسَاكِهِ بِالْحُجَّةِ، وَإِلَّا فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِنْ شِدَّةِ الشَّكِيمَةِ بِمَكَانٍ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[2]

كَانُوا يَعِيبُونَهُ بِالزَّوَاجِ وَالْوِلَادِ، كَمَا كَانُوا يَقُولُونَ: مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ، وَكَانُوا يَقْتَرِحُونَ عَلَيْهِ الْآيَاتِ، وَيُنْكِرُونَ النَّسْخَ، فَقِيلَ: كَانَ الرُّسُلُ قَبْلَهُ بَشَرًا مِثْلَهُ ذَوِي أَزْوَاجٍ وَذُرِّيَّةٍ، وَمَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِآيَاتٍ بِرَأْيِهِمْ وَلَا يَأْتُونَ بِمَا يَقْتَرِحُ عَلَيْهِمْ، وَالشَّرَائِعُ مَصَالِحُ تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ وَالْأَوْقَاتِ، فَلِكُلِّ وَقْتٍ حُكْمٌ يُكْتَبُ عَلَى الْعِبَادِ، أَيْ: يُفْرَضُ عَلَيْهِمْ عَلَى مَا يَقْتَضِيهِ اسْتِصْلَاحُهُمْ.

﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[3]: يَنْسَخُ مَا يَسْتَصْوِبُ نَسْخَهُ، وَيُثْبِتُ بَدَلَهُ مَا يَرَى الْمَصْلَحَةَ فِي إِثْبَاتِهِ، أَوْ يَتْرُكُهُ غَيْرَ مَنْسُوخٍ.

وَقِيلَ: يَمْحُو مِنْ دِيوَانِ الْحَفَظَةِ مَا لَيْسَ بِحَسَنَةٍ وَلَا سَيِّئَةٍ، لِأَنَّهُمْ مَأْمُورُونَ بِكَتَبَةِ كُلِّ قَوْلٍ وَفِعْلٍ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿وَيُثْبِتُ﴾[1]: غَيْرَهُ، وَقِيلَ: يَمْحُو كُفْرَ التَّائِبِينَ وَمَعَاصِيَهُمْ بِالتَّوْبَةِ، وَيُثْبِتُ إِيمَانَهُمْ وَطَاعَتَهُمْ.

وَقِيلَ: يَمْحُو بَعْضَ الْخَلَائِقِ وَيُثْبِتُ بَعْضًا مِنَ الْأَنَاسِيِّ، وَسَائِرِ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالْأَشْجَارِ وَصِفَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا، وَالْكَلَامُ فِي نَحْوِ هَذَا وَاسِعُ الْمَجَالِ.

﴿وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[2]: أَصْلُ كُلِّ كِتَابٍ وَهُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ، لِأَنَّ كُلَّ كَائِنٍ مَكْتُوبٌ فِيهِ.

وَقُرِئَ: "وَيَثْبُتُ".

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾[3]

﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ﴾[4]: وَكَيْفَمَا دَارَتِ الْحَالُ أَرَيْنَاكَ مَصَارِعَهُمْ، وَمَا وَعَدْنَاهُمْ مِنْ إِنْزَالِ الْعَذَابِ عَلَيْهِمْ، أَوْ تَوَفَّيْنَاكَ قَبْلَ ذَلِكَ، فَمَا يَجِبُ عَلَيْكَ إِلَّا تَبْلِيغَ الرِّسَالَةِ فَحَسْبُ، وَعَلَيْنَا لَا عَلَيْكَ حِسَابُهُمْ وَجَزَاؤُهُمْ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، فَلَا يُهِمَّنَّكَ إِعْرَاضُهُمْ، وَلَا تَسْتَعْجِلْ بِعَذَابِهِمْ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[5]

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ﴾[6]: أَرْضَ الْكُفْرِ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .
[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[1]: بِمَا نَفْتَحُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ بِلَادِهِمْ، فَنُنْقِصُ دَارَ الْحَرْبِ وَنَزِيدُ فِي دَارِ الْإِسْلَامِ، وَذَلِكَ مِنْ آيَاتِ النُّصْرَةِ وَالْغَلَبَةِ.

وَنَحْوُهُ: ﴿أَفَلا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا﴾[2]، ﴿أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[3]، ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ﴾[4] .

وَالْمَعْنَى: عَلَيْكَ بِالْبَلَاغِ الَّذِي حُمِّلْتَهُ ، وَلَا تَهْتَمَّ بِمَا وَرَاءَ ذَلِكَ، فَنَحْنُ نَكْفِيكَهُ وَنُتِمُّ مَا وَعَدْنَاكَ مِنَ الظَّفَرِ، وَلَا يَضْجُرْكَ تَأَخُّرُهُ، فَإِنَّ ذَلِكَ لِمَا نَعْلَمُ مِنَ الْمَصَالِحِ الَّتِي لَا تَعْلَمُهَا ثُمَّ طَيَّبَ نَفْسَهُ وَنَفَّسَ عَنْهَا بِمَا ذَكَرَ مِنْ طُلُوعِ تَبَاشِيرِ الظَّفَرِ، وَقُرِئَ "نُنَقِّصُهَا" بِالتَّشْدِيدِ.

﴿لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[5]: لَا رَادَّ لِحُكْمِهِ، وَالْمُعَقِّبُ: الَّذِي يَكُرُّ عَلَى الشَّيْءِ فَيُبْطِلُهُ، وَحَقِيقَتُهُ: الَّذِي يُعْقِبُهُ، أَيْ: يُقَفِّيهِ بِالرَّدِّ وَالْإِبْطَالِ. وَمِنْهُ قِيلَ لِصَاحِبِ الْحَقِّ: مُعَقِّبٌ، لِأَنَّهُ يُقَفِّي غَرِيمَهُ بِالِاقْتِضَاءِ وَالطَّلَبِ.

قَالَ لَبِيدٌ:

.....طَلَبُ الْمُعَقِّبِ حَقَّهُ الْمَظْلُومُ

وَالْمَعْنَى: أَنَّهُ حُكْمٌ لِلْإِسْلَامِ بِالْغَلَبَةِ وَالْإِقْبَالِ، وَعَلَى الْكُفْرِ بِالْإِدْبَارِ وَالِانْتِكَاسِ.

﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[6]: فَعَمَّا قَلِيلٍ يُحَاسِبُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ عَذَابِ الدُّنْيَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَحَلُّ قَوْلِهِ: ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾[7]؟

قُلْتُ: هُوَ جُمْلَةٌ مَحَلُّهَا النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَاللَّهُ يَحْكُمُ نَافِذًا حُكْمُهُ، كَمَا تَقُولُ: جَاءَنِي زَيْدٌ لَا عِمَامَةَ عَلَى رَأْسِهِ وَلَا قَلَنْسُوَةَ، تُرِيدُ حَاسِرًا.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الْأَنْبِيَاءُ، الآية 44.

[3] سورة الْأَنْبِيَاءُ، الآية 44.

[4] سورة فُصِّلَتْ، الآية 53.

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[1]

﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[2]: وَصَفَهُمْ بِالْمَكْرِ، ثُمَّ جَعَلَ مَكْرَهُمْ كَلَا مَكْرٍ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَكْرِهِ، فَقَالَ: ﴿فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا﴾[3].

ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾[4]، لِأَنَّ مَنْ عَلِمَ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ، وَأَعَدَّ لَهَا جَزَاءَهَا فَهُوَ الْمَكْرُ كُلُّهُ، لِأَنَّهُ يَأْتِيهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مِمَّا يُرَادُ بِهِمْ.

وَقُرِئَ: "الْكُفَّارُ"، وَ"الْكَافِرُونَ"، وَ"الَّذِينَ كَفَرُوا"، وَالْكُفْرُ: أَيْ: أَهْلُهُ.

وَالْمُرَادُ بِالْكَافِرِ الْجِنْسُ.

وَقَرَأَ جَنَاحُ بْنُ حُبَيْشٍ: "وَسَيُعْلِمُ الْكَافِرَ"، مِنْ أَعْلَمَهُ أَيْ: سَيُخْبِرُ.

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[5]

﴿كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾[6]: لِمَا أَظْهَرَ مِنَ الْأَدِلَّةِ عَلَى رِسَالَتِي.

﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾[7]: وَالَّذِي عِنْدَهُ عِلْمُ الْقُرْآنِ، وَمَا أُلِّفَ عَلَيْهِ مِنَ النَّظْمِ الْمُعْجِزِ الْفَائِتِ لِقُوَى الْبَشَرِ.

وَقِيلَ: وَمَنْ هُوَ مِنْ عُلَمَاءِ أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَسْلَمُوا، لِأَنَّهُمْ يَشْهَدُونَ بِنَعْتِهِ فِي كُتُبِهِمْ، وَقِيلَ: هُوَ اللَّهُ –عَزَّ وَعَلَا– وَالْكِتَابُ: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

---

[1] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[2] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[3] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[4] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[5] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدِ، الآية .

[7] سورة الرَّعْدِ، الآية .

وَعَنِ الْحَسَنِ: لَا وَاللَّهِ، مَا يَعْنِي إِلَّا اللَّهَ، وَالْمَعْنَى: كَفَى بِالَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ وَبِالَّذِي لَا يَعْلَمُ عِلْمَ مَا فِي اللَّوْحِ إِلَّا هُوَ، شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ، وَتُعَضِّدُهُ قِرَاءَةُ مَنْ قَرَأَ: "وَمِنْ عِنْدِهِ عِلْمُ الْكِتَابِ" عَلَى "مِنْ" الْجَارَّةِ، أَيْ: وَمِنْ لَدُنْهُ عِلْمُ الْكِتَابِ، لِأَنَّ عِلْمَ مَنْ عَلِمَهُ مِنْ فَضْلِهِ وَلُطْفِهِ.

وَقُرِئَ: "وَمِنْ عِنْدِهِ عُلِمَ الْكِتَابُ": عَلَى "مِنْ" الْجَارَّةِ، "وَعُلِمَ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَقُرِئَ: "وَبِمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ".

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ ارْتَفَعَ عِلْمُ الْكِتَابِ؟

قُلْتُ: فِي الْقِرَاءَةِ الَّتِي وَقَعَ فِيهَا عَدُّهُ صِلَةً يَرْتَفِعُ الْعِلْمُ بِالْمُقَدَّرِ فِي الظَّرْفِ، فَيَكُونُ فَاعِلًا، لِأَنَّ الظَّرْفَ إِذَا وَقَعَ صِلَةً أَوْغَلَ فِي شَبَهِ الْفِعْلِ لِاعْتِمَادِهِ عَلَى الْمَوْصُولِ، فَعَمِلَ عَمَلَ الْفِعْلِ، كَقَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِالَّذِي فِي الدَّارِ أَخُوهُ، فَأَخُوهُ فَاعِلٌ، كَمَا تَقُولُ: بِالَّذِي اسْتَقَرَّ فِي الدَّارِ أَخُوهُ.

وَفِي الْقِرَاءَةِ الَّتِي لَمْ يَقَعْ فِيهَا عِنْدَهُ صِلَةً يَرْتَفِعُ الْعِلْمُ بِالِابْتِدَاءِ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الرَّعْدِ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِوَزْنِ كُلِّ سَحَابٍ مَضَى وَكُلِّ سَحَابٍ يَكُونُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُوَفِّينَ بِعَهْدِ اللَّهِ".

سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ

سورة إبراهيم

مَكِّيَّةٌ، [إِلَّا آيَتَيْ 28 و 29 فَمَدَنِيَّتَانِ]
وَآيَاتُهَا 52
[نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ نُوحٍ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾[1]

﴿كِتَابٌ﴾[2]: هُوَ كِتَابٌ، يَعْنِي: السُّورَةَ، وَقُرِئَ: "لِيَخْرُجَ النَّاسُ"، وَالظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ: اسْتِعَارَتَانِ لِلضَّلَالِ وَالْهُدَى.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[3]: بِتَسْهِيلِهِ وَتَيْسِيرِهِ، مُسْتَعَارٌ مِنَ الْإِذْنِ الَّذِي هُوَ تَسْهِيلٌ لِلْحِجَابِ، وَذَلِكَ مَا يَمْنَحُهُمْ مِنَ اللُّطْفِ وَالتَّوْفِيقِ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة بْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[1]: بَدَلٌ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِلَى النُّورِ﴾[2] بِتَكْرِيرِ الْعَامِلِ، كَقَوْلِهِ: ﴿لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ﴾[3].

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِئْنَافِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِلَى أَيِّ نُورٍ؟ فَقِيلَ: إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿اللَّهِ﴾[4]: عَطْفُ بَيَانٍ لِلْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، لِأَنَّهُ جَرَى مَجْرَى الْأَسْمَاءِ الْأَعْلَامِ لِغَلَبَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ بِالْمَعْبُودِ الَّذِي تَحِقُّ لَهُ الْعِبَادَةُ كَمَا غُلِّبَ النَّجْمُ فِي الثُّرَيَّا.

وَقُرِئَ بِالرَّفْعِ عَلَى: "هُوَ اللَّهُ"، الْوَيْلُ: نَقِيضُ الْوَأْلِ، وَهُوَ النَّجَاةُ اسْمُ مَعْنًى، كَالْهَلَاكِ ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُشْتَقُّ مِنْهُ فِعْلٌ، إِنَّمَا يُقَالُ: وَيْلًا لَهُ، فَيُنْصَبُ نَصْبَ الْمَصَادِرِ، ثُمَّ يُرْفَعُ رَفْعَهَا، لِإِفَادَةِ مَعْنَى الثَّبَاتِ، فَيُقَالُ: وَيْلٌ لَهُ، كَقَوْلِهِ: "سَلَامٌ عَلَيْكَ"، وَلَمَّا ذَكَرَ الْخَارِجِينَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى نُورِ الْإِيمَانِ، تَوَعَّدَ الْكَافِرِينَ بِالْوَيْلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ اتِّصَالِ قَوْلِهِ: ﴿مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾[5] بِالْوَيْلِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُوَلْوِلُونَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، وَيَضِجُّونَ مِنْهُ، وَيَقُولُونَ: يَا وَيْلَاهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾[6].

﴿الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ﴾[7]: مُبْتَدَأٌ خَبَرُهُ: أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَجْرُورًا صِفَةً لِلْكَافِرِينَ، وَمَنْصُوبًا عَلَى الذَّمِّ، أَوْ مَرْفُوعًا عَلَى أَعْنِي الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ أَوْ هُمُ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ.

وَالِاسْتِحْبَابُ: الْإِيثَارُ وَالِاخْتِيَارُ، وَهُوَ اسْتِفْعَالٌ مِنَ الْمَحَبَّةِ، لِأَنَّ الْمُؤْثِرَ لِلشَّيْءِ عَلَى غَيْرِهِ، كَأَنَّهُ يَطْلُبُ مِنْ نَفْسِهِ أَنْ يَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهَا وَأَفْضَلَ عِنْدَهَا مِنَ الْآخَرِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَيُصِدُّونَ": بِضَمِّ الْيَاءِ وَكَسْرِ الصَّادِ، يُقَالُ: صَدَّهُ عَنْ كَذَا، وَأَصَدَّهُ.

قَالَ:

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 75.

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة الْفُرْقَانُ، الآية 13.

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَالْهَمْزَةُ فِيهِ دَاخِلَةٌ عَلَى صَدَّ صُدُودًا، لِتَنْقِلَهُ مِنْ غَيْرِ التَّعَدِّي إِلَى التَّعَدِّي، وَأَمَّا صَدُّهُ، فَمَوْضُوعٌ عَلَى التَّعْدِيَةِ كَمَنَعَهُ، وَلَيْسَتْ بِفَصِيحَةٍ كَأَوْقَفَهُ، لِأَنَّ الْفُصَحَاءَ اسْتَغْنَوْا بِصَدِّهِ وَوَقْفِهِ عَنْ تَكَلُّفِ التَّعْدِيَةِ بِالْهَمْزَةِ.

﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾[1]: وَيَطْلُبُونَ لِسَبِيلِ اللَّهِ زَيْغًا وَاعْوِجَاجًا، وَأَنْ يَدُلُّوا النَّاسَ عَلَى أَنَّهَا سَبِيلٌ نَاكِبَةٌ عَنِ الْحَقِّ غَيْرُ مُسْتَوِيَةٍ،، وَالْأَصْلُ: وَيَبْغُونَ لَهَا، فَحُذِفَ الْجَارُّ وَأُوصِلَ الْفِعْلُ.

﴿فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[2]، أَيْ: ضَلُّوا عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ، وَوَقَفُوا دُونَهُ بِمَرَاحِلَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى وَصْفِ الضَّلَالِ بِالْبُعْدِ.

قُلْتُ: هُوَ مِنَ الْإِسْنَادِ الْمُجَازِيِّ، وَالْبُعْدُ فِي الْحَقِيقَةِ لِلضَّالِّ، لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي يَتَبَاعَدُ عَنِ الطَّرِيقِ، فَوَصَفَ بِهِ فِعْلَهُ، كَمَا تَقُولُ: جَدَّ جِدُّهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: فِي ضَلَالٍ ذِي بُعْدٍ، أَوْ فِيهِ بُعْدٌ: لِأَنَّ الضَّالَّ عَنِ الطَّرِيقِ مَكَانًا قَرِيبًا وَبَعِيدًا.

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[3]

﴿إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ﴾[4]، أَيْ: لِيَفْقَهُوا عَنْهُ مَا يَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَلَا يَكُونُ لَهُمْ حُجَّةً عَلَى اللَّهِ، وَلَا يَقُولُوا: لَمْ نَفْهَمْ مَا خُوطِبْنَا بِهِ، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾[5].

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: لَمْ يُبْعَثْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِلَى الْعَرَبِ وَحْدَهُمْ، وَإِنَّمَا بُعِثَ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[1]، بَلْ إِلَى الثَّقَلَيْنِ، وَهُمْ عَلَى أَلْسِنَةٍ مُخْتَلِفَةٍ. فَإِنْ لَمْ تَكُنْ لِلْعَرَبِ حُجَّةٌ فَلِغَيْرِهِمُ الْحُجَّةُ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لِغَيْرِهِمْ حُجَّةٌ فَلَوْ نَزَلَ بِالْعَجَمِيَّةِ، لَمْ تَكُنْ لِلْعَرَبِ حُجَّةٌ، أَيْضًا؟

قُلْتُ: لَا يَخْلُو، إِمَّا أَنْ يَنْزِلَ بِجَمِيعِ الْأَلْسِنَةِ أَوْ بِوَاحِدٍ مِنْهَا، فَلَا حَاجَةَ إِلَى نُزُولِهِ بِجَمِيعِ الْأَلْسِنَةِ، لِأَنَّ التَّرْجَمَةَ تَنُوبُ عَنْ ذَلِكَ وَتَكْفِي التَّطْوِيلَ، فَبَقِيَ أَنْ يَنْزِلَ بِلِسَانٍ وَاحِدٍ، فَكَانَ أَوْلَى الْأَلْسِنَةِ لِسَانُ قَوْمِ الرَّسُولِ، لِأَنَّهُمْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ.

فَإِذَا فَهِمُوا عَنْهُ وَتَبَيَّنُوهُ وَتُنُوقِلَ عَنْهُمْ وَانْتَشَرَ، قَامَتِ التَّرَاجِمُ بِبَيَانِهِ وَتَفْهِيمِهِ، كَمَا تَرَى الْحَالَ وَتُشَاهِدُهَا مِنْ نِيَابَةِ التَّرَاجِمِ فِي كُلِّ أُمَّةٍ مِنْ أُمَمِ الْعَجَمِ، مَعَ مَا فِي ذَلِكَ مِنِ اتِّفَاقِ أَهْلِ الْبِلَادِ الْمُتَبَاعِدَةِ، وَالْأَقْطَارِ الْمُتَنَازِحَةِ وَالْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَجْيَالِ الْمُتَفَاوِتَةِ، عَلَى كِتَابٍ وَاحِدٍ، وَاجْتِهَادِهِمْ فِي تَعَلُّمِ لَفْظِهِ وَتَعَلُّمِ مَعَانِيهِ، وَمَا يَتَشَعَّبُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ جَلَائِلِ الْفَوَائِدِ، وَمَا يَتَكَاثَرُ فِي إِتْعَابِ النُّفُوسِ وَكَدِّ الْقَرَائِحِ فِيهِ، مِنَ الْقُرْبِ وَالطَّاعَاتِ الْمُفْضِيَةِ إِلَى جَزِيلِ الثَّوَابِ، وَلِأَنَّهُ أَبْعَدُ مِنَ التَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ، وَأَسْلَمُ مِنَ التَّنَازُعِ وَالِاخْتِلَافِ، وَلِأَنَّهُ لَوْ نَزَلَ بِأَلْسِنَةِ الثَّقَلَيْنِ كُلِّهَا –مَعَ اخْتِلَافِهَا وَكَثْرَتِهَا، وَكَانَ مُسْتَقِلًّا بِصِفَةِ الْإِعْجَازِ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، وَكَلَّمَ الرَّسُولُ الْعَرَبِيُّ كُلَّ أُمَّةٍ بِلِسَانِهَا كَمَا كَلَّمَ أُمَّتَهُ الَّتِي هُوَ مِنْهَا يَتْلُوهُ عَلَيْهِمْ مُعْجِزًا– لَكَانَ ذَلِكَ أَمْرًا قَرِيبًا مِنَ الْإِلْجَاءِ.

وَمَعْنَى: ﴿بِلِسَانِ قَوْمِهِ﴾[2]: بِلُغَةِ قَوْمِهِ، وَقُرِئَ: "بِلِسْنِ قَوْمِهِ"، وَاللِّسْنُ وَاللِّسَانُ: كَالرِّيشِ وَالرِّيَاشِ، بِمَعْنَى اللُّغَةِ.

وَقُرِئَ: "بِلُسُنِ قَوْمِهِ": بِضَمِّ اللَّامِ وَالسِّينِ مَضْمُومَةً أَوْ سَاكِنَةً، وَهُوَ جَمْعُ لِسَانٍ، كَعِمَادٍ وَعُمُدٍ وَعُمْدٍ عَلَى التَّخْفِيفِ، وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي قَوْمِهِ لِمُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَرَوَوْهُ عَنِ الضَّحَّاكِ، وَأَنَّ الْكُتُبَ كُلَّهَا نَزَلَتْ بِالْعَرَبِيَّةِ، ثُمَّ أَدَّاهَا كُلُّ نَبِيٍّ بِلُغَةِ قَوْمِهِ، وَلَيْسَ بِصَحِيحٍ، لِأَنَّ قَوْلَهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ ضَمِيرُ الْقَوْمِ وَهُمُ الْعَرَبُ، فَيُؤَدِّي إِلَى أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ مِنَ السَّمَاءِ بِالْعَرَبِيَّةِ لِيُبَيِّنَ لِلْعَرَبِ. وَهَذَا مَعْنًى فَاسِدٌ.

---

[1] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 158.

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[1]، كَقَوْلِهِ: ﴿فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ﴾[2]، لِأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِلُّ إِلَّا مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ، وَلَا يَهْدِي إِلَّا مَنْ يَعْلَمُ أَنَّهُ يُؤْمِنُ.

وَالْمُرَادُ بِالْإِضْلَالِ: التَّخْلِيَةُ وَمَنْعُ الْأَلْطَافِ، وَبِالْهِدَايَةِ: التَّوْفِيقُ وَاللُّطْفُ، فَكَانَ ذَلِكَ كِنَايَةً عَنِ الْكُفْرِ وَالْإِيمَانِ.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾[3]: فَلَا يُغْلَبُ عَلَى مَشِيئَتِهِ، ﴿الْحَكِيمُ﴾[4]: فَلَا يَخْذُلُ إِلَّا أَهْلَ الْخِذْلَانِ، وَلَا يَلْطُفُ إِلَّا بِأَهْلِ اللُّطْفِ.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[5]

﴿أَنْ أَخْرِجْ﴾[6]، بِمَعْنَى: أَيْ: أَخْرِجْ، لِأَنَّ الْإِرْسَالَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: أَرْسَلْنَاهُ، وَقُلْنَا لَهُ: أَخْرِجْ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿أَنْ﴾[7] النَّاصِبَةُ لِلْفِعْلِ، وَإِنَّمَا صَلَحَ أَنْ تُوصَلَ بِفِعْلِ الْأَمْرِ، لِأَنَّ الْغَرَضَ وَصْلُهَا بِمَا تَكُونُ مَعَهُ فِي تَأْوِيلِ الْمَصْدَرِ، وَهُوَ الْفِعْلُ وَالْأَمْرُ، وَغَيْرُهُ سَوَاءٌ فِي الْفِعْلِيَّةِ.

وَالدَّلِيلُ عَلَى جَوَازِ أَنْ تَكُونَ النَّاصِبَةَ لِلْفِعْلِ: قَوْلُهُمْ: ﴿أَوْعَزَ إِلَيْهِ بِأَنِ افْعَلْ﴾[8]، فَأَدْخَلُوا عَلَيْهَا حَرْفَ الْجَرِّ، وَكَذَلِكَ التَّقْدِيرُ بِأَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ.

---

1 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

2 سورة التَّغَابُنُ، الآية 22.

3 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

4 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

5 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

6 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

7 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

8 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾[1]: وَأَنْذِرْهُمْ بِوَقَائِعِهِ الَّتِي وَقَعَتْ عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَهُمْ: قَوْمِ نُوحٍ، وَعَادٍ، وَثَمُودَ، وَمِنْهُ أَيَّامُ الْعَرَبِ، لِحُرُوبِهَا وَمَلَاحِمِهَا، كَيَوْمِ ذِي قَارٍ، وَيَوْمِ الْفِجَارِ، وَيَوْمِ قَضَّةَ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ الظَّاهِرُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: نَعْمَاؤُهُ وَبَلَاؤُهُ. فَأَمَّا نَعْمَاؤُهُ، فَإِنَّهُ ظَلَّلَ عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، وَفَلَقَ لَهُمُ الْبَحْرَ.

وَأَمَّا بَلَاؤُهُ: فَإِهْلَاكُ الْقُرُونِ.

﴿لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾[2]: يَصْبِرُ عَلَى بَلَاءِ اللَّهِ وَيَشْكُرُ نَعْمَاءَهُ، فَإِذَا سَمِعَ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْبَلَاءِ عَلَى الْأُمَمِ، أَوْ أَفَاضَ عَلَيْهِمْ مِنَ النِّعَمِ، تَنَبَّهُ عَلَى مَا يَجِبُ عَلَيْهِ مِنَ الصَّبْرِ وَالشُّكْرِ وَاعْتَبَرَ.

وَقِيلَ: أَرَادَ لِكُلِّ مُؤْمِنٍ، لِأَنَّ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ سَجَايَاهُمْ، تَنْبِيهًا عَلَيْهِمْ.

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾[3]

﴿إِذْ أَنْجَاكُمْ﴾[4]: ظَرْفٌ لِلنِّعْمَةِ بِمَعْنَى الْإِنْعَامِ، أَيْ: إِنْعَامُهُ عَلَيْكُمْ ذَلِكَ الْوَقْتَ.

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ يَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ بِعَلَيْكُمْ؟

قُلْتُ: لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ صِلَةً لِلنِّعْمَةِ بِمَعْنَى الْإِنْعَامِ، أَوْ غَيْرَ صِلَةٍ إِذَا أَرَدْتَ بِالنِّعْمَةِ الْعَطِيَّةَ. فَإِذَا كَانَ صِلَةً لَمْ يَعْمَلْ فِيهِ؛ وَإِذَا كَانَ غَيْرَ صِلَةٍ، بِمَعْنَى: اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ مُسْتَقِرَّةً عَلَيْكُمْ عَمِلَ فِيهِ.

وَيَتَبَيَّنُ الْفَرْقُ بَيْنَ الْوَجْهَيْنِ أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، فَإِنْ جَعَلْتَهُ صِلَةً، لَمْ يَكُنْ كَلَامًا حَتَّى تَقُولَ فَائِضَةً أَوْ نَحْوَهَا، وَإِلَّا كَانَ كَلَامًا.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿إِذْ﴾[1]: بَدَلًا مِنْ نِعْمَةِ اللَّهِ، أَيْ: اذْكُرُوا وَقْتَ إِنْجَائِكُمْ، وَهُوَ بَدَلُ الِاشْتِمَالِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ: ﴿يُذَبِّحُونَ﴾[2]، وَفِي الْأَعْرَافِ: ﴿يُقَتِّلُونَ﴾[3]، وَهَهُنَا: ﴿وَيُذَبِّحُونَ﴾[4] مَعَ الْوَاوِ، فَمَا الْفَرْقُ؟

قُلْتُ: الْفَرْقُ أَنَّ التَّذْبِيحَ حَيْثُ طَرَحَ الْوَاوَ جُعِلَ تَفْسِيرًا لِلْعَذَابِ وَبَيَانًا لَهُ، وَحَيْثُ أَثْبَتَ جَعَلَ التَّذْبِيحَ، لِأَنَّهُ أَوْفى عَلَى جِنْسِ الْعَذَابِ، وَزَادَ عَلَيْهِ زِيَادَةً ظَاهِرَةً كَأَنَّهُ جِنْسٌ آخَرُ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ كَانَ فِعْلُ آلِ فِرْعَوْنَ بَلَاءً مِنْ رَبِّهِمْ؟

قُلْتُ: تَمْكِينُهُمْ وَإِمْهَالُهُمْ، حَتَّى فَعَلُوا مَا فَعَلُوا ابْتِلَاءً مِنَ اللَّهِ، وَوَجْهٌ آخَرُ، وَهُوَ: أَنَّ ذَلِكَ إِشَارَةٌ إِلَى الْإِنْجَاءِ وَهُوَ بَلَاءٌ عَظِيمٌ، وَالْبَلَاءُ يَكُونُ ابْتِلَاءً بِالنِّعْمَةِ وَالْمِحْنَةِ جَمِيعًا، قَالَ -تَعَالَى-: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾[5].

وَقَالَ زُهَيْرٌ:

.....فَأَبْلَاهُمَا خَيْرَ الْبَلَاءِ الَّذِي يَبْلُوا

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[6]

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾[7]: مِنْ جُمْلَةِ مَا قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ، وَانْتِصَابُهُ لِلْعَطْفِ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾[8]، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، وَاذْكُرُوا حِينَ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة الْأَنْبِيَاءُ، الآية 35.

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[8] سورة الْمَائِدَةُ، الآية 20.

وَمَعْنَى تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ: أَذِنَ رَبُّكُمْ، وَنَظِيرُ تَأَذَّنَ وَأَذِنَ: تَوَعَّدَ وَأَوْعَدَ، تَفَضَّلَ وَأَفْضَلَ، وَلَا بُدَّ فِي تَفَعَّلَ مِنْ زِيَادَةِ مَعْنًى لَيْسَ فِي أَفْعَلَ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَإِذْ أَذِنَ رَبُّكُمْ إِيذَانًا بَلِيغًا تَنْتَفِي عِنْدَهُ الشُّكُوكُ وَتَنْزَاحُ الشُّبَهُ.

وَالْمَعْنَى: وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ، فَقَالَ: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ﴾[1]، أَوْ أَجْرَى ﴿تَأَذَّنَ﴾[2]: مَجْرَى قَالَ: لِأَنَّهُ ضَرْبٌ مِنَ الْقَوْلِ.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "وَإِذْ قَالَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ"، أَيْ: لَئِنْ شَكَرْتُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مَا خَوَّلْتُكُمْ مِنْ نِعْمَةِ الْإِنْجَاءِ وَغَيْرِهَا مِنَ النِّعَمِ بِالْإِيمَانِ الْخَالِصِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾[3]: نِعْمَةً إِلَى نِعْمَةٍ، وَلَأُضَاعِفَنَّ لَكُمْ مَا آتَيْتُكُمْ.

﴿وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ﴾[4]: وَغَمَطْتُمْ مَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ.

﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾[5]: لِمَنْ كَفَرَ نِعْمَتِي.

﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[6]

﴿وَقَالَ مُوسَى﴾[7]: إِنْ كَفَرْتُمْ أَنْتُمْ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ، فَإِنَّمَا ضَرَرْتُمْ أَنْفُسَكُمْ وَحَرَمْتُمُوهَا الْخَيْرَ الَّذِي لَا بُدَّ لَكُمْ مِنْهُ وَأَنْتُمْ إِلَيْهِ مَحَاوِيجُ، وَاللَّهُ غَنِيٌّ عَنْ شُكْرِكُمْ.

﴿حَمِيدٌ﴾[8]: مُسْتَوْجِبٌ لِلْحَمْدِ بِكَثْرَةِ أَنْعُمِهِ وَأَيَادِيهِ، وَإِنْ لَمْ يَحْمَدْهُ الْحَامِدُونَ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[8] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾[1]

﴿وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلا اللَّهُ﴾[2]: جُمْلَةٌ مِنْ مُبْتَدَأٍ وَخَبَرٍ، وَقَعَتِ اعْتِرَاضًا: أَوْ عَطَفَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ عَلَى قَوْمِ نُوحٍ.

وَ﴿لا يَعْلَمُهُمْ إِلاَّ اللَّهُ﴾[3]: اعْتِرَاضٌ، وَالْمَعْنَى: أَنَّهُمْ مِنَ الْكَثْرَةِ بِحَيْثُ لَا يَعْلَمُ عَدَدَهُمْ إِلَّا اللَّهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ثَلَاثُونَ أَبًا لَا يُعْرَفُونَ.

وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ إِذَا قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ قَالَ: كَذَبَ النَّسَّابُونَ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَدَّعُونَ عِلْمَ الْأَنْسَابِ، وَقَدْ نَفى اللَّهُ عِلْمَهَا عَنِ الْعِبَادِ.

﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾[4]: فَعَضُّوهَا غَيْظًا وَضَجَرًا مِمَّا جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ، كَقَوْلِهِ: ﴿عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ﴾[5]، أَوْ ضَحِكًا وَاسْتِهْزَاءً كَمَنْ غَلَبَهُ الضَّحِكُ فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى فِيهِ، أَوْ وَأَشَارُوا بِأَيْدِيهِمْ إِلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَمَا نَطَقَتْ بِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾[6]، أَيْ: هَذَا جَوَابُنَا لَكُمْ لَيْسَ عِنْدَنَا غَيْرُهُ، إِقْنَاطًا لَهُمْ مِنَ التَّصْدِيقِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ﴾[7]؟

وَهَذَا قَوْلٌ قَوِيٌّ، أَوْ وَضَعُوهَا عَلَى أَفْوَاهِهِمْ يَقُولُونَ لِلْأَنْبِيَاءِ: أَطْبِقُوا أَفْوَاهَكُمْ وَاسْكُتُوا، أَوْ رَدُّوهَا فِي أَفْوَاهِ الْأَنْبِيَاءِ يُشِيرُونَ لَهُمْ إِلَى السُّكُونِ، أَوْ وَضَعُوهَا عَلَى أَفْوَاهِهِمْ يُسْكِتُونَهُمْ وَلَا يَدَرُونَهُمْ يَتَكَلَّمُونَ.

---

1 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
2 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
3 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
4 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
5 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
6 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
7 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَقِيلَ: الْأَيْدِي، جَمْعُ يَدٍ، وَهِيَ النِّعْمَةُ بِمَعْنَى الْأَيَادِي، أَيْ: رَدُّوا نِعَمَ الْأَنْبِيَاءِ الَّتِي هِيَ أَجَلُّ النِّعَمِ مِنْ مَوَاعِظِهِمْ وَنَصَائِحِهِمْ، وَمَا أُوحِيَ إِلَيْهِمْ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْآيَاتِ فِي أَفْوَاهِهِمْ، لِأَنَّهُمْ إِذَا كَذَّبُوهَا وَلَمْ يَقْبَلُوهَا، فَكَأَنَّهُمْ رَدُّوهَا فِي أَفْوَاهِهِمْ وَرَجَعُوهَا مِنْهُ عَلَى طَرِيقِ الْمَثَلِ.

﴿مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ﴾[1]: مِنَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ.

وَقُرِئَ: "تَدْعُونَّا" بِإِدْغَامِ النُّونِ.

﴿مُرِيبٍ﴾[2]: مُوقِعٌ فِي الرِّيبَةِ أَوْ ذِي رِيبَةٍ، مِنْ أَرَابَهُ، وَأَرَابَ الرَّجُلُ، وَهِيَ قَلَقُ النَّفْسِ وَأَلَّا تَطْمَئِنَّ إِلَى الْأَمْرِ.

﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[3]

﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ﴾[4]: أُدْخِلَتْ هَمْزَةُ الْإِنْكَارِ عَلَى الظَّرْفِ، لِأَنَّ الْكَلَامَ لَيْسَ فِي الشَّكِّ، إِنَّمَا هُوَ فِي الْمَشْكُوكِ فِيهِ، وَأَنَّهُ لَا يَحْتَمِلُ الشَّكَّ لِظُهُورِ الْأَدِلَّةِ وَشَهَادَتِهَا عَلَيْهِ.

﴿يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[5]، أَيْ: يَدْعُوكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ لِيَغْفِرَ لَكُمْ أَوْ يَدْعُوكُمْ لِأَجْلِ الْمَغْفِرَةِ، كَقَوْلِهِ: دَعَوْتُهُ لِيَنْصُرَنِي، وَدَعَوْتُهُ لِيَأْكُلَ مَعِي، وَقَالَ:

دَعَوْتُ – لِمَا نَابَنِي– مِسْوَرًا... فَلَبَّى فَلَبَّى يَدَيْ مِسْوَرِ

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى التَّبْعِيضِ فِي قَوْلِهِ: مِنْ ذُنُوبِكُمْ؟

قُلْتُ: مَا عَلِمْتُهُ جَاءَ هَكَذَا إِلَّا فِي خِطَابِ الْكَافِرِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[6]، ﴿يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ﴾[7]، وَقَالَ

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة نُوحٌ، الآيتان 3–4.

[7] سورة الْأَحْقَافُ، الآية 31.

فِي خِطَابِ الْمُؤْمِنِينَ: ﴿هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[1]، إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[2]، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَقِفُكَ عَلَيْهِ الِاسْتِقْرَاءُ، وَكَانَ ذَلِكَ لِلتَّفْرِقَةِ بَيْنَ الْخِطَابَيْنِ، وَلِئَلَّا يُسَوِّيَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ فِي الْمِيعَادِ.

وَقِيلَ: أُرِيدَ أَنَّهُ يَغْفِرُ لَهُمْ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ، بِخِلَافِ مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْعِبَادِ مِنَ الْمَظَالِمِ وَنَحْوِهَا.

﴿وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[3]: إِلَى وَقْتٍ قَدْ سَمَّاهُ اللَّهُ وَبَيَّنَ مِقْدَارَهُ، يُبَلِّغُكُمُوهُ إِنْ آمَنْتُمْ، وَإِلَّا عَاجَلَكُمْ بِالْهَلَاكِ قَبْلَ ذَلِكَ الْوَقْتِ.

﴿إِنْ أَنْتُمْ﴾[4]: مَا أَنْتُمْ.

﴿إِلاَّ بَشَرٌ مِثْلُنَا﴾[5]: لَا فَضْلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، وَلَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْنَا، فَلِمَ تُخَصُّونَ بِالنُّبُوَّةِ دُونَنَا، وَلَوْ أَرْسَلَ اللَّهُ إِلَى الْبَشَرِ رُسُلًا، لَجَعَلَهُمْ مِنْ جِنْسٍ أَفْضَلَ مِنْهُمْ وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾[6]: بِحُجَّةٍ بَيِّنَةٍ، وَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالْحُجَجِ، وَإِنَّمَا أَرَادُوا بِالسُّلْطَانِ الْمُبِينِ آيَةً قَدِ اقْتَرَحُوهَا تَعَنُّتًا وَلَجَاجًا.

﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[7]

---

[1] سورة الصَّفُّ، الآية 10.

[2] سورة الصَّفُّ، الآية 12.

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾[1]: تَسْلِيمٌ لِقَوْلِهِمْ، وَأَنَّهُمْ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، يَعْنُونَ: أَنَّهُمْ مِثْلُهُمْ فِي الْبَشَرِيَّةِ وَحْدَهَا، فَأَمَّا مَا وَرَاءَ ذَلِكَ فَمَا كَانُوا مِثْلَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يَذْكُرُوا فَضْلَهُمْ تَوَاضُعًا مِنْهُمْ، وَاقْتَصَرُوا عَلَى قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مَنْ عِبَادِهِ﴾[2]: بِالنُّبُوَّةِ، لِأَنَّهُ قَدْ عُلِمَ أَنَّهُ لَا يَخْتَصُّهُمْ بِتِلْكَ الْكَرَامَةِ إِلَّا وَهُمْ أَهْلٌ لِاخْتِصَاصِهِمْ بِهَا، لِخَصَائِصَ فِيهِمْ قَدِ اسْتَأْثَرُوا بِهَا عَلَى أَبْنَاءِ جِنْسِهِمْ.

﴿إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[3]: أَرَادُوا أَنَّ الْإِتْيَانَ بِالْآيَةِ الَّتِي اقْتَرَحْتُمُوهَا لَيْسَ إِلَيْنَا وَلَا فِي اسْتِطَاعَتِنَا، وَمَا هُوَ إِلَّا أَمْرٌ يَتَعَلَّقُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[4]: أَمْرٌ مِنْهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ كَافَّةً بِالتَّوَكُّلِ، وَقَصَدُوا بِهِ أَنْفُسَهُمْ قَصْدًا أَوَّلِيًا وَأَمَرُوهَا بِهِ، كَأَنَّهُمْ قَالُوا: وَمِنْ حَقِّنَا أَنْ نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ فِي الصَّبْرِ عَلَى مُعَانَدَتِكُمْ وَمُعَادَاتِكُمْ وَمَا يَجْرِي عَلَيْنَا مِنْكُمْ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا لَنَا أَلا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ﴾[5]، وَمَعْنَاهُ: وَأَيُّ عُذْرٍ لَنَا فِي أَنْ لَا نَتَوَكَّلَ عَلَيْهِ.

﴿وَقَدْ هَدَانَا﴾[6]: وَقَدْ فَعَلَ بِنَا مَا يُوجِبُ تَوَكُّلَنَا عَلَيْهِ، وَهُوَ التَّوْفِيقُ لِهِدَايَةِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا سَبِيلَهُ الَّذِي يَجِبُ عَلَيْهِ سُلُوكُهُ فِي الدِّينِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ كَرَّرَ الْأَمْرَ بِالتَّوَكُّلِ؟

قُلْتُ: الْأَوَّلُ لِاسْتِحْدَاثِ التَّوَكُّلِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾[7]، مَعْنَاهُ: فَلْيَثْبُتِ الْمُتَوَكِّلُونَ عَلَى مَا اسْتَحْدَثُوا مِنْ تَوَكُّلِهِمْ وَقَصْدِهِمْ إِلَى أَنْفُسِهِمْ عَلَى مَا تَقَدَّمَ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾[1]

﴿لَنُخْرِجَنَّكُمْ، أَوْ لَتَعُودُنَّ﴾[2]: لِيَكُونُنَّ أَحَدُ الْأَمْرَيْنِ لَا مَحَالَةَ، إِمَّا إِخْرَاجُكُمْ وَإِمَّا عُودُكُمْ حَالِفِينَ عَلَى ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى مِلَّتِهِمْ حَتَّى يَعُودُوا فِيهَا.

قُلْتُ: مَعَاذَ اللَّهِ، وَلَكِنَّ الْعَوْدَ بِمَعْنَى: الصَّيْرُورَةِ، وَهُوَ كَثِيرٌ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ كَثْرَةً فَاشِيَةً لَا تَكَادُ تَسْمَعُهُمْ يَسْتَعْمِلُونَ صَارَ، وَلَكِنْ عَادَ، مَا عُدْتَ أَرَاهُ عَادِلًا يُكَلِّمُنِي، مَا عَادَ لِفُلَانٍ مَالٌ، أَوْ خَاطَبُوا بِهِ كُلَّ رَسُولٍ وَمَنْ آمَنَ بِهِ، فَغَلَّبُوا فِي الْخِطَابِ الْجَمَاعَةَ عَلَى الْوَاحِدِ.

﴿لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾[3]: حِكَايَةٌ تَقْتَضِي إِضْمَارَ الْقَوْلِ، أَوْ إِجْرَاءَ الْإِيجَاءِ مَجْرَى الْقَوْلِ، لِأَنَّهُ ضَرْبٌ مِنْهُ.

وَقَرَأَ أَبُو حَيْوَةَ: "لَيُهْلِكَنَّ"، "وَلِيُسْكِنَنَّكُمْ" بِالْيَاءِ اعْتِبَارًا لِأَوْحَى، وَأَنَّ لَفْظَهُ لَفْظُ الْغَيْبَةِ، وَنَحْوُهُ قَوْلُكَ: أَقْسَمَ زَيْدٌ لِيَخْرُجَنَّ وَلَأَخْرُجَنَّ.

وَالْمُرَادُ بِالْأَرْضِ: أَرْضُ الظَّالِمِينَ وَدِيَارُهُمْ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا﴾[4]، ﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ﴾[5].

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ آذَى جَارَهُ وَرَّثَهُ اللَّهُ دَارَهُ".

وَلَقَدْ عَايَنْتُ هَذَا فِي مُدَّةٍ قَرِيبَةٍ: كَانَ لِي خَالٌ يَظْلِمُهُ عَظِيمُ الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنَا مِنْهَا وَيُؤْذِينِي فِيهِ، فَمَاتَ ذَلِكَ الْعَظِيمُ وَمَلَّكَنِي اللَّهُ ضَيْعَتَهُ، فَنَظَرْتُ يَوْمًا إِلَى أَبْنَاءِ خَالِي يَتَرَدَّدُونَ فِيهَا وَيَدْخُلُونَ فِي دُورِهَا، وَيَخْرُجُونَ وَيَأْمُرُونَ وَيَنْهَوْنَ، فَذَكَرْتَ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَحَدَّثْتُهُمْ بِهِ، وَسَجَدْنَا شُكْرًا لِلَّهِ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِ الْأَعْرَافُ، الآية 137.

[5] سورة إِ الْأَحْزَابُ، الآية 27.

﴿ذَلِكَ﴾[1]: إِشَارَةٌ إِلَى مَا قَضَى بِهِ اللَّهُ مِنْ إِهْلَاكِ الظَّالِمِينَ، وَإِسْكَانِ الْمُؤْمِنِينَ دِيَارَهُمْ، أَيْ: ذَلِكَ الْأَمْرُ حَقٌّ.

﴿لِمَنْ خَافَ مَقَامِي﴾[2]: مَوْقِفِي وَهُوَ مَوْقِفُ الْحِسَابِ، لِأَنَّهُ مَوْقِفُ اللَّهِ الَّذِي يَقِفُ فِيهِ عِبَادُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَوْ عَلَى إِقْحَامِ الْمُقَامِ.

وَقِيلَ: خَافَ قِيَامِي عَلَيْهِ وَحِفْظِي لِأَعْمَالِهِ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ لِلْمُتَّقِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[3].

﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[4]

﴿وَاسْتَفْتَحُوا﴾[5]: وَاسْتَنْصَرُوا اللَّهَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ﴾[6]: أَوِ اسْتَحْكَمُوا اللَّهَ، وَسَأَلُوهُ الْقَضَاءَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفَتَاحَةِ وَهِيَ الْحُكُومَةُ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ﴾[7]، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ﴾[8].

وَقُرِئَ: "وَاسْتَفْتِحُوا" بِلَفْظِ الْأَمْرِ، وَعَطْفُهُ عَلَى: ﴿لَنُهْلِكَنَّ﴾[9]، أَيْ: أَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ، وَقَالَ لَهُمْ: لَنُهْلِكَنَّ، وَقَالَ لَهُمْ: اسْتَفْتِحُوا

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة الْقَصَصُ، الآية 83.

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة الْأَنْفَالُ، الآية 19.

[7] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 89.

[8] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[9] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾[1]، مَعْنَاهُ: فَنُصِرُوا وَظَفِرُوا وَأَفْلَحُوا، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ، وَهُمْ قَوْمُهُمْ.

وَقِيلَ: وَاسْتَفْتَحَ الْكُفَّارُ عَلَى الرُّسُلِ، ظَنًّا مِنْهُمْ بِأَنَّهُمْ عَلَى الْحَقِّ وَالرُّسُلَ عَلَى الْبَاطِلِ، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْهُمْ وَلَمْ يُفْلِحْ بِاسْتِفْتَاحِهِ.

﴿مِنْ وَرَائِهِ﴾[2]: مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.

قَالَ:

عَسَى الْكَرْبُ الَّذِي أَمْسَيْتَ فِيهِ... يَكُونُ وَرَاءَهُ فَرَجٌ قَرِيبُ

وَهَذَا وَصْفُ حَالِهِ وَهُوَ فِي الدُّنْيَا، لِأَنَّهُ مَرْصَدٌ لِجَهَنَّمَ، فَكَأَنَّهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ عَلَى شَفِيرِهَا أَوْ وَصْفُ حَالِهِ فِي الْآخِرَةِ حِينَ يُبْعَثُ وَيُوقَفُ.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ عُطِفَ ﴿وَيُسْقَى﴾[3]؟

قُلْتُ: عَلَى مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ يَلْقَى فِيهَا مَا يَلْقَى وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ، كَأَنَّهُ أَشَدَّ عَذَابِهَا، فَخُصِّصَ بِالذِّكْرِ مَعَ قَوْلِهِ: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾.[4]

فَإِنْ قُلْتَ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ﴾[5]؟

قُلْتُ: صَدِيدٌ عَطْفُ بَيَانٍ لِمَاءٍ، قَالَ: ﴿وَيُسْقَى مِنْ مَّاءٍ﴾[6]، فَأَبْهَمَهُ إِبْهَامًا ثُمَّ بَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿صَدِيدٍ﴾[7]، وَهُوَ مَا يَسِيلُ مِنْ جُلُودِ أَهْلِ النَّارِ.

﴿يَتَجَرَّعُهُ﴾[8]: يَتَكَلَّفُ جَرْعَهُ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[8] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ﴾[1]: دَخَلَ كَادَ لِلْمُبَالَغَةِ، يَعْنِي: وَلَا يُقَارِبُ أَنْ يُسِيغَهُ، فَكَيْفَ تَكُونُ الْإِسَاغَةُ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا﴾[2]، أَيْ: لَمْ يَقْرُبْ مِنْ رُؤْيَتِهَا فَكَيْفَ يَرَاهَا؟

﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ﴾[3]: كَأَنَّ أَسْبَابَ الْمَوْتِ وَأَصْنَافَهُ كُلَّهَا قَدْ تَأَلَّبَتْ عَلَيْهِ وَأَحَاطَتْ بِهِ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ، تَفْظِيعًا لِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْآلَامِ.

وَقِيلَ: "مِنْ كُلِّ مَكَانٍ": مِنْ جَسَدِهِ حَتَّى مِنْ إِبْهَامِ رِجْلِهِ.

وَقِيلَ: مِنْ أَصْلِ كُلِّ شَعْرَةٍ.

﴿وَمِنْ وَرَائِهِ﴾[4]: وَمِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ.

﴿عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾[5]، أَيْ: فِي كُلِّ وَقْتٍ يَسْتَقْبِلُهُ يَتَلَقَّى عَذَابًا أَشَدَّ مِمَّا قَبْلَهُ وَأَغْلَظَ.

وَعَنِ الْفُضَيْلِ: هُوَ قَطْعُ الْأَنْفَاسِ وَحَبْسُهَا فِي الْأَجْسَادِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَهْلُ مَكَّةَ قَدِ اسْتَفْتَحُوا، أَيْ: اسْتَمْطَرُوا -وَالْفَتْحُ: الْمَطَرُ- فِي سِنِي الْقَحْطِ الَّتِي أَرْسَلَتْ عَلَيْهِمْ بِدَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَلَمْ يُسْقَوْا، فَذَكَرَ -سُبْحَانَهُ- ذَلِكَ، وَأَنَّهُ خَيَّبَ رَجَاءَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ وَأَنَّهُ يُسْقَى فِي جَهَنَّمَ بَدَلَ سُقْيَاهُ مَاءً آخَرَ، وَهُوَ صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ، وَاسْتَفْتَحُوا -عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ-: كَلَامٌ مُسْتَأْنَفٌ مُنْقَطِعٌ عَنْ حَدِيثِ الرُّسُلِ وَأُمَمِهِمْ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾[6]

هُوَ مُبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ الْخَبَرِ عِنْدَ سِيبَوَيْهِ، تَقْدِيرُهُ: وَفِيمَا يُقَصُّ عَلَيْكَ.

﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ﴾[7]: وَالْمَثَلُ مُسْتَعَارٌ لِلصِّفَةِ الَّتِي فِيهَا غَرَابَةٌ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة النُّورُ، الآية 40.

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَقَوْلُهُ: ﴿أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ﴾[1]: جُمْلَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ عَلَى تَقْدِيرِ سُؤَالِ سَائِلٍ يَقُولُ: كَيْفَ مَثَلُهُمْ؟ فَقِيلَ : أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: مَثَلُ أَعْمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ، أَوْ هَذِهِ الْجُمْلَةُ خَبَرًا لِلْمُبْتَدَأِ، أَيْ: صِفَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ، كَقَوْلِكَ: صِفَةُ زَيْدٍ عِرْضُهُ مَصُونٌ وَمَالُهُ مَبْذُولٌ، أَوْ يَكُونُ أَعْمَالُهُمْ بَدَلًا مِنْ: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[2]، عَلَى تَقْدِيرِ: مَثَلُ أَعْمَالِهِمْ، وَكَرَمَادٍ: الْخَبَرُ.

وَقُرِئَ: "الرِّيَاحُ".

﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[3]: جَعَلَ الْعَصْفَ لِلْيَوْمِ، وَهُوَ لِمَا فِيهِ، وَهُوَ الرِّيحُ أَوِ الرِّيَاحُ، كَقَوْلِكَ: يَوْمٌ مَاطِرٌ وَلَيْلَةٌ سَاكِرَةٌ، وَإِنَّمَا السُّكُورُ لِرِيحِهَا.

وَقُرِئَ: "فِي يَوْمِ عَاصِفٍ": بِالْإِضَافَةِ، وَأَعْمَالُ الْكَفَرَةِ الْمَكَارِمِ الَّتِي كَانَتْ لَهُمْ، مِنْ صِلَةِ الْأَرْحَامِ وَعِتْقِ الرِّقَابِ، وَفِدَاءِ الْأُسَارَى، وَعَقْرِ الْإِبِلِ لِلْأَضْيَافِ، وَإِغَاثَةِ الْمَلْهُوفِينَ، وَالْإِجَارَةِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ صَنَائِعِهِمْ، شَبَّهَهَا فِي حُبُوطِهَا وَذَهَابِهَا هَبَاءً مَنْثُورًا لِبِنَائِهَا عَلَى غَيْرِ أَسَاسٍ مِنْ مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَكَوْنُهَا لِوَجْهِهِ: بِرَمَادٍ طَيَّرَتْهُ الرِّيحُ الْعَاصِفُ.

﴿لا يَقْدِرُونَ﴾[4]: يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿مِمَّا كَسَبُوا﴾[5]: مِنْ أَعْمَالِهِمْ.

﴿عَلَى شَيْءٍ﴾[6]، أَيْ: لَا يَرَوْنَ لَهُ أَثَرًا مِنْ ثَوَابٍ، كَمَا لَا يَقْدِرُ مِنَ الرَّمَادِ الْمُطَيَّرِ فِي الرِّيحِ عَلَى شَيْءٍ.

﴿ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾[7]: إِشَارَةٌ إِلَى بُعْدِ ضَلَالِهِمْ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ عَنِ الثَّوَابِ، كَمَا لَا يَقْدِرُ مِنَ الرَّمَادِ الْمُطَيَّرِ فِي الرِّيحِ عَلَى الشَّيْءِ.

---

1 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
2 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
3 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
4 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
5 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
6 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
7 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿بِالْحَقِّ﴾[1]: بِالْحِكْمَةِ وَالْغَرَضِ الصَّحِيحِ، وَالْأَمْرِ الْعَظِيمِ، وَلَمْ يَخْلُقْهَا عَبَثًا وَلَا شَهْوَةً.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[2]

وَقُرِئَ: "خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ".

﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ﴾[3]، أَيْ: هُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُعْدِمَ النَّاسَ، وَيَخْلُقَ مَكَانَهُمْ خَلْقًا آخَرَ عَلَى شَكْلِهِمْ أَوْ عَلَى خِلَافِ شَكْلِهِمْ، إِعْلَامًا مِنْهُ بِاقْتِدَارِهِ عَلَى إِعْدَامِ الْمَوْجُودِ وَإِيجَادِ الْمَعْدُومِ، يَقْدِرُ عَلَى الشَّيْءِ وَجِنْسِ ضِدِّهِ.

﴿وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾[4]: بِمُتَعَذِّرٍ، بَلْ هُوَ هَيِّنٌ عَلَيْهِ يَسِيرٌ، لِأَنَّهُ قَادِرٌ الذَّاتِ لَا اخْتِصَاصَ لَهُ بِمَقْدُورٍ دُونَ مَقْدُورٍ، فَإِذَا خَلَصَ لَهُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ وَانْتَفَي الصَّارِفُ، تَكَوَّنَ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ: كَتَحْرِيكِ أُصْبُعِكَ إِذَا دَعَاكَ إِلَيْهِ دَاعٍ وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ صَارِفٌ.

وَهَذِهِ الْآيَاتُ بَيَانٌ لِإِبْعَادِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَعَظِيمِ خَطَئِهِمْ فِي الْكُفْرِ بِاللَّهِ، لِوُضُوحِ آيَاتِهِ الشَّاهِدَةِ لَهُ الدَّالَّةِ عَلَى قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ وَحِكْمَتِهِ الْبَالِغَةِ وَأَنَّهُ هُوَ الْحَقِيقُ بِأَنْ يُعْبَدَ، وَيُخَافَ عِقَابُهُ وَيُرْجَى ثَوَابُهُ فِي دَارِ الْجَزَاءِ.

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾[5]

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ﴾[1]: وَيَبْرُزُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا جِيءَ بِهِ بِلَفْظِ الْمَاضِي، لِأَنَّ مَا أَخْبَرَ بِهِ عَزَّ وَعَلَا لِصِدْقِهِ كَأَنَّهُ قَدْ كَانَ وَوُجِدَ، وَنَحْوُهُ: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ﴾[2] .

﴿وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ﴾[3]: وَنَظَائِرُ لَهُ.

وَمَعْنَى: بُرُوزِهِمْ لِلَّهِ –وَاللَّهُ –تَعَالَى– لَا يَتَوَارَى عَنْهُ شَيْءٌ حَتَّى يَبْرُزَ لَهُ–: أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَتِرُونَ مِنَ الْعُيُونِ عِنْدَ ارْتِكَابِ الْفَوَاحِشِ، وَيَظُنُّونَ أَنَّ ذَلِكَ خَافٍ عَلَى اللَّهِ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، انْكَشَفُوا لِلَّهِ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَخْفى عَلَيْهِ خَافِيَةٌ، أَوْ خَرَجُوا مِنْ قُبُورِهِمْ فَبَرَزُوا لِحِسَابِ اللَّهِ وَلِحُكْمِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ كُتِبَ: "وَالضُّعَفَاؤُا" بِوَاوٍ قَبْلَ الْهَمْزَةِ؟

قُلْتُ: كُتِبَ عَلَى لَفْظِ مَنْ يُفَخِّمُ الْأَلِفَ قَبْلَ الْهَمْزَةِ فَيُمِيلُهَا إِلَى الْوَاوِ، وَنَظِيرُهُ: ﴿أَوَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾[4]، وَالضُّعَفَاءُ: الْأَتْبَاعُ وَالْعَوَامُّ، وَالَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا: سَادَاتُهُمْ وَكُبَرَاؤُهُمْ، الَّذِينَ اسْتَتْبَعُوهُمْ وَاسْتَغْوَوْهُمْ وَصَدُّوهُمْ عَنِ الْاسْتِمَاعِ إِلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأَتْبَاعِهِمْ.

﴿تَبَعًا﴾[5]: تَابِعِينَ، جُمِعَ تَابِعٌ عَلَى تَبَعٍ، كَقَوْلِهِمْ: خَادِمٌ وَخَدَمٌ، وَغَائِبٌ وَغَيَبٌ، أَوْ ذَوِي تَبَعٍ، وَالتَّبَعُ: الْأَتْبَاعُ، يُقَالُ: تَبِعَهُ تَبَعًا.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ مِنْ فِي: ﴿مِنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾[6]، وَبَيْنَهُ فِي: ﴿مِنْ شَيْءٍ﴾[7]؟

قُلْتُ: الْأُولَى: لِلتَّبْيِينِ، وَالثَّانِيَةُ: لِلتَّبْعِيضِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: هَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا بَعْضَ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ عَذَابُ اللَّهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَا لِلتَّبْعِيضِ مَعًا، بِمَعْنَى هَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا بَعْضَ شَيْءٍ هُوَ بَعْضُ عَذَابِ اللَّهِ، أَيْ: بَعْضَ بَعْضِ عَذَابِ اللَّهِ؟

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 44.

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة الشُّعَرَاءُ، الآية 197.

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ﴾[1]؟

قُلْتُ: الَّذِي قَالَ لَهُمُ الضُّعَفَاءُ كَانَ تَوْبِيخًا لَهُمْ، وَعِتَابًا عَلَى اسْتِتْبَاعِهِمْ وَاسْتِغْوَائِهِمْ.

وَقَوْلُهُمْ: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا﴾[2]: مِنْ بَابِ التَّبْكِيتِ، لِأَنَّهُمْ قَدْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْإِغْنَاءِ عَنْهُمْ، فَأَجَابُوهُمْ مُعْتَذِرِينَ عَمَّا كَانَ مِنْهُمْ إِلَيْهِمْ: بِأَنَّ اللَّهَ لَوْ هَدَاهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ لَهَدَوْهُمْ، وَلَمْ يُضِلُّوهُمْ، إِمَّا مَوْكُورِينَ الذَّنْبَ فِي ضَلَالِهِمْ وَإِضْلَالِهِمْ عَلَى اللَّهِ، كَمَا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ، وَقَالُوا: ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلا آبَاؤُنَا﴾[3]، ﴿لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[4]، يَقُولُونَ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ كَمَا كَانُوا يَقُولُونَهُ فِي الدُّنْيَا.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ حِكَايَةً عَنِ الْمُنَافِقِينَ: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ﴾[5]، وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَوْ كُنَّا مِنْ أَهْلِ اللُّطْفِ فَلَطَفَ بِنَا رَبُّنَا وَاهْتَدَيْنَا لَهَدَيْنَاكُمْ إِلَى الْإِيمَانِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: لَوْ هَدَانَا اللَّهُ طَرِيقَ النَّجَاةِ مِنَ الْعَذَابِ لَهَدَيْنَاكُمْ، أَيْ: لَأَغْنَيْنَا عَنْكُمْ وَسَلَكْنَا بِكُمْ طَرِيقَ النَّجَاةِ، كَمَا سَلَكْنَا بِكُمْ طَرِيقَ الْهَلَكَةِ.

﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا﴾[6]: مُسْتَوِيَانِ عَلَيْنَا الْجَزَعُ وَالصَّبْرُ، وَالْهَمْزَةُ وَ﴿أَمْ﴾[7] لِلتَّسْوِيَةِ، وَنَحْوُهُ: ﴿فَاصْبِرُوا أَوْ لا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ﴾[8].

وَرُوِيَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ: تَعَالَوْا نَجْزَعْ، فَيَجْزَعُونَ خَمْسَمِائَةِ عَامٍ فَلَا يَنْفَعُهُمْ، فَيَقُولُونَ: تَعَالَوْا نَصْبِرْ، فَيَصْبِرُونَ كَذَلِكَ ثُمَّ يَقُولُونَ: سَوَاءٌ عَلَيْنَا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ قَوْلُهُ: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا﴾[9] بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: اتِّصَالُهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ عِتَابَهُمْ لَهُمْ كَانَ جَزَعًا مِمَّا هُمْ فِيهِ، فَقَالُوا: سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا، يُرِيدُونَ أَنْفُسَهُمْ وَإِيَّاهُمْ، لِاجْتِمَاعِهِمْ فِي عِقَابِ الضَّلَالَةِ الَّتِي كَانُوا

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 148.

[4] سورة النَّحْلُ، الآية 35.

[5] سورة الْمُجَادَلَةُ، الآية 18.

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[8] سورة الطُّوْرُ، الآية 16.

[9] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

مُجْتَمِعِينَ فِيهَا، يَقُولُونَ: مَا هَذَا الْجَزَعُ وَالتَّوْبِيخُ، وَلَا فَائِدَةَ فِي الْجَزَعِ كَمَا لَا فَائِدَةَ فِي الصَّبْرِ وَالْأَمْرُ مِنْ ذَلِكَ أَطَمُّ، أَوْ لَمَّا قَالُوا: لَوْ هَدَانَا اللَّهُ طَرِيقَ النَّجَاةِ لَأَغْنَيْنَا عَنْكُمْ وَأَنْجَيْنَاكُمْ، أَتْبَعُوهُ الْإِقْنَاطَ مِنَ النَّجَاةِ، فَقَالُوا: ﴿مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾[1]، أَيْ: مَنْجًى وَمَهْرَبٌ، جَزَعْنَا أَمْ صَبَرْنَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ كَلَامِ الضُّعَفَاءِ وَالْمُسْتَكْبِرِينَ جَمِيعًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: قَالُوا: جَمِيعًا: سَوَاءٌ عَلَيْنَا، كَقَوْلِهِ: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ﴾[2].

وَالْمَحِيصُ: يَكُونُ مَصْدَرًا كَالْمَغِيبِ وَالْمَشِيبِ، وَمَكَانًا كَالْمَبِيتِ وَالْمَصِيفِ، وَيُقَالُ: حَاصَ عَنْهُ وَجَاصَ، بِمَعْنًى وَاحِدٍ.

﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[3]

﴿لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ﴾[4]: لَمَّا قُطِعَ الْأَمْرُ وَفُرِغَ مِنْهُ، وَهُوَ الْحِسَابُ، وَتَصَادُرُ الْفَرِيقَيْنِ وَدُخُولُ أَحَدِهِمَا الْجَنَّةَ وَدُخُولُ الْآخَرِ النَّارَ.

وَرُوِيَ أَنَّ الشَّيْطَانَ يَقُومُ عِنْدَ ذَلِكَ خَطِيبًا فِي الْأَشْقِيَاءِ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فَيَقُولُ ذَلِكَ.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ﴾[5]: وَهُوَ الْبَعْثُ وَالْجَزَاءُ عَلَى الْأَعْمَالِ فَوَفَى لَكُمْ بِمَا وَعَدَكُمْ.

﴿وَوَعَدْتُكُمْ﴾[6]: خِلَافَ ذَلِكَ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة يُوسُفُ، الآية 52.

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾[1]: مِنْ تَسَلُّطٍ وَقَهْرٍ فَأَقْسِرَكُمْ عَلَى الْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي وَأُلْجِئَكُمْ إِلَيْهَا.

﴿إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ﴾[2]: إِلَّا دُعَائِي إِيَّاكُمْ إِلَى الضَّلَالَةِ بِوَسْوَسَتِي وَتَزْيِينِي، وَلَيْسَ الدُّعَاءُ مِنْ جِنْسِ السُّلْطَانِ، وَلَكِنَّهُ كَقَوْلِكَ: مَا تَحِيَّتُهُمْ إِلَّا الضَّرْبُ.

﴿فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾[3]، حَيْثُ اغْتَرَرْتُمْ بِي وَأَطَعْتُمُونِي إِذْ دَعَوْتُكُمْ، وَلَمْ تُطِيعُوا رَبَّكُمْ إِذْ دَعَاكُمْ.

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْإِنْسَانَ هُوَ الَّذِي يَخْتَارُ الشَّقَاوَةَ أَوِ السَّعَادَةَ وَيُحَصِّلُهَا لِنَفْسِهِ، وَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا التَّمْكِينُ، وَلَا مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا التَّزْيِينُ، وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ الْمُجْبِرَةُ لَقَالَ: فَلَا تَلُومُونِي وَلَا أَنْفُسَكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ قَضَى عَلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَأَجْبَرَكُمْ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُ الشَّيْطَانِ بَاطِلٌ لَا يَصِحُّ التَّعَلُّقُ بِهِ.

قُلْتُ: لَوْ كَانَ هَذَا الْقَوْلُ مِنْهُ بَاطِلًا، لَبَيَّنَ اللَّهُ بُطْلَانَهُ، وَأَظْهَرَ إِنْكَارَهُ، عَلَى أَنَّهُ لَا طَائِلَ لَهُ فِي النُّطْقِ بِالْبَاطِلِ فِي ذَلِكَ الْمَقَامِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ﴾[4]، كَيْفَ أَتَى فِيهِ بِالْحَقِّ وَالصِّدْقِ؟

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ﴾[5]، وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ اللَّهِ –تَعَالَى–: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مَنِ الْغَاوِينَ﴾[6].

﴿مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ﴾[7]: لَا يُنْجِي بَعْضُنَا بَعْضًا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَلَا يُغِيثُهُ، وَالْإِصْرَاخُ: الْإِغَاثَةُ.

وَقُرِئَ: "بِمُصْرِخِيِّ" بِكَسْرِ الْيَاءِ وَهِيَ ضَعِيفَةٌ، وَاسْتَشْهَدُوا لَهَا بِبَيْتٍ مَجْهُولٍ:

قَالَ لَهَا هَلْ لَكِ يَاتَا فِيِّ؟... قَالَتْ لَهُ مَا أَنْتَ بِالْمَرْضِيِّ

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إ الْحِجْرُ، الآية 42.

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَكَأَنَّهُ قَدَّرَ يَاءَ الْإِضَافَةِ سَاكِنَةً وَقَبْلَهَا يَاءً سَاكِنَةً، فَحَرَّكَهَا بِالْكَسْرِ لِمَا عَلَيْهِ أَصْلُ الْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، وَلَكِنَّهُ غَيْرُ صَحِيحٍ، لِأَنَّ يَاءَ الْإِضَافَةِ لَا تَكُونُ إِلَّا مَفْتُوحَةً، حَيْثُ قَبْلَهَا أَلِفٌ فِي نَحْوِ عَصَايَ، فَمَا بَالُهَا وَقَبْلَهَا يَاءٌ؟

فَإِنْ قُلْتَ: جَرَتِ الْيَاءُ الْأُولَى مَجْرَى الْحَرْفِ الصَّحِيحِ، لِأَجْلِ الْإِدْغَامِ، فَكَأَنَّهَا يَاءٌ وَقَعَتْ سَاكِنَةً بَعْدَ حَرْفٍ صَحِيحٍ سَاكِنٍ، فَحُرِّكَتْ بِالْكَسْرِ عَلَى الْأَصْلِ.

قُلْتُ: هَذَا قِيَاسٌ حَسَنٌ، وَلَكِنَّ الِاسْتِعْمَالَ الْمُسْتَفِيضَ الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْخَبَرِ الْمُتَوَاتِرِ تَتَضَاءَلُ إِلَيْهِ الْقِيَاسَاتُ، "مَا" فِي: ﴿بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ﴾[1]: مَصْدَرِيَّةٌ.

وَ﴿مِنْ قَبْلُ﴾[2]: مُتَعَلِّقَةٌ بِـ "أَشْرَكْتُمُونِي"، يَعْنِي: كَفَرْتُ الْيَوْمَ بِإِشْرَاكِكُمْ إِيَّايَ مِنْ قَبْلِ هَذَا الْيَوْمِ، أَيْ: فِي الدُّنْيَا، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[3].

وَمَعْنَى كُفْرِهِ بِإِشْرَاكِهِمْ إِيَّاهُ: تَبَرُّؤُهُ مِنْهُ وَاسْتِنْكَارُهُ لَهُ، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ﴾[4].

وَقِيلَ: "مِنْ قَبْلُ": يَتَعَلَّقُ بِكَفَرْتُ، وَ"مَا" مَوْصُولَةٌ، أَيْ: كَفَرْتُ مِنْ قَبْلُ حِينَ أَبَيْتُ السُّجُودَ لِآدَمَ بِالَّذِي أَشْرَكْتُمُونِيهِ، وَهُوَ اللَّهُ -عَزَّ وَجَلَّ-، تَقُولُ: شَرَكْتُ زَيْدًا، فَإِذَا نَقَلْتَ بِالْهَمْزَةِ.

قُلْتُ: أَشْرَكَنِيهِ فُلَانٌ، أَيْ: جَعَلَنِي لَهُ شَرِيكًا، وَنَحْوُ "مَا" هَذِهِ "مَا" فِي قَوْلِهِمْ: سُبْحَانَ مَا سَخَّرَكُنَّ لَنَا.

وَمَعْنَى إِشْرَاكِهِمُ الشَّيْطَانَ بِاللَّهِ: طَاعَتُهُمْ لَهُ فِيمَا كَانَ يُزَيِّنُهُ لَهُمْ مِنْ عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ وَغَيْرِهَا.

وَهَذَا آخِرُ قَوْلِ إِبْلِيسَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الظَّالِمِينَ﴾[5]: قَوْلُ اللَّهِ -عَزَّ وَجَلَّ- وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ قَوْلِ إِبْلِيسَ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إ فَاطِرٌ، الآية 14.

[4] سورة الْمُمْتَحِنَةُ، الآية 4.

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَإِنَّمَا حَكَى اللَّهُ –عَزَّ وَعَلَا– مَا سَيَقُولُهُ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، لِيَكُونَ لُطْفًا لِلسَّامِعِينَ فِي النَّظَرِ لِعَاقِبَتِهِمَا وَالِاسْتِعْدَادِ لِمَا لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهِ، وَأَنْ يَتَصَوَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ ذَلِكَ الْمَقَامَ الَّذِي يَقُولُ الشَّيْطَانُ فِيهِ مَا يَقُولُ، فَيَخَافُوا وَيَعْمَلُوا مَا يُخَلِّصُهُمْ مِنْهُ وَيُنْجِيهِمْ.

وَقُرِئَ: "فَلَا يَلُومُونِي" بِالْيَاءِ عَلَى طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾[1].

﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[2]

وَقَرَأَ الْحَسَنُ وَعَمْرُو بْنُ عُبَيْدٍ: "وَأُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا" عَلَى فِعْلِ الْمُتَكَلِّمِ، بِمَعْنَى: وَأُدْخِلُ أَنَا.

وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى: أَنَّهُ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ، لَا مِنْ قَوْلِ إِبْلِيسَ.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[3]: مُتَعَلِّقٌ بِأُدْخِلَ، أَيْ: أَدْخَلَتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الْجَنَّةَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأَمْرِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَبِمَ يَتَعَلَّقُ فِي الْقِرَاءَةِ الْأُخْرَى، وَقَوْلِكَ: وَأُدْخِلُهُمْ أَنَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، كَلَامٌ غَيْرُ مُلْتَئِمٍ؟

قُلْتُ: الْوَجْهُ فِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ أَنْ يَتَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿بِإِذْنِ رَبِّهِمْ﴾[4] بِمَا بَعْدَهُ، أَيْ: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ﴾[5]: بِإِذْنِ رَبِّهِمْ، يَعْنِي: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يُحَيُّونَهُمْ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[6]

---

[1] سورة يُونُسَ، الآية 22.

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

قُرِئَ: ﴿أَلَمْ تَرْ﴾[1] سَاكِنَةَ الرَّاءِ، كَمَا قُرِئَ: "مَنْ يَتَّقِ"، وَفِيهِ ضَعْفٌ.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا﴾[2]: اعْتَمَدَ مَثَلًا وَوَضَعَهُ.

وَ﴿كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾: نَصْبٌ بِمُضْمَرٍ، أَيْ: جَعَلَ كَلِمَةً طَيِّبَةً.

﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾[3]، وَهُوَ تَفْسِيرٌ لِقَوْلِهِ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا﴾[4]، كَقَوْلِكَ: شَرَّفَ الْأَمِيرُ زَيْدًا: كَسَاهُ حُلَّةً، وَحَمَلَهُ عَلَى فَرَسٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ ﴿مَثَلًا﴾[5].

وَ﴿كَلِمَةً﴾[6]: بِضَرَبَ، أَيْ: ضَرَبَ كَلِمَةً طَيِّبَةً مَثَلًا، بِمَعْنَى: جَعَلَهَا مَثَلًا، ثُمَّ قَالَ: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ عَلَى أَنَّهَا خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، بِمَعْنَى هِيَ كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ.

﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾[7]، يَعْنِي: فِي الْأَرْضِ ضَارِبٌ بِعُرُوقِهِ فِيهَا.

﴿وَفَرْعُهَا﴾[8]: وَأَعْلَاهَا وَرَأْسُهَا.

﴿فِي السَّمَاءِ﴾[9]، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ: وَفُرُوعُهَا، عَلَى الِاكْتِفَاءِ بِلَفْظِ الْجِنْسِ، وَقَرَأَ أُنْسُ بْنُ مَالِكٍ: "كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ ثَابِتٌ أَصْلُهَا".

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْقِرَاءَتَيْنِ؟

قُلْتُ: قِرَاءَةُ الْجَمَاعَةِ أَقْوَى مَعْنًى، لِأَنَّ فِي قِرَاءَةِ أَنَسٍ أُجْرِيَتِ الصِّفَةُ عَلَى الشَّجَرَةِ.

وَإِذَا قُلْتَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ أَبُوهُ قَائِمٌ، فَهُوَ أَقْوَى مَعْنًى مِنْ قَوْلِكَ: مَرَرْتُ بِرَجُلٍ قَائِمٍ أَبُوهُ، لِأَنَّ الْمُخْبَرَ عَنْهُ إِنَّمَا هُوَ الْأَبُ لَا رَجُلٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ: كَلِمَةُ التَّوْحِيدِ.

وَقِيلَ: كُلُّ كَلِمَةٍ حَسَنَةٍ كَالتَّسْبِيحَةِ وَالتَّحْمِيدَةِ وَالِاسْتِغْفَارِ وَالتَّوْبَةِ وَالدَّعْوَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[8] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[9] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَأَمَّا الشَّجَرَةُ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ مُثْمِرَةٍ طَيِّبَةِ الثِّمَارِ، كَالنَّخْلَةِ، وَشَجَرَةِ التِّينِ، وَالْعِنَبِ، وَالرُّمَّانِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ: "إِنَّ اللَّهَ ضَرَبَ مَثَلَ الْمُؤْمِنِ شَجَرَةً فَأَخْبِرُونِي مَا هِيَ"، فَوَقَعَ النَّاسُ فِي شَجَرِ الْبَوَادِي، وَكُنْتُ صَبِيًّا، فَوَقَعَ فِي قَلْبِي أَنَّهَا النَّخْلَةُ، فَهِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– أَنْ أَقُولَهَا وَأَنَا أَصْغَرُ الْقَوْمِ، وَرُوِيَ: فَمَنَعَنِي مَكَانَ عُمَرَ وَاسْتَحْيَيْتُ، فَقَالَ لِي عُمَرُ: يَا بُنَيَّ لَوْ كُنْتُ قُلْتَهَا لَكَانَتْ أَحَبَّ إِلَيَّ مَنْ حُمُرِ النَّعَمِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "أَلَا إِنَّهَا النَّخْلَةُ".

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: شَجَرَةٌ فِي الْجَنَّةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِي السَّمَاءِ﴾[1]: مَعْنَاهُ: فِي جِهَةِ الْعُلُوِّ وَالصُّعُودِ، وَلَمْ يُرِدِ الْمُظِلَّةَ، كَقَوْلِكَ فِي الْجَبَلِ: طَوِيلٌ فِي السَّمَاءِ: تُرِيدُ ارْتِفَاعَهُ وَشُمُوخَهُ.

﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾[2]: تُعْطِي ثَمَرَهَا كُلَّ وَقْتٍ وَقَّتَهُ اللَّهُ لِإِثْمَارِهَا.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾[3]: بِتَيْسِيرِ خَالِقِهَا وَتَكْوِينِهِ.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[4]، لِأَنَّ فِي ضَرْبِ الْأَمْثَالِ زِيَادَةَ إِفْهَامٍ وَتَذْكِيرٍ وَتَصْوِيرٍ لِلْمَعَانِي.

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[5]

﴿كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ﴾[6]: كَمَثَلِ شَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ، أَيْ: صِفَتُهَا كَصِفَتِهَا.

وَقُرِئَ: "وَمَثَلَ كَلِمَةٍ" بِالنَّصْبِ، عَطْفًا عَلَى كَلِمَةٍ ﴿طَيِّبَةٍ﴾[7]، وَالْكَلِمَةُ الْخَبِيثَةُ: كَلِمَةُ الشِّرْكِ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَقِيلَ: كُلُّ كَلِمَةٍ قَبِيحَةٍ. وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الْخَبِيثَةُ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لَا يَطِيبُ ثَمَرُهَا كَشَجَرَةِ الْحَنْظَلِ وَالْكُشُوتِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ﴾[1]: فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ: ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾[2].

وَمَعْنَى ﴿اجْتُثَّتْ﴾[3]: اسْتُؤْصِلَتْ، وَحَقِيقَةُ الِاجْتِثَاثِ أَخْذُ الْجُثَّةِ كُلِّهَا.

﴿مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾[4]، أَيْ: اسْتِقْرَارٍ، يُقَالُ: قَرَّ الشَّيْءُ قَرَارًا، كَقَوْلِكَ: ثَبَتَ ثَبَاتًا شُبِّهَ بِهَا الْقَوْلُ الَّذِي لَمْ يُعَضَّدْ بِحُجَّةٍ، فَهُوَ دَاحِضٌ غَيْرُ ثَابِتٍ.

وَالَّذِي لَا يَبْقَى إِنَّمَا يَضْمَحِلُّ عَنْ قَرِيبٍ لِبُطْلَانِهِ، مِنْ قَوْلِهِمْ: الْبَاطِلُ لَجْلَجٌ.

وَعَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قِيلَ لِبَعْضِ الْعُلَمَاءِ: مَا تَقُولُ فِي كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ؟ فَقَالَ: مَا أَعْلَمُ لَهَا فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرًّا، وَلَا فِي السَّمَاءِ مَصْعَدًا، إِلَّا أَنْ تَلْزَمَ عُنُقَ صَاحِبِهَا حَتَّى يُوَافِيَ بِهَا الْقِيَامَةَ.

﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[5]

﴿بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾[6]: الَّذِي ثَبَتَ بِالْحُجَّةِ وَالْبُرْهَانِ فِي قَلْبِ صَاحِبِهِ وَتَمَكَّنَ فِيهِ، فَاعْتَقَدَهُ وَاطْمَأَنَّتْ إِلَيْهِ نَفْسُهُ، وَتَثْبِيتُهُمْ بِهِ فِي الدُّنْيَا: أَنَّهُمْ إِذَا فُتِنُوا فِي دِينِهِمْ لَمْ يَزِلُّوا، كَمَا ثَبَتَ الَّذِينَ فَتَنَهُمْ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ، وَالَّذِينَ نُشِرُوا بِالْمَنَاشِيرِ وَمُشِّطَتْ لُحُومُهُمْ بِأَمْشَاطِ الْحَدِيدِ؛ وَكَمَا ثَبَتَ جِرْجِيسُ وَشَمْسُونُ وَغَيْرُهُمَا، وَتَثْبِيتُهُمْ فِي الْآخِرَةِ، أَنَّهُمْ إِذَا سُئِلُوا عِنْدَ تَوَاقُفِ الْأَشْهَادِ عَنْ مُعْتَقَدِهِمْ وَدِينِهِمْ، لَمْ يَتَلَعْثَمُوا وَلَمْ يُبْهَتُوا، وَلَمْ تُحَيِّرْهُمْ أَهْوَالُ الْحَشْرِ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: الثَّبَاتُ عِنْدَ سُؤَالِ الْقَبْرِ.

وَعَنِ الْبَرَاءِ ابْنِ عَازِبٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ذَكَرَ قَبْضَ رُوحِ الْمُؤْمِنِ فَقَالَ: "ثُمَّ يُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ فِي قَبْرِهِ

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ وَمَنْ نَبِيُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ، فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ﴾[1]: الَّذِينَ لَمْ يَتَمَسَّكُوا بِحُجَّةٍ فِي دِينِهِمْ، وَإِنَّمَا اقْتَصَرُوا عَلَى تَقْلِيدِ كِبَارِهِمْ وَشُيُوخِهِمْ، كَمَا قَلَّدَ الْمُشْرِكُونَ آبَاءَهُمْ، فَقَالُوا: ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾[2]، وَإِضْلَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا أَنَّهُمْ لَا يَثْبُتُونَ فِي مَوَاقِفِ الْفِتَنِ وَتَزِلُّ أَقْدَامُهُمْ أَوَّلَ شَيْءٍ، وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ أَضَلُّ وَأَزَلُّ.

﴿وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾[3]، أَيْ: مَا تُوجِبُهُ الْحِكْمَةُ، لِأَنَّ مَشِيئَةَ اللَّهِ تَابِعَةٌ لِلْحِكْمَةِ، مِنْ تَثْبِيتِ الْمُؤْمِنِينَ وَتَأْيِيدِهِمْ، وَعِصْمَتِهِمْ عِنْدَ ثَبَاتِهِمْ وَعَزْمِهِمْ، وَمِنْ إِضْلَالِ الظَّالِمِينَ وَخِذْلَانِهِمْ، وَالتَّخْلِيَةِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ شَأْنِهِمْ عِنْدَ زَلَلِهِمْ.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾[4]

﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾[5]، أَيْ: شُكْرَ نِعْمَةِ اللَّهِ.

﴿كُفْرًا﴾[6]، لِأَنَّ شُكْرَهَا الَّذِي وَجَبَ عَلَيْهِمْ وَضَعُوا مَكَانَهُ كُفْرًا، فَكَأَنَّهُمْ غَيَّرُوا الشُّكْرَ إِلَى الْكُفْرِ وَبَدَّلُوهُ تَبْدِيلًا، وَنَحْوُهُ: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[7]، أَيْ: شُكْرَ رِزْقِكُمْ، حَيْثُ وَضَعْتُمُ التَّكْذِيبَ مَوْضِعَهُ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّهُمْ بَدَّلُوا نَفْسَ النِّعْمَةِ كُفْرًا عَلَى أَنَّهُمْ لَمَّا كَفَّرُوهَا سُلِبُوهَا، فَبَقُوا مَسْلُوبِي النِّعْمَةِ مَوْصُوفِينَ بِالْكُفْرِ، حَاصِلًا لَهُمُ الْكُفْرُ بَدَلَ النِّعْمَةِ، وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ: أَسْكَنَهُمُ

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة الزُّخْرُفُ، الآية 22.

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة الْوَاقِعَةُ، الآية 82.

اللَّهُ حَرَمَهُ، وَجَعَلَهُمْ قُوَّامُ بَيْتِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ بِمُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَكَفَرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ بَدَلَ مَا لَزِمَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ الْعَظِيمِ، أَوْ أَصَابَهُمُ اللَّهُ بِالنِّعْمَةِ فِي الرَّخَاءِ وَالسَّعَةِ لِإِيلَافِهِمُ الرِّحْلَتَيْنِ، فَكَفَرُوا نِعْمَتَهُ، فَضَرَبَهُمْ بِالْقَحْطِ سَبْعَ سِنِينَ، فَحَصَلَ لَهُمُ الْكُفْرُ بَدَلَ النِّعْمَةِ، كَذَلِكَ حِينَ أُسِرُوا وَقُتِلُوا يَوْمَ بَدْرٍ وَقَدْ ذَهَبَتْ عَنْهُمُ النِّعْمَةُ وَبَقِيَ الْكُفْرُ طَوْقًا فِي أَعْنَاقِهِمْ.

وَعَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: هُمُ الْأَفْجَرَانِ مِنْ قُرَيْشٍ: بَنُو الْمُغِيرَةِ وَبَنُو أُمَيَّةَ، فَأَمَّا بَنُو الْمُغِيرَةِ فَكُفِيتُمُوهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ، وَأَمَّا بَنُو أُمَيَّةَ: فَمُنِعُوا حَتَّى حِينٍ.

وَقِيلَ: هُمْ مُتَنَصِّرَةُ الْعَرَبِ: جَبَلَةُ بْنُ الْأَيْهَمِ وَأَصْحَابُهُ.

﴿وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ﴾[1]: مِمَّنْ تَابَعَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ.

﴿دَارَ الْبَوَارِ﴾[2]: دَارَ الْهَلَاكِ، وَعَطَفَ: ﴿جَهَنَّمَ﴾[3] عَلَى دَارِ الْبَوَارِ عَطْفَ بَيَانٍ، قُرِئَ: "لِيُضِلُّوا" بِفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: الضَّلَالُ وَالْإِضْلَالُ لَمْ يَكُنْ غَرَضَهُمْ فِي اتِّخَاذِ الْأَنْدَادِ، فَمَا مَعْنَى اللَّامِ؟

قُلْتُ: لَمَّا كَانَ الضَّلَالُ وَالْإِضْلَالُ نَتِيجَةَ اتِّخَاذِ الْأَنْدَادِ، كَمَا كَانَ الْإِكْرَامُ فِي قَوْلِكَ: جِئْتُكَ لِتُكْرِمَنِي، نَتِيجَةَ الْمَجِيءِ، دَخَلَتْهُ اللَّامُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ غَرَضًا، عَلَى طَرِيقِ التَّشْبِيهِ وَالتَّقْرِيبِ.

﴿تَمَتَّعُوا﴾[4]: إِيذَانٌ بِأَنَّهُمْ لِانْغِمَاسِهِمْ فِي التَّمَتُّعِ بِالْحَاضِرِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَعْرِفُونَ غَيْرَهُ وَلَا يُرِيدُونَهُ، مَأْمُورُونَ بِهِ، قَدْ أَمَرَهُمْ آمِرٌ مُطَاعٌ لَا يَسَعُهُمْ أَنْ يُخَالِفُوهُ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ أَمْرًا دُونَهُ، وَهُوَ أَمْرُ الشَّهْوَةِ.

وَالْمَعْنَى: إِنْ دُمْتُمْ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الِامْتِثَالِ لِأَمْرِ الشَّهْوَةِ، ﴿فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾[5].

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ الْخِذْلَانُ وَالتَّخْلِيَةُ، وَنَحْوُهُ: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾[6].

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة الزُّمَرُ، الآية 8.

﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾[1]

الْمَقُولُ مَحْذُوفٌ، لِأَنَّ جَوَابَ ﴿قُلْ﴾[2] يَدُلُّ عَلَيْهِ، وَتَقْدِيرُهُ: ﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[3]: أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفِقُوا.

﴿يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا﴾[4]: وَجَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ يُقِيمُوا وَيُنْفِقُوا، بِمَعْنَى: لِيُقِيمُوا وَلِيُنْفِقُوا، وَيَكُونُ هَذَا هُوَ الْمَقُولُ، قَالُوا: وَإِنَّمَا جَازَ حَذْفُ اللَّامِ، لِأَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ ﴿قُلْ﴾[5]: عِوَضٌ مِنْهُ.

وَلَوْ قِيلَ: يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنْفِقُوا ابْتِدَاءً بِحَذْفِ اللَّامِ، لَمْ يَجُزْ.

فَإِنْ قُلْتَ: عَلَامَ انْتَصَبَ ﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾[6]؟

قُلْتُ: عَلَى الْحَالِ، أَيْ: ذَوِي سِرٍّ وَعَلَانِيَةٍ، بِمَعْنَى: مُسَرِّينَ وَمُعْلِنِينَ، أَوْ عَلَى الظَّرْفِ، أَيْ: وَقْتَيْ سِرٍّ وَعَلَانِيَةٍ، أَوْ عَلَى الْمَصْدَرِ، أَيْ: إِنْفَاقَ سِرٍّ وَإِنْفَاقَ عَلَانِيَةٍ، الْمَعْنَى: إِخْفَاءُ الْمُتَطَوِّعِ بِهِ مِنَ الصَّدَقَاتِ وَالْإِعْلَانِ بِالْوَاجِبِ: وَالْخِلَالُ: الْمُخَالَّةُ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ طَابَقَ الْأَمْرُ بِالْإِنْفَاقِ وَصْفَ الْيَوْمِ بِأَنَّهُ: ﴿لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾[7]؟

قُلْتُ: مِنْ قِبَلِ أَنَّ النَّاسَ يُخْرِجُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي عُقُودِ الْمُعَاوَضَاتِ، فَيُعْطُونَ بَدَلًا لِيَأْخُذُوا مِثْلَهُ، وَفِي الْمُكَارَمَاتِ وَمُهَادَاةِ الْأَصْدِقَاءِ لِيَسْتَجْرُوا بِهَدَايَاهُمْ أَمْثَالَهَا أَوْ خَيْرًا مِنْهَا.

---

1 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
2 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
3 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
4 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
5 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
6 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .
7 سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَأَمَّا الْإِنْفَاقُ لِوَجْهِ اللَّهِ خَالِصًا، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَى﴾[1]، فَلَا يَفْعَلُهُ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ الْخُلَّصُ، فَبُعِثُوا عَلَيْهِ لِيَأْخُذُوا بَدَلَهُ فِي يَوْمٍ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ، أَيْ: لَا انْتِفَاعَ فِيهِ بِمُبَايَعَةٍ وَلَا بِمُخَالَّةٍ، وَلَا بِمَا يُنْفِقُونَ بِهِ أَمْوَالَهُمْ مِنَ الْمُعَاوَضَاتِ وَالْمُكَارَمَاتِ، وَإِنَّمَا يُنْتَفَعُ فِيهِ بِالْإِنْفَاقِ لِوَجْهِ اللَّهِ.

وَقُرِئَ: "لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ" بِالرَّفْعِ.

﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾[2]

اللَّهُ: مُبْتَدَأٌ، وَالَّذِي خَلَقَ: خَبَرُهُ، وَمِنَ الثَّمَرَاتِ: بَيَانٌ لِلرِّزْقِ، أَيْ: أَخْرَجَ بِهِ رِزْقًا هُوَ ثَمَرَاتٌ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[3]: مَفْعُولُ "أَخْرَجَ".

وَ﴿رِزْقًا﴾[4] حَالًا مِنَ الْمَفْعُولِ، أَوْ نَصْبًا عَلَى الْمَصْدَرِ مِنْ أَخْرَجَ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى رِزْقٍ.

﴿بِأَمْرِهِ﴾[5]: بِقَوْلِهِ: ﴿كُنْ﴾[6]، ﴿دَائِبَيْنِ﴾[7]: يَدْأَبَانِ فِي سَيْرِهِمَا وَإِنَارَتِهِمَا وَدَرْيِهِمَا الظُّلُمَاتِ، وَإِصْلَاحِهِمَا مَا يُصْلِحَانِ مِنَ الْأَرْضِ وَالْأَبْدَانِ وَالنَّبَاتِ، وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ: يَتَعَاقَبَانِ خِلْفَةً لِمَعَاشِكُمْ وَسُبَاتِكُمْ، وَآتَاكُمْ مِّن كُلّ مَّا سَأَلْتُمُوهُ: مِنْ لِلتَّبْعِيضِ، أَيْ: آتَاكُمْ بَعْضَ جَمِيعِ مَا سَأَلْتُمُوهُ، نَظَرًا فِي مَصَالِحِكُمْ.

---

[1] سورة اللَّيْلُ، الآيتان 19–20.

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَقُرِئَ: "مِنْ كُلٍّ" بِالتَّنْوِينِ، وَمَا سَأَلْتُمُوهُ نَفْيٌ وَمَحَلُّهُ النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: آتَاكُمْ مِنْ جَمِيعِ ذَلِكَ غَيْرَ سَائِلِيهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ ﴿مَا﴾[1] مَوْصُولَةً، عَلَى: وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ مَا احْتَجْتُمْ إِلَيْهِ وَلَمْ تَصْلُحْ أَحْوَالُكُمْ وَمَعَايِشُكُمْ إِلَّا بِهِ، فَكَأَنَّكُمْ سَأَلْتُمُوهُ أَوْ طَلَبْتُمُوهُ بِلِسَانِ الْحَالِ، لا تُحْصُوهَا: لَا تَحْصُرُوهَا وَلَا تُطِيقُوا عَدَّهَا وَبُلُوغَ آخِرِهَا، هَذَا إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَعُدُّوهَا عَلَى الْإِجْمَالِ.

وَأَمَّا التَّفْصِيلُ: فَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ، لَظَلُومٌ: يَظْلِمُ النِّعْمَةَ بِإِغْفَالِ شُكْرِهَا، كَفَّارٌ: شَدِيدُ الْكُفْرَانِ لَهَا.

وَقِيلَ: ظَلُومٌ فِي الشِّدَّةِ يَشْكُو وَيَجْزَعُ، كَفَّارٌ فِي النِّعْمَةِ يَجْمَعُ وَيَمْنَعُ، وَالْإِنْسَانُ لِلْجِنْسِ، فَيَتَنَاوَلُ الْإِخْبَارَ بِالظُّلْمِ وَالْكُفْرَانِ مَنْ يُوجَدَانِ مِنْهُ.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]

﴿هَذَا الْبَلَدَ﴾[3]، يَعْنِي: الْبَلَدَ الْحَرَامَ، زَادَهُ اللَّهُ أَمْنًا، وَكَفَاهُ كُلَّ بَاغٍ وَظَالِمٍ، وَأَجَابَ فِيهِ دَعْوَةَ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–.

﴿آمِنًا﴾[4]: ذَا أَمْنٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿اجْعَلْ هَذَا بَلَدًا آمِنًا﴾[5] وَبَيْنَ قَوْلِهِ: ﴿اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا﴾[6]؟

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

قُلْتُ: قَدْ سَأَلَ فِي الْأَوَّلِ أَنْ يَجْعَلَهُ مِنْ جُمْلَةِ الْبِلَادِ الَّتِي يَأْمَنُ أَهْلُهَا وَلَا يَخَافُونَ، وَفِي الثَّانِي: أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ صِفَةٍ كَانَ عَلَيْهَا مِنَ الْخَوْفِ إِلَى ضِدِّهَا مِنَ الْأَمْنِ، كَأَنَّهُ قَالَ: هُوَ بَلَدٌ مُخَوِّفٌ، فَاجْعَلْهُ آمِنًا.

﴿وَاجْنُبْنِي﴾[1]، وَقُرِئَ: "وَأَجْنَبَنِي" وَفِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: جَنَبَهُ الشَّرَّ، وَجَنَّبَهُ، وَأَجْنَبَهُ، فَأَهْلُ الْحِجَازِ يَقُولُونَ: "جَنَّبَنِي شَرَّهُ" بِالتَّشْدِيدِ، وَأَهْلُ نَجْدٍ: "جَنَبَنِي وَأَجْنَبَنِي"، وَالْمَعْنَى: ثَبِّتْنَا وَأَدِمْنَا عَلَى اجْتِنَابِ عِبَادَتِهَا.

﴿وَبَنِيَّ﴾[2]: أَرَادَ بَنِيهِ مِنْ صُلْبِهِ.

وَسُئِلَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: كَيْفَ عَبَدَتِ الْعَرَبُ الْأَصْنَامَ؟ فَقَالَ: مَا عَبَدَ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ صَنَمًا، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ، أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾[3]، إِنَّمَا كَانَتْ أَنْصَابَ حِجَارَةٍ لِكُلِّ قَوْمٍ، قَالُوا: الْبَيْتُ حَجَرٌ، فَحَيْثُمَا نَصَبْنَا حَجَرًا فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْبَيْتِ، فَكَانُوا يَدُورُونَ بِذَلِكَ الْحَجَرِ وَيُسَمُّونَهُ الدَّوَّارَ، فَاسْتُحِبَّ أَنْ يُقَالَ: طَافَ بِالْبَيْتِ، وَلَا يُقَالُ: دَارَ بِالْبَيْتِ.

﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾[4]: فَأَعُوذُ بِكَ أَنْ تَعْصِمَنِي وَبَنِيَّ مِنْ ذَلِكَ.

وَإِنَّمَا جُعِلْنَ مُضِلَّاتٍ، لِأَنَّ النَّاسَ ضَلُّوا بِسَبَبِهِنَّ، فَكَأَنَّهُنَّ أَضْلَلْنَهُمْ، كَمَا تَقُولُ: فَتَنَتْهُمُ الدُّنْيَا وَغَرَّتْهُمْ، أَيْ: افْتَتَنُوا بِهَا وَاغْتَرُّوا بِسَبَبِهَا.

﴿فَمَنْ تَبِعَنِي﴾[5]: عَلَى مِلَّتِي وَكَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا مِثْلِي.

﴿فَإِنَّهُ مِنِّي﴾[6]، أَيْ: هُوَ بَعْضِي لِفَرْطِ اخْتِصَاصِهِ بِي وَمُلَابَسَتِهِ لِي، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿مِنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا﴾[7]، أَيْ: لَيْسَ بَعْضَ الْمُؤْمِنِينَ، عَلَى أَنَّ الْغِشَّ لَيْسَ مِنْ أَفْعَالِهِمْ وَأَوْصَافِهِمْ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[1]: تَغْفِرُ لَهُ مَا سَلَفَ مِنْهُ مِنْ عِصْيَانِي إِذَا بَدَا لَهُ فِيهِ وَاسْتَحْدَثَ الطَّاعَةَ لِي.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَمَنْ عَصَانِي فِيمَا دُونَ الشِّرْكِ.

﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[2]

﴿مِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[3]: بَعْضَ أَوْلَادِي، وَهُمْ إِسْمَاعِيلُ وَمَنْ وُلِدَ مِنْهُ.

﴿بِوَادٍ﴾: هُوَ وَادِي مَكَّةَ.

﴿غَيْرِ ذِي زَرْعٍ﴾[4]: لَا يَكُونُ فِيهِ شَيْءٌ مِنْ زَرْعٍ قَطُّ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾[5]، بِمَعْنَى: لَا يُوجَدُ فِيهِ اعْوِجَاجٌ، مَا فِيهِ إِلَّا الِاسْتِقَامَةُ لَا غَيْرُ.

وَقِيلَ لِلْبَيْتِ: الْمُحَرَّمُ، لِأَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ التَّعَرُّضَ لَهُ وَالتَّهَاوُنَ بِهِ، وَجَعَلَ مَا حَوْلَهُ حَرَمًا لِمَكَانِهِ، أَوْ لِأَنَّهُ لَمْ يَزَلْ مُمَنَّعًا عَزِيزًا يَهَابُهُ كُلُّ جَبَّارٍ، كَالشَّيْءِ الْمُحَرَّمِ الَّذِي حَقُّهُ أَنْ يُجْتَنَبَ، أَوْ لِأَنَّهُ مُحْتَرَمٌ عَظِيمُ الْحُرْمَةِ لَا يَحِلُّ انْتِهَاكُهَا، أَوْ لِأَنَّهُ حُرِّمَ عَلَى الطُّوفَانِ، أَيْ: مُنِعَ مِنْهُ، كَمَا سُمِّيَ عَتِيقًا، لِأَنَّهُ أُعْتِقَ مِنْهُ فَلَمْ يَسْتَوْلِ عَلَيْهِ.

﴿لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ﴾[6]: اللَّامُ مُتَعَلِّقَةٌ بِـ "أَسْكَنْتُ"، أَيْ: مَا أَسْكَنْتُهُمْ هَذَا الْوَادِيَ الْخَالِيَ الْبَلْقَعَ مِنْ كُلِّ مُرْتَفَقٍ وَمُرْتَزَقٍ، إِلَّا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ، وَيُعَمِّرُوهُ بِذِكْرِكَ وَعِبَادَتِكَ وَمَا تَعْمُرُ بِهِ مَسَاجِدُكَ وَمُتَعَبَّدَاتُكَ، مُتَبَرِّكِينَ بِالْبُقْعَةِ الَّتِي شَرَّفْتَهَا عَلَى الْبِقَاعِ، مُسْتَسْعِدِينَ بِجِوَارِكَ الْكَرِيمِ، مُتَقَرِّبِينَ إِلَيْكَ بِالْعُكُوفِ عِنْدَ بَيْتِكَ، وَالطَّوَافِ بِهِ، وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ حَوْلَهُ، مُسْتَنْزِلِينَ الرَّحْمَةَ الَّتِي آثَرْتَ بِهَا سُكَّانَ حَرَمِكَ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة الزُّمَرُ، الآية 28.

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ﴾[1]: أَفْئِدَةً مِنْ أَفْئِدَةِ النَّاسِ.

وَ﴿مِنْ﴾[2] لِلتَّبْعِيضِ.

وَيَدُلُّ عَلَيْهِ مَا رُوِيَ عَنْ مُجَاهِدٍ: لَوْ قَالَ أَفْئِدَةَ النَّاسِ لَزَحَمَتْكُمْ عَلَيْهِ فَارِسُ وَالرُّومُ، وَقِيلَ: لَوْ لَمْ يَقُلْ ﴿مِنْ﴾[3]: لَازْدَحَمُوا عَلَيْهِ حَتَّى الرُّومُ وَالتُّرْكُ وَالْهِنْدُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ ﴿مِنْ﴾ لِلِابْتِدَاءِ، كَقَوْلِكَ: "الْقَلْبُ مِنِّي سَقِيمٌ"، تُرِيدُ: قَلْبِي، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: أَفْئِدَةُ نَاسٍ.

وَإِنَّمَا نَكَّرْتُ الْمُضَافَ إِلَيْهِ فِي هَذَا التَّمْثِيلِ لِتَنْكِيرِ أَفْئِدَةٍ، لِأَنَّهَا فِي الْآيَةِ نَكِرَةٌ لِيَتَنَاوَلَ بَعْضَ الْأَفْئِدَةِ.

وَقُرِئَ: "آفِدَةً" بِوَزْنِ عَاقِدَةٍ، وَفِيهِ وَجْهَانِ:

-أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ مِنَ الْقَلْبِ كَقَوْلِكَ: آدَرُ، فِي أَدْؤُرٍ.

-وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ اسْمَ فَاعِلَةٍ مِنْ أَفَدْتُ الرِّحْلَةَ إِذَا عَجَّلْتُ، أَيْ: جَمَاعَةٌ أَوْ جَمَاعَاتٌ يَرْتَحِلُونَ إِلَيْهِمْ وَيُعَجِّلُونَ نَحْوَهُمْ.

وَقُرِئَ: "أَفِدَّةً"، وَفِيهِ وَجْهَانِ: أَنْ تُطْرَحَ الْهَمْزَةُ لِلتَّخْفِيفِ، وَإِنْ كَانَ الْوَجْهُ أَنْ تُخَفَّفَ بِإِخْرَاجِهَا بَيْنَ بَيْنَ، وَأَنْ يَكُونَ مِنْ أَفِدَ.

﴿تَهْوِي إِلَيْهِمْ﴾[4]: تُسْرِعُ إِلَيْهِمْ وَتَطِيرُ نَحْوَهُمْ شَوْقًا وَنزَاعًا، مِنْ قَوْلِهِ:

.....يَهْوِي مَخَارِمَهَا هُوِيَّ الْأَجْدَلِ

وَقُرِئَ: "تُهْوَى إِلَيْهِمْ"، عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، مَنْ هَوَى إِلَيْهِ وَأَهْوَاهُ غَيْرُهُ، وَتَهْوَى إِلَيْهِمْ، مِنْ هَوَى يَهْوِي إِذَا أَحَبَّ، ضُمِّنَ مَعْنَى تَنْزِعُ فَعُدِّيَ تَعْدِيَتَهُ.

﴿وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ﴾[5]: مَعَ سُكْنَاهُمْ وَادِيًا مَا فِيهِ شَيْءٌ مِنْهَا، بِأَنْ تَجْلِبَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْبِلَادِ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾[1]: النِّعْمَةَ فِي أَنْ يُرْزَقُوا أَنْوَاعَ الثَّمَرَاتِ حَاضِرَةً فِي وَادٍ يَبَابٍ لَيْسَ فِيهِ نَجْمٌ وَلَا شَجَرٌ وَلَا مَاءٌ، لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ –عَزَّ وَجَلَّ– أَجَابَ دَعْوَتَهُ، فَجَعَلَهُ حَرَمًا آمِنًا تُجْبَى إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ رِزْقًا مِنْ لَدُنْهُ، ثُمَّ فَضَّلَهُ فِي وُجُودِ أَصْنَافِ الثِّمَارِ فِيهِ عَلَى كُلِّ رِيفٍ، وَعَلَى أَخْصَبِ الْبِلَادِ وَأَكْثَرِهَا ثِمَارًا، وَفِي أَيِّ بَلَدٍ مِنْ بِلَادِ الشَّرْقِ وَالْغَرْبِ تَرَى الْأُعْجُوبَةَ الَّتِي يُرِيكَهَا اللَّهُ بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ، وَهِيَ اجْتِمَاعُ الْبَوَاكِيرِ وَالْفَوَاكِهِ الْمُخْتَلِفَةِ الْأَزْمَانِ مِنَ الرَّبِيعِيَّةِ وَالصَّيْفِيَّةِ وَالْخَرِيفِيَّةِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ آيَاتِهِ بِعَجِيبٍ –مَتَّعَنَا اللَّهُ بِسُكْنَى حَرَمِهِ– وَوَفَّقَنَا لِشُكْرِ نِعَمِهِ، وَأَدَامَ لَنَا التَّشَرُّفَ بِالدُّخُولِ تَحْتَ دَعْوَةِ إِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ– وَرَزَقَنَا طَرَفًا مِنْ سَلَامَةِ ذَلِكَ الْقَلْبِ السَّلِيمِ.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[2]

النِّدَاءُ الْمُكَرَّرُ دَلِيلُ التَّضَرُّعِ وَاللُّجْأِ إِلَى اللَّهِ –تَعَالَى–، ﴿إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ﴾[3]: تَعْلَمُ السِّرَّ كَمَا تَعْلَمُ الْعَلَنَ عِلْمًا لَا تَفَاوُتَ فِيهِ، لِأَنَّ غَيْبًا مِنَ الْغُيُوبِ لَا يُحْتَجَبُ عَنْكَ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّكَ أَعْلَمُ بِأَحْوَالِنَا وَمَا يُصْلِحُنَا وَمَا يُفْسِدُنَا مِنَّا، وَأَنْتَ أَرْحَمُ بِنَا وَأَنْصَحُ لَنَا مِنَّا بِأَنْفُسِنَا وَلَهَا، فَلَا حَاجَةَ إِلَى الدُّعَاءِ وَالطَّلَبِ، وَإِنَّمَا نَدْعُوكَ إِظْهَارًا لِلْعُبُودِيَّةِ لَكَ، وَتَخَشُّعًا لِعَظَمَتِكَ، وَتَذَلُّلًا لِعِزَّتِكَ، وَافْتِقَارًا إِلَى مَا عِنْدَكَ، وَاسْتِعْجَالًا لِنَيْلِ أَيَادِيكَ، وَوَلَهًا إِلَى رَحْمَتِكَ، وَكَمَا يَتَمَلَّقُ الْعَبْدُ بَيْنَ يَدَيْ سَيِّدِهِ، رَغْبَةً فِي إِصَابَةِ مَعْرُوفِهِ، مَعَ تَوَفُّرِ السَّيِّدِ عَلَى حُسْنِ الْمَلَكَةِ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهُ رَفَعَ حَاجَتَهُ إِلَى كَرِيمٍ فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ النَّجْحَ، فَأَرَادَ أَنْ يُذَكِّرَهُ فَقَالَ: مِثْلُكَ لَا يُذْكَّرُ اسْتِقْصَارًا وَلَا تَوَهُّمًا لِلْغَفْلَةِ عَنْ جَوَابِ السَّائِلِينَ، وَلَكِنَّ ذَا الْحَاجَةِ لَا تَدَعُهُ حَاجَتُهُ أَلَّا يَتَكَلَّمَ فِيهَا.

وَقِيلَ: مَا تُخْفِي مِنَ الْوَجْدِ لِمَا وَقَعَ بَيْنَنَا مِنَ الْفُرْقَةِ، وَمَا نُعْلِنُ مِنَ الْبُكَاءِ وَالدُّعَاءِ.

وَقِيلَ: مَا نُخْفِي مِنْ كَآبَةِ الِافْتِرَاقِ، وَمَا نُعْلِنُ: يُرِيدُ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ هَاجَرَ حِينَ قَالَتْ لَهُ عِنْدَ الْوَدَاعِ: إِلَى مَنْ تَكِلُنَا؟ قَالَ: إِلَى اللَّهِ أَكِلُكُمْ، قَالَتْ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا نَخْشَى، تَرَكْتَنَا إِلَى كَافٍ.

﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾[1]: مِنْ كَلَامِ اللَّهِ –عَزَّ وَجَلَّ– تَصْدِيقًا لِإِبْرَاهِيمَ – عَلَيْهِ السَّلَامُ–، كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴾[2]، أَوْ مِنْ كَلَامِ إِبْرَاهِيمَ، يَعْنِي: وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ الَّذِي هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ مِنْ شَيْءٍ فِي كُلِّ مَكَانٍ.

وَ﴿مِنْ﴾[3]: لِلِاسْتِغْرَاقِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَمَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مَا. ﴿عَلَى﴾[4] فِي قَوْلِهِ: ﴿عَلَى الْكِبَرِ﴾[5]، بِمَعْنَى: "مَعَ" كَقَوْلِهِ:

إِنِّي عَلَى مَا تَرَيْنَ مِنْ كِبَرِي... أَعْلَمُ مِنْ حَيْثُ تُؤْكَلُ الْكَتِفُ

وَهُوَ فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، مَعْنَاهُ: وَهَبَ لِي وَأَنَا كَبِيرٌ وَفِي حَالِ الْكِبَرِ.

رُوِيَ أَنَّ إِسْمَاعِيلَ وُلِدَ لَهُ وَهُوَ ابْنُ تِسْعٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَوُلِدَ لَهُ إِسْحَاقُ، وَهُوَ ابْنُ مِائَةٍ وَثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ وُلِدَ لَهُ إِسْمَاعِيلُ لِأَرْبَعٍ وَسِتِّينَ، وَإِسْحَاقُ لِتِسْعِينَ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: لَمْ يُولَدْ لِإِبْرَاهِيمَ إِلَّا بَعْدَ مِائَةٍ وَسَبْعَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَإِنَّمَا ذَكَرَ حَالَ الْكِبَرِ، لِأَنَّ الْمِنَّةَ بِهِبَةِ الْوَلَدِ فِيهَا أَعْظَمُ، مِنْ حَيْثُ إِنَّهَا حَالُ وُقُوعِ الْيَأْسِ مِنَ الْوِلَادَةِ، وَالظَّفَرِ بِالْحَاجَةِ عَلَى عَقِبِ الْيَأْسِ مِنْ أَجَلِّ النِّعَمِ وَأَحْلَاهَا فِي نَفْسِ الظَّافِرِ، وَلِأَنَّ الْوِلَادَةَ فِي تِلْكَ السِّنِّ الْعَالِيَةِ كَانَتْ آيَةً لِإِبْرَاهِيمَ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة النَّمْلُ، الآية 34.

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾[1]: كَانَ قَدْ دَعَا رَبَّهُ وَسَأَلَهُ الْوَلَدَ، فَقَالَ: رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ، فَشَكَرَ لِلَّهِ مَا أَكْرَمَهُ بِهِ مِنْ إِجَابَتِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: اللَّهُ –تَعَالَى– يَسْمَعُ كُلَّ دُعَاءٍ، أَجَابَهُ أَوْ لَمْ يُجِبْهُ.

قُلْتُ: هُوَ مِنْ قَوْلِكَ: سَمِعَ الْمَلِكُ كَلَامَ فُلَانٍ إِذَا اعْتَدَّ بِهِ وَقَبِلَهُ وَمِنْهُ: سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ وَفِي الْحَدِيثِ، "مَا أَذِنَ اللَّهُ لِشَيْءٍ كَإِذْنِهِ لِنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بِالْقُرْآنِ".

فَإِنْ قُلْتَ: مَا هَذِهِ الْإِضَافَةُ إِضَافَةُ السَّمِيعِ إِلَى الدُّعَاءِ؟

قُلْتُ: إِضَافَةُ الصِّفَةِ إِلَى مَفْعُولِهَا، وَأَصْلُهُ: لَسَمِيعٌ الدُّعَاءَ، وَقَدْ ذَكَرَ سِيبَوَيْهِ فَعِيلًا فِي جُمْلَةِ أَبْنِيَةِ الْمُبَالَغَةِ الْعَامِلَةِ عَمَلَ الْفِعْلِ، كَقَوْلِكَ: هَذَا ضَرُوبٌ زَيْدًا، وَضَرَّابٌ أَخَاهُ، وَمِنْحَارٌ إِبِلَهُ، وَحَذِرٌ أُمُورًا، وَرَحِيمٌ أَبَاهُ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ إِضَافَةِ فَعِيلٍ إِلَى فَاعِلِهِ، وَيُجْعَلُ دُعَاءُ اللَّهِ سَمِيعًا عَلَى الْإِسْنَادِ الْمَجَازِيِّ، وَالْمُرَادُ: سَمَاعُ اللَّهِ.

﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[2]

﴿وَمِنْ ذُرِّيَّتِي﴾[3]: وَبَعْضُ ذُرِّيَّتِي، عَطْفًا عَلَى الْمَنْصُوبِ فِي ﴿اجْعَلْنِي﴾[4]، وَإِنَّمَا بَعَّضَ لِأَنَّهُ عَلِمَ بِإِعْلَامِ اللَّهِ أَنَّهُ يَكُونُ فِي ذُرِّيَّتِهِ كُفَّارٌ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿لا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾[5].

﴿وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ﴾[6]، أَيْ: عِبَادَتِي، ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[7].

فِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: "وَلِأَبَوَيَّ".

وَقَرَأَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: "وَلِوَالِدِي": عَلَى الْإِفْرَادِ، يَعْنِي: أَبَاهُ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: "وَلِوَلَدَيَّ"، يَعْنِي: إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَة، الآية 124.

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إ مَرْيَمُ، الآية 48.

وَقُرِئَ: "لِوُلْدِي" بِضَمِّ الْوَاوِ، وَالْوُلْدُ بِمَعْنَى: الْوَلَدِ، كَالْعُدْمِ وَالْعَدَمِ.

وَقِيلَ: جَمْعُ وَلَدٍ، كَأَسُدٍ فِي أَسَدٍ، وَفِي بَعْضِ الْمَصَاحِفِ: "وَلِذُرِّيَّتِي".

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ جَازَ لَهُ أَنْ يَسْتَغْفِرَ لِأَبَوَيْهِ وَكَانَا كَافِرَيْنِ؟

قُلْتُ: هُوَ مِنْ مُجَوِّزَاتِ الْعَقْلِ، لَا يُعْلَمُ امْتِنَاعُ جَوَازِهِ إِلَّا بِالتَّوْقِيفِ.

وَقِيلَ: أَرَادَ بِوَالِدَيْهِ: آدَمَ وَحَوَّاءَ، وَقِيلَ: بِشَرْطِ الْإِسْلَامِ، وَيَأْبَاهُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾[1]، لِأَنَّهُ لَوْ شَرَطَ الْإِسْلَامَ، لَكَانَ اسْتِغْفَارًا صَحِيحًا لَا مَقَالَ فِيهِ، فَكَيْفَ يَسْتَثْنِي الِاسْتِغْفَارَ الصَّحِيحَ مِنْ جُمْلَةِ مَا يُؤْتَسَى فِيهِ بِإِبْرَاهِيمَ؟!

﴿يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾[2]، أَيْ: يَثْبُتُ، وَهُوَ مُسْتَعَارٌ مِنْ قِيَامِ الْقَائِمِ عَلَى الرِّجْلِ، وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ قَوْلُهُمْ: قَامَتِ الْحَرْبُ عَلَى سَاقِهَا، وَنَحْوُهُ قَوْلُهُمْ: تَرَجَّلَتِ الشَّمْسُ: إِذَا أَشْرَقَتْ وَثَبَتَ ضَوْؤُهَا، كَأَنَّهَا قَامَتْ عَلَى رِجْلٍ، وَيَجُوزُ أَنْ يُسْنِدَ إِلَى الْحِسَابِ قِيَامَ أَهْلِهِ إِسْنَادًا مَجَازِيًّا، أَوْ يَكُونَ مِثْلَ: ﴿وَاسْئَلِ الْقَرْيَةَ﴾[3].

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: قَدِ اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ فِيمَا سَأَلَ، فَلَمْ يَعْبُدْ أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ صَنَمًا بَعْدَ دَعْوَتِهِ، وَجَعَلَ الْبَلَدَ آمِنًا، وَرَزَقَ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ، وَجَعَلَهُ إِمَامًا، وَجَعَلَ فِي ذُرِّيَّتِهِ مَنْ يُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَأَرَاهُ مَنَاسِكَهُ، وَتَابَ عَلَيْهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا– أَنَّهُ قَالَ: كَانَتِ الطَّائِفُ مِنْ أَرْضِ فِلَسْطِينَ، فَلَمَّا قَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ﴾[4] الْآيَةُ، رَفَعَهَا اللَّهُ فَوَضَعَهَا، حَيْثُ وَضَعَهَا رِزْقًا لِلْحَرَمِ.

﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾[5]

---

[1] سورة الْمُمْتَحِنَةُ، الآية 44.

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية 37.

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: يَتَعَالَى اللَّهُ عَنِ السَّهْوِ وَالْغَفْلَةِ، فَكَيْفَ يَحْسَبُهُ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ أَعْلَمُ النَّاسِ بِهِ غَافِلًا حَتَّى قِيلَ: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا﴾[1]؟

قُلْتُ: إِنْ كَانَ خِطَابًا لِرَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَفِيهِ وَجْهَانِ:

–أَحَدُهُمَا: التَّثْبِيتُ عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ مِنْ أَنَّهُ لَا يَحْسَبُ اللَّهَ غَافِلًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[2]، ﴿وَلا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾[3]، كَمَا جَاءَ فِي الْأَمْرِ: ﴿خَبِيرًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾[4].

–وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّهْيِ عَنْ حُسْبَانِهِ غَافِلًا، الْإِيذَانُ بِأَنَّهُ عَالِمٌ بِمَا يَفْعَلُ الظَّالِمُونَ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ، وَأَنَّهُ مُعَاقِبُهُمْ عَلَى قَلِيلِهِ وَكَثِيرِهِ عَلَى سَبِيلِ الْوَعِيدِ وَالتَّهْدِيدِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[5]، يُرِيدُ: الْوَعِيدَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: وَلَا تَحْسَبَنَّهُ يُعَامِلُهُمْ مُعَامَلَةَ الْغَافِلِ عَمَّا يَعْمَلُونَ، وَلَكِنْ مُعَامَلَةَ الرَّقِيبِ عَلَيْهِمْ، الْمُحَاسِبِ عَلَى النَّقِيرِ وَالْقِطْمِيرِ، وَإِنْ كَانَ خِطَابًا لِغَيْرِهِ مِمَّنْ يَجُوزُ أَنْ يَحْسَبَهُ غَافِلًا، لِجَهْلِهِ بِصِفَاتِهِ، فَلَا سُؤَالَ فِيهِ.

وَعَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ: تَسْلِيَةٌ لِلْمَظْلُومِ وَتَهْدِيدٌ لِلظَّالِمِ، فَقِيلَ لَهُ: مَنْ قَالَ هَذَا؟ فَغَضِبَ وَقَالَ: إِنَّمَا قَالَهُ مِنْ عِلْمِهِ، وَقُرِئَ: "نُؤَخِّرُهُمْ" بِالنُّونِ وَالْيَاءِ.

﴿تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ﴾[6]، أَيْ: أَبْصَارُهُمْ لَا تَقَرُّ فِي أَمَاكِنِهَا مِنْ هَوْلِ مَا تَرَى، ﴿مُهْطِعِينَ﴾[7]: مُسْرِعِينَ إِلَى الدَّاعِي.

وَقِيلَ: الْإِهْطَاعُ أَنْ تُقْبِلَ بِبَصَرِكَ عَلَى الْمَرْئِيِّ تُدِيمُ النَّظَرَ إِلَيْهِ لَا تَطْرُفُ.

﴿مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ﴾[8]: رَافِعِيهَا.

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة يُونُسُ، الآية 105.

[3] سورة إ الْقَصَص، الآية 88.

[4] سورة إ النِّسَاء، الآية 136.

[5] سورة إ الْبَقَرَة، الآية 283.

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[8] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ﴾[1]: لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ أَنْ يَطْرِفُوا بِعُيُونِهِمْ، أَيْ: لَا يَطْرِفُونَ، وَلَكِنَّ عُيُونَهُمْ مَفْتُوحَةٌ مَمْدُودَةٌ غَيْرَ تَحْرِيكٍ لِلْأَجْفَانِ، أَوْ لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ نَظَرُهُمْ، فَيَنْظُرُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ، الْهَوَاءُ: الْخَلَاءُ الَّذِي لَمْ تَشْغَلْهُ الْأَجْرَامُ، فَوَصَفَ بِهِ فَقِيلَ: قَلْبُ فُلَانٍ هَوَاءٌ: إِذَا كَانَ جَبَانًا لَا قُوَّةَ فِي قَلْبِهِ وَلَا جُرْأَةَ، وَيُقَالُ لِلْأَحْمَقِ –أَيْضًا–: قَلْبُهُ هَوَاءٌ.

قَالَ زُهَيْرٌ:

.....مِنَ الظُّلْمَانِ جُؤْجُؤُهُ هَوَاءُ

لِأَنَّ النَّعَامَ مَثَلٌ فِي الْجُبْنِ وَالْحُمْقِ، وَقَالَ حَسَّانُ:

..... فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخْبٌ هَوَاءُ

وَعَنِ ابْنِ جُرَيْجٍ: "أَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ": صِفْرٌ مِنَ الْخَيْرِ خَاوِيَةٌ مِنْهُ، وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: جُوَّفٌ لَا عُقُولَ لَهُمْ.

﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ الْأَمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾[2]

﴿يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ﴾[3]: مَفْعُولٌ ثَانٍ لِأَنْذِرِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

وَمَعْنَى: ﴿أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾[4]: رُدَّنَا إِلَى الدُّنْيَا وَأَمْهِلْنَا إِلَى أَمَدٍ وَحَدٍّ مِنَ الزَّمَانِ قَرِيبٍ، نَتَدَارَكْ مَا فَرَّطْنَا فِيهِ مِنْ إِجَابَةِ دَعْوَتِكَ وَاتِّبَاعِ رُسُلِكَ، أَوْ أُرِيدَ بِالْيَوْمِ: يَوْمُ هَلَاكِهِمْ بِالْعَذَابِ الْعَاجِلِ، أَوْ يَوْمُ مَوْتِهِمْ مُعَذَّبِينَ بِشِدَّةِ السَّكَرَاتِ وَلِقَاءِ الْمَلَائِكَةِ بِلَا بُشْرَى، وَأَنَّهُمْ

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

يَسْأَلُونَ يَوْمَئِذَ أَنْ يُؤَخِّرَهُمْ رَبُّهُمْ إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ، كَقَوْلِهِ: ﴿لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ﴾[1].

﴿أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ﴾[2]: عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، وَفِيهِ وَجْهَانِ:

-أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ بَطَرًا وَأَشَرًا، وَلِمَا اسْتَوْلَى عَلَيْهِمْ مِنْ عَادَةِ الْجَهْلِ وَالسَّفَهِ.

-وَأَنْ يَقُولُوهُ بِلِسَانِ الْحَالِ، حَيْثُ بَنَوْا شَدِيدًا وَأَمَّلُوا بَعِيدًا.

وَ﴿مَا لَكُمْ﴾[3]: جَوَابُ الْقَسَمِ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِلَفْظِ الْخِطَابِ لِقَوْلِهِ: ﴿أَقْسَمْتُمْ﴾[4]، وَلَوْ حَكَى لَفْظَ الْمُقْسِمِينَ لَقِيلَ: مَا لَنَا، ﴿مِنْ زَوَالٍ﴾[5].

وَالْمَعْنَى: أَقْسَمْتُمْ أَنَّكُمْ بَاقُونَ فِي الدُّنْيَا لَا تَزَالُونَ بِالْمَوْتِ وَالْفَنَاءِ.

وَقِيلَ: لَا تَنْتَقِلُونَ إِلَى دَارٍ أُخْرَى يَعْنِي: كُفْرَهُمْ بِالْبَعْثِ.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ﴾[6]، يُقَالُ: سَكَنَ الدَّارَ وَسَكَنَ فِيهَا، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾[7]، لِأَنَّ السُّكْنَى مِنَ السُّكُونِ الَّذِي هُوَ اللُّبْثُ، وَالْأَصْلُ: تَعَدِّيهِ بِ ﴿فِي﴾[8]، كَقَوْلِكَ: قَرَّ فِي الدَّارِ وَغَنِيَ فِيهَا وَأَقَامَ فِيهَا، وَلَكِنَّهُ لَمَّا نُقِلَ إِلَى سُكُونٍ خَاصٍّ تُصُرِّفَ فِيهِ؛ فَقِيلَ: سَكَنَ الدَّارَ كَمَا قِيلَ: تَبَوَّأَهَا وَأُوطِنَهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: سَكَنُوا مِنَ السُّكُونِ، أَيْ: قَرُّوا فِيهَا وَاطْمَأَنُّوا طَيِّبِي النُّفُوسِ، سَائِرِينَ سِيرَةَ مَنْ قَبْلَهُمْ فِي الظُّلْمِ وَالْفَسَادِ، لَا يُحَدِّثُونَهَا بِمَا لَقِيَ الْأَوَّلُونَ مِنْ أَيَّامِ اللَّهِ، وَكَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ ظُلْمِهِمْ، فَيَعْتَبِرُوا وَيَرْتَدِعُوا.

﴿وَتَبَيَّنَ لَكُمْ﴾[9]: بِالْإِخْبَارِ وَالْمُشَاهَدَةِ.

---

[1] سورة الْمُنَافِقُونَ، الآية 10.

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إ النَّحْلُ، الآية 38.

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية 45.

[8] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[9] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿كَيْفَ﴾[1]: أَهْلَكْنَاهُمْ وَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ.

وَقُرِئَ: "وَنُبَيِّنُ لَكُمْ" بِالنُّونِ.

﴿وَضَرَبْنَا لَكُمُ الأَمْثَالَ﴾[2]، أَيْ: صِفَاتِ مَا فَعَلُوا، وَمَا فُعِلَ بِهِمْ، وَهِيَ فِي الْغَرَابَةِ كَالْأَمْثَالِ الْمَضْرُوبَةِ لِكُلِّ ظَالِمٍ.

﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ﴾[3]، أَيْ: مَكْرُهُمُ الْعَظِيمُ الَّذِي اسْتَفْرَغُوا فِيهِ جُهْدَهُمْ.

﴿وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ﴾[4]: لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُضَافًا إِلَى الْفَاعِلِ كَالْأَوَّلِ، عَلَى مَعْنَى: وَمَكْتُوبٌ عِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ، فَهُوَ مُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ بِمَكْرٍ هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ، أَوْ يَكُونُ مُضَافًا إِلَى الْمَفْعُولِ عَلَى مَعْنَى: وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمُ الَّذِي يَمْكُرُهُمْ بِهِ، وَهُوَ عَذَابُهُمُ الَّذِي يَسْتَحِقُّونَهُ يَأْتِيهِمْ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ وَلَا يَحْتَسِبُونَ.

﴿وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾[5]: وَإِنْ عَظُمَ مَكْرُهُمْ وَتَبَالَغَ فِي الشِّدَّةِ، فَضُرِبَ زَوَالُ الْجِبَالِ مِنْهُ مَثَلًا لِتَفَاقُمِهِ وَشِدَّتِهِ، أَيْ: وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ مُسَوًّى لِإِزَالَةِ الْجِبَالِ، مُعَدًّا لِذَلِكَ.

وَقَدْ جُعِلَتْ إِنْ نَافِيَةً وَاللَّامُ مُؤَكِّدَةً لَهَا، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾[6].

وَالْمَعْنَى: وَمُحَالٌ أَنْ تَزُولَ الْجِبَالُ بِمَكْرِهِمْ، عَلَى أَنَّ الْجِبَالَ مَثَلٌ لِآيَاتِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ، لِأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْجِبَالِ الرَّاسِيَةِ ثَبَاتًا وَتَمَكُّنًا، وَتَنْصُرُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: "وَمَا كَانَ مَكْرُهُمْ".

وَقُرِئَ: "لَتَزُولُ": بِلَامِ الِابْتِدَاءِ، عَلَى: "وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ" مِنَ الشِّدَّةِ بِحَيْثُ تَزُولُ مِنْهُ الْجِبَالُ وَتَنْقَلِعُ مِنْ أَمَاكِنِهَا.

وَقَرَأَ عَلِيٌّ وَعُمَرُ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: "وَإِنْ كَادَ مَكْرُهُمْ".

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إ الْبَقَرَةُ:، الآية **143**.

﴿مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ﴾[1]، يَعْنِي: قَوْلَهُ: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا﴾[2]، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾[3].

فَإِنْ قُلْتَ: هَلَّا قِيلَ: مُخْلِفَ رُسُلِهِ وَعْدَهُ؟ وَلِمَ قَدَّمَ الْمَفْعُولَ الثَّانِيَ عَلَى الْأَوَّلِ؟

قُلْتُ: قَدَّمَ الْوَعْدَ لِيُعْلَمَ أَنَّهُ لَا يُخْلِفُ الْوَعْدَ أَصْلًا، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[4].

ثُمَّ قَالَ: ﴿رُسُلَهُ﴾[5]: لِيُؤْذِنَ أَنَّهُ إِذَا لَمْ يُخْلِفْ وَعْدَهُ أَحَدًا –وَلَيْسَ مِنْ شَأْنِهِ إِخْلَافُ الْمَوَاعِيدِ– كَيْفَ يُخْلِفُهُ رُسُلَهُ الَّذِينَ هُمْ خِيرَتُهُ وَصَفْوَتُهُ؟

وَقُرِئَ: "مُخْلِفَ وَعْدَهُ رُسُلِهِ"، بِجَرِّ الرُّسُلِ، وَنَصْبِ الْوَعْدِ، وَهَذِهِ فِي الضَّعْفِ كَمَنْ قَرَأَ: ﴿قَتْلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَائِهِمْ﴾[6].

﴿عَزِيزٌ﴾[7]: غَالِبٌ لَا يُمَاكَرُ، ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾[8]: لِأَوْلِيَائِهِ مِنْ أَعْدَائِهِ.

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[9]

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة غَافِرٌ، الآية 51.

[3] سورة الْمُجَادَلَةُ، الآية 51.

[4] سورة الرَّعْدُ، الآية 31.

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة الرَّعْدُ، الآية 31.

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[8] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[9] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ﴾[1]: انْتِصَابُهُ عَلَى الْبَدَلِ مِنْ يَوْمَ يَأْتِيهِمْ، أَوْ عَلَى الظَّرْفِ لِلانْتِقَامِ.

وَالْمَعْنَى: يَوْمَ تُبَدَّلُ هَذِهِ الْأَرْضُ الَّتِي تَعْرِفُونَهَا أَرْضًا أُخْرَى غَيْرَ هَذِهِ الْمَعْرُوفَةِ، وَكَذَلِكَ السَّمَوَاتُ.

وَالتَّبْدِيلُ: التَّغْيِيرُ:

– وَقَدْ يَكُونُ فِي الذَّوَاتِ، كَقَوْلِكَ: بَدَّلْتُ الدَّرَاهِمَ دَنَانِيرَ، وَمِنْهُ: ﴿بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا﴾[2]، وَ﴿وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ﴾[3].

– وَفِي الْأَوْصَافِ، كَقَوْلِكَ: بَدَّلْتُ الْحَلْقَةَ خَاتَمًا، إِذَا أَذَبْتَهَا وَسَوَّيْتَهَا خَاتَمًا، فَنَقَلْتَهَا مِنْ شَكْلٍ إِلَى شَكْلٍ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ﴾[4].

وَاخْتُلِفَ فِي تَبْدِيلِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ، فَقِيلَ: تُبَدَّلُ أَوْصَافُهَا فَتَسِيرُ عَنِ الْأَرْضِ جِبَالُهَا وَتُفَجَّرُ بِحَارُهَا، وَتُسَوَّى فَلَا يُرَى فِيهَا عِوَجٌ وَلَا أَمْتٌ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: هِيَ تِلْكَ الْأَرْضُ وَإِنَّمَا تُغَيَّرُ، وَأَنْشَدَ:

وَمَا النَّاسُ بِالنَّاسِ عَهِدْتُهُمْ... وَلا الدَّارُ بِالدَّارِ الَّتِي كُنْتَ تَعْلَمُ

وَتُبَدَّلُ السَّمَاءُ بِانْتِثَارِ كَوَاكِبِهَا، وَكُسُوفِ شَمْسِهَا، وَخُسُوفِ قَمَرِهَا، وَانْشِقَاقِهَا، وَكَوْنِهَا أَبْوَابًا.

وَقِيلَ: يُخْلَقُ بَدَلَهَا أَرْضٌ وَسَمَوَاتٌ أُخَرُ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ وَأَنَسٍ: يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَرْضٍ بَيْضَاءَ لَمْ يُخْطِئْ عَلَيْهَا أَحَدٌ خَطِيئَةً.

وَعَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: تُبَدَّلُ أَرْضًا مِنْ فِضَّةٍ، وَسَمَوَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ.

وَعَنِ الضَّحَّاكِ: أَرْضًا مِنْ فِضَّةٍ بَيْضَاءَ كَالصَّحَائِفِ.

وَقُرِئَ: "يَوْمَ نُبَدِّلُ الْأَرْضَ" بِالنُّونِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ قَالَ: ﴿الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[5]؟

---

[1] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[2] سورة النِّسَاءُ، الآية 56.

[3] سورة سَبَأٌ، الآية 16.

[4] سورة إ الْفُرْقَانُ، الآية 70.

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

قُلْتُ: هُوَ كَقَوْلِهِ: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[1]، لِأَنَّ الْمُلْكَ إِذَا كَانَ لِوَاحِدٍ غَلَّابٍ لَا يُغَالَبُ وَلَا يُعَازُّ فَلَا مُسْتَغَاثَ لِأَحَدٍ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا مُسْتَجَارَ كَانَ الْأَمْرُ فِي غَايَةِ الصُّعُوبَةِ وَالشِّدَّةِ.

﴿مُقْرَّنِينَ﴾[2]: قُرِّنَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ، أَوْ مَعَ الشَّيَاطِينِ، أَوْ قُرِّنَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَرْجُلِهِمْ مُغَلَّلِينَ.

وَقَوْلُهُ: ﴿فِي الْأَصْفَادِ﴾[3]: إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمُقَرَّنِينَ، أَيْ: يُقَرَّنُونَ فِي الْأَصْفَادِ، وَإِمَّا أَنْ لَا يَتَعَلَّقَ بِهِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: مُقَرَّنِينَ مُصَفَّدِينَ، وَالْأَصْفَادُ: الْقُيُودُ، وَقِيلَ: الْأَغْلَالُ، وَأَنْشَدَ لِسَلَامَةَ بْنِ جَنْدَلٍ:

وَزَيْدُ الْخَيْلِ قَدْ لاقَى صِفَادًا... يَعَضُّ بِسَاعِدٍ وَبِعَظْمِ سَاقِ

الْقَطِرَانُ: فِيهِ ثَلَاثُ لُغَاتٍ: قَطِرَانٌ.

وَقَطْرَانٌ وَقِطْرَانٌ: بِفَتْحِ الْقَافِ وَكَسْرِهَا مَعَ سُكُونِ الطَّاءِ، وَهُوَ مَا يَتَحَلَّبُ مِنْ شَجَرٍ يُسَمَّى الْأَبْهَلَ فَيُطْبَخُ، فَتَهْنَأُ بِهِ الْإِبِلُ الْجَرْبَى، فَيَحْرِقُ الْجَرَبَ بِحَرِّهِ وَحِدَّتِهِ، وَالْجِلْدَ، وَقَدْ تَبْلُغُ حَرَارَتُهُ الْجَوْفَ، وَمِنْ شَأْنِهِ أَنْ يُسْرِعَ فِي اشْتِعَالِ النَّارِ، وَقَدْ يُسْتَسْرَجُ بِهِ، وَهُوَ أَسْوَدُ اللَّوْنِ مُنْتِنُ الرِّيحِ، فَتُطْلَى بِهِ جُلُودُ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى يَعُودَ طِلَاؤُهُ لَهُمْ كَالسَّرَابِيلِ، وَهِيَ الْقُمُصُ، لِتَجْتَمِعَ عَلَيْهِمُ الْأَرْبَعُ: لَذْعُ الْقَطِرَانِ، وَحُرْقَتُهُ، وَإِسْرَاعُ النَّارِ فِي جُلُودِهِمْ، وَاللَّوْنُ الْوَحْشُ، وَنَتَنُ الرِّيحِ، عَلَى أَنَّ التَّفَاوُتَ بَيْنَ الْقَطْرَانَيْنِ كَالتَّفَاوُتِ بَيْنَ النَّارَيْنِ.

وَكُلُّ مَا وَعَدَهُ اللَّهُ أَوْ وَعَدَ بِهِ فِي الْآخِرَةِ، فَبَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا نُشَاهِدُ مِنْ جِنْسِهِ مَا لَا يُقَادَرُ قَدْرُهُ، وَكَأَنَّهُ مَا عِنْدَنَا مِنْهُ إِلَّا الْأَسَامِي، وَالْمُسَمَّيَاتُ ثَمَّةَ، فَبِكَرَمِهِ الْوَاسِعِ نَعُوذُ مِنْ سَخَطِهِ، وَنَسْأَلُهُ التَّوْفِيقَ فِيمَا يُنْجِينَا مِنْ عَذَابِهِ.

وَقُرِئَ: "مِنْ قَطْرَانٍ"، وَالْقَطْرُ: النُّحَاسُ أَوِ الصُّفْرُ الْمُذَابُ، وَالْآنِي: الْمُتَنَاهِي حَرُّهُ.

﴿وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾[4]، كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾[5]، ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ﴾[6]، لِأَنَّ الْوَجْهَ أَعَزُّ مَوْضِعٍ فِي ظَاهِرِ

---

[1] سورة غَافِرٌ، الآية 16.

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة الزُّمَرُ، الآية 24.

الْبَدَنِ وَأَشْرَفُهُ، كَالْقَلْبِ فِي بَاطِنِهِ، وَلِذَلِكَ قَالَ: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾[1].

وَقُرِئَ: "وَتَغْشَى وُجُوهَهُمْ"، بِمَعْنَى: تَتَغَشَّى، أَيْ: يَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ مَا يَفْعَلُ.

﴿لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ﴾[2]: مُجْرِمَةٍ.

﴿مَا كَسَبَتْ﴾[3]: أَوْ كُلَّ نَفْسٍ مِنْ مُجْرِمَةٍ وَمُطِيعَةٍ، لِأَنَّهُ إِذَا عَاقَبَ الْمُجْرِمِينَ لِإِجْرَامِهِمْ عَلِمَ أَنَّهُ يُثِيبُ الْمُطِيعِينَ لِطَاعَتِهِمْ.

﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾[4]

﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ﴾[5]: كِفَايَةٌ فِي التَّذْكِيرِ وَالْمَوْعِظَةِ، يَعْنِي: بِهَذَا مَا وَصَفَهُ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ﴾[6] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[7].

﴿وَلِيُنْذَرُوا﴾[8]: مَعْطُوفٌ عَلَى مَحْذُوفٍ، أَيْ: لِيُنْصَحُوا وَلِيُنْذَرُوا.

﴿بِهِ﴾[9]: بِهَذَا الْبَلَاغِ.

وَقُرِئَ: "وَلِيَنْذِرُوا" بِفَتْحِ الْيَاءِ: مِنْ نَذَرَ بِهِ إِذَا عَلِمَهُ وَاسْتَعَدَّ لَهُ.

﴿وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[10]: لِأَنَّهُمْ إِذَا خَافُوا مَا أُنْذِرُوا بِهِ، دَعَتْهُمُ الْمَخَافَةُ إِلَى النَّظَرِ حَتَّى يَتَوَصَّلُوا إِلَى التَّوْحِيدِ، لِأَنَّ الْخَشْيَةَ أُمُّ الْخَيْرِ كُلِّهِ .

---

[6] سورة الْقَمَرُ، الآية 48.

[1] سورة الْقَمَرُ، الآية 77.

[2] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[3] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[4] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[5] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[6] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[7] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[8] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[9] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

[10] سورة إِبْرَاهِيمَ، الآية .

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ إِبْرَاهِيمَ أُعْطِيَ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرَ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ كُلِّ مَنْ عَبَدَ الْأَصْنَامَ وَعَدَدِ مَنْ لَمْ يَعْبُدْ".

سُورَةُ الْحِجْرِ

سورة الحجر

مَكِّيَّةٌ [إِلَّا آيَةَ 87 فَمَدَنِيَّةٌ]
وَهِيَ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ آيَةً
[نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ يُوسُفَ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾[1]

﴿تِلْكَ﴾[2]: إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَضَمَّنَتْهُ السُّورَةُ مِنَ الْآيَاتِ، وَالْكِتَابِ، وَالْقُرْآنُ الْمُبِينُ: السُّورَةُ، وَتَنْكِيرُ الْقُرْآنِ لِلتَّفْخِيمِ.

وَالْمَعْنَى: تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْكَامِلِ فِي كَوْنِهِ كِتَابًا وَأَيَّ قُرْآنٍ مُبِينٍ، كَأَنَّهُ قِيلَ: الْكِتَابُ الْجَامِعُ لِلْكَمَالِ وَالْغَرَابَةِ فِي الْبَيَانِ.

﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[3]

قُرِئَ: "رُبَّمَا"، وَ "رُبَّتَمَا": بِالتَّشْدِيدِ، وَ"رُبَمَا"، "وَرَبَمَا": بِالضَّمِّ وَالْفَتْحِ مَعَ التَّخْفِيفِ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ دَخَلَتْ عَلَى الْمُضَارِعِ، وَقَدْ أَبَوْا دُخُولَهَا إِلَّا عَلَى الْمَاضِي؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْمُتَرَقَّبَ فِي إِخْبَارِ اللَّهِ -تَعَالَى- بِمَنْزِلَةِ الْمَاضِي الْمَقْطُوعِ بِهِ فِي تَحَقُّقِهِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: "رُبَّمَا وَدَّ".

فَإِنْ قُلْتَ: مَتَى تَكُونُ وِدَادَتُهُمْ؟

قُلْتُ: عِنْدَ الْمَوْتِ، أَوْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا عَايَنُوا حَالَهُمْ وَحَالَ الْمُسْلِمِينَ.

وَقِيلَ: إِذَا رَأَوُا الْمُسْلِمِينَ يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، وَهَذَا -أَيْضًا- بَابٌ مِنَ الْوَدَادَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى التَّقْلِيلِ؟

قُلْتُ: هُوَ وَارِدٌ عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ: لَعَلَّكَ سَتَنْدَمُ عَلَى فِعْلِكَ.

وَرُبَّمَا نَدِمَ الْإِنْسَانُ عَلَى مَا فَعَلَ، وَلَا يَشُكُّونَ فِي تَنَدُّمِهِ، وَلَا يَقْصِدُونَ تَقْلِيلَهُ، وَلَكِنَّهُمْ أَرَادُوا: لَوْ كَانَ النَّدَمُ مَشْكُوكًا فِيهِ أَوْ كَانَ قَلِيلًا لَحَقَّ عَلَيْكَ أَلَّا تَفْعَلَ هَذَا الْفِعْلَ، لِأَنَّ الْعُقَلَاءَ يَتَحَرَّزُونَ مِنَ التَّعَرُّضِ لِلْغَمِّ الْمَظْنُونِ، كَمَا يَتَحَرَّزُونَ مِنَ الْمُتَيَقَّنِ وَمِنَ الْقَلِيلِ مِنْهُ، كَمَا مِنَ الْكَثِيرِ.

وَكَذَلِكَ الْمَعْنَى فِي الْآيَةِ: لَوْ كَانُوا يَوَدُّونَ الْإِسْلَامَ مَرَّةً وَاحِدَةً، فَبِالْحَرِيِّ أَنْ يُسَارِعُوا إِلَيْهِ، فَكَيْفَ وَهُمْ يَوَدُّونَهُ فِي كُلِّ سَاعَةٍ؟!

﴿لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾[1]: حِكَايَةُ وَدَادَتِهِمْ، وَإِنَّمَا جِيءَ بِهَا عَلَى لَفْظِ الْغَيْبَةِ، لِأَنَّهُمْ مُخْبَرٌ عَنْهُمْ، كَقَوْلِكَ: حَلَفَ بِاللَّهِ لَيَفْعَلَنَّ، وَلَوْ قِيلَ: حَلَفَ بِاللَّهِ لَأَفْعَلَنَّ، وَلَوْ كُنَّا مُسْلِمِينَ، لَكَانَ حَسَنًا سَدِيدًا.

وَقِيلَ: تُدْهِشُهُمْ أَهْوَالُ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَيَبْقَوْنَ مَبْهُوتِينَ، فَإِنْ حَانَتْ مِنْهُمْ إِفَاقَةٌ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ مِنْ سَكْرَتِهِمْ تَمَنَّوْا، فَلِذَلِكَ قَلَّلَ.

﴿ذَرْهُمْ﴾[2]: يَعْنِي اقْطَعْ طَمَعَكَ مِن ارْعِوَائِهِمْ، وَدَعْهُمْ عَنِ النَّهْيِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ وَالصَّدِّ عَنْهُ بِالتَّذْكِرَةِ وَالنَّصِيحَةِ، وَخَلِّهِمْ: ﴿يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا﴾[3]: بِدُنْيَاهُمْ وَتَنْفِيذِ شَهَوَاتِهِمْ، وَيَشْغَلْهُمْ أَمَلُهُمْ وَتَوَقُّعُهُمْ لِطُولِ الْأَعْمَارِ وَاسْتِقَامَةِ الْأَحْوَالِ، وَأَلَّا يَلْقَوْا فِي الْعَاقِبَةِ إِلَّا خَيْرًا.

﴿فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[4]: سُوءَ صَنِيعِهِمْ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

وَالْغَرَضُ الْإِيذَانُ بِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخِذْلَانِ، وَأَنَّهُمْ لَا يَجِيءُ مِنْهُمْ إِلَّا مَا هُمْ فِيهِ، وَأَنَّهُ لَا زَاجِرَ لَهُمْ وَلَا وَاعِظَ إِلَّا مُعَايَنَةُ مَا يُنْذَرُونَ بِهِ حِينَ لَا يَنْفَعُهُمُ الْوَعْظُ، وَلَا سَبِيلَ إِلَى اتِّعَاظِهِمْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَأَمَرَ رَسُولَهُ بِأَنْ يُخَلِّيَهُمْ وَشَأْنَهُمْ وَلَا يَشْتَغِلَ بِمَا لَا طَائِلَ تَحْتَهُ، وَأَنْ يُبَالِغَ فِي تَخْلِيَتِهِمْ، حَتَّى يَأْمُرَهُمْ بِمَا لَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نَدَمًا فِي الْعَاقِبَةِ، وَفِيهِ إِلْزَامٌ لِلْحُجَّةِ وَمُبَالَغَةٌ فِي الْإِنْذَارِ وَإِعْذَارٌ فِيهِ.

وَفِيهِ تَنْبِيهٌ عَلَى أَنَّ إِيثَارَ التَّلَذُّذِ وَالتَّنَعُّمِ وَمَا يُؤَدِّي إِلَيْهِ طُولُ الْأَمَلِ، وَهَذِهِ هِجِّيرَى أَكْثَرِ النَّاسِ لَيْسَ مِنْ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعَنْ بَعْضِهِمْ: التَّمَرُّغُ فِي الدُّنْيَا مِنْ أَخْلَاقِ الْهَالِكِينَ.

﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[1]

﴿وَلَهَا كِتَابٌ﴾[2]: جُمْلَةٌ وَاقِعَةٌ صِفَةً لِقَرْيَةٍ، وَالْقِيَاسُ أَلَّا يَتَوَسَّطَ الْوَاوُ بَيْنَهُمَا، كَمَا فِي قَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا لَهَا مُنْذِرُونَ﴾[3]. وَإِنَّمَا تَوَسَّطَتْ لِتَأْكِيدِ لُصُوقِ الصِّفَةِ بِالْمَوْصُوفِ، كَمَا يُقَالُ فِي الْحَالِ: جَاءَنِي زَيْدٌ عَلَيْهِ ثَوْبٌ، وَجَاءَنِي وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ.

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾[4]: مَكْتُوبٌ مَعْلُومٌ، وَهُوَ أَجَلُهَا الَّذِي كُتِبَ فِي اللَّوْحِ وَبُيِّنَ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا﴾[5]: فِي مَوْضِعِ كِتَابِهَا، وَأَنَّثَ الْأُمَّةَ أَوَّلًا ثُمَّ ذَكَرَهَا آخِرًا، حَمْلًا عَلَى اللَّفْظِ؟!

وَالْمَعْنَى: وَقَالَ: ﴿وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾[6]: بِحَذْفِ "عَنْهُ"، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الشُّعَرَاءُ، الآية 208.

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[1]

قَرَأَ الْأَعْمَشُ: "يَا أَيُّهَا الَّذِي أُلْقِيَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ"، وَكَأَنَّ هَذَا النِّدَاءَ مِنْهُمْ عَلَى وَجْهِ الِاسْتِهْزَاءِ، كَمَا قَالَ فِرْعَوْنُ: ﴿إِنَّ رَسُولَكُمُ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ﴾[2]، وَكَيْفَ يُقِرُّونَ بِنُزُولِ الذِّكْرِ عَلَيْهِ وَيَنْسِبُونَهُ إِلَى الْجُنُونِ، وَالتَّعْكِيسُ فِي كَلَامِهِمْ لِلِاسْتِهْزَاءِ وَالتَّهَكُّمِ مَذْهَبٌ وَاسِعٌ، وَقَدْ جَاءَ فِي كِتَابِ اللَّهِ فِي مَوَاضِعَ، مِنْهَا: ﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3]؟!

﴿إِنَّكَ لأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾[4]، وَقَدْ يُوجَدُ كَثِيرًا فِي كَلَامِ الْعَجَمِ.

وَالْمَعْنَى: إِنَّكَ لَتَقُولُ قَوْلَ الْمَجَانِينِ حِينَ تَدَّعِي أَنَّ اللَّهَ نَزَّلَ عَلَيْكَ الذِّكْرَ.

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾[5]

﴿لَوْ﴾[6]: رُكِّبَتْ مَعَ "لَا" وَ"مَا": لِمَعْنَيَيْنِ: مَعْنَى امْتِنَاعِ الشَّيْءِ لِوُجُودِ غَيْرِهِ، وَمَعْنَى التَّحْضِيضِ.

وَأَمَّا "هَلْ" فَلَمْ تُرَكَّبْ إِلَّا مَعَ "لَا": وَحْدَهَا لِلتَّحْضِيضِ.

قَالَ ابْنُ مُقْبِلٍ:

لَوْ مَا الْحَيَاءُ وَلَوْمَا الدِّينُ عِبْتُكُمَا... بِبَعْضِ مَا فِيكُمَا إِذْ عِبْتُمَا عَوَرِي

وَالْمَعْنَى: هَلَّا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ يَشْهَدُونَ بِصِدْقِكَ وَيُعَضِّدُونَكَ عَلَى إِنْذَارِكَ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿لَوْلا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا﴾[7]، أَوْ: هَلَّا تَأْتِينَا بِالْمَلَائِكَةِ لِلْعِقَابِ عَلَى تَكْذِيبِنَا لَكَ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا كَمَا كَانَتْ تَأْتِي الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ بِرُسُلِهَا؟

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة هُودٌ، الآية .

[4] سورة هُودٌ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[7] سورة الْفُرْقَانُ، الآية .

﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾[1]

قُرِئَ: "تَنَزَّلُ": بِمَعْنَى: تَتَنَزَّلُ، "وَتُنَزَّلُ": عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ مِنْ نُزِّلَ.

وَ﴿نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ﴾[2]: بِالنُّونِ وَنَصْبِ الْمَلَائِكَةِ.

﴿إِلاَّ بِالْحَقِّ﴾[3]: إِلَّا تَنَزُّلًا مُلْتَبِسًا بِالْحِكْمَةِ وَالْمَصْلَحَةِ، وَلَا حِكْمَةَ فِي أَنْ تَأْتِيَكُمْ عِيَانًا تُشَاهِدُونَهُمْ وَيَشْهَدُونَ لَكُمْ بِصِدْقِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، لِأَنَّكُمْ حِينَئِذٍ مُصَدِّقُونَ عَنِ اضْطِرَارٍ.

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ﴾[4] .

وَقِيلَ: الْحَقُّ الْوَحْيُ أَوِ الْعَذَابُ.

وَ﴿إِذًا﴾[5]: جَوَابٌ وَجَزَاءٌ، لِأَنَّهُ جَوَابٌ لَهُمْ وَجَزَاءٌ لِشَرْطٍ مُقَدَّرٍ تَقْدِيرُهُ: وَلَوْ نَزَّلْنَا الْمَلَائِكَةَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ وَمَا أَخَّرَ عَذَابَهُمْ.

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[6]

﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[7]: رَدٌّ لِإِنْكَارِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾[8]؛ وَلِذَلِكَ قَالَ: إِنَّا نَحْنُ، فَأَكَّدَ عَلَيْهِمْ أَنَّهُ هُوَ الْمُنَزَّلُ عَلَى الْقَطْعِ وَالْبَتَاتِ، وَأَنَّهُ هُوَ الَّذِي بُعِثَ بِهِ جِبْرِيلُ إِلَى مُحَمَّدٍ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَبَيْنَ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية 85.

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[7] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[8] سورة الْحِجْرِ، الآية 6.

رَصَدٌ، حَتَّى نَزَلَ وَبَلَّغَ مَحْفُوظًا مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَهُوَ حَافِظُهُ فِي كُلِّ وَقْتٍ مِنْ كُلِّ زِيَادَةٍ وَنُقْصَانٍ وَتَحْرِيفٍ وَتَبْدِيلٍ، بِخِلَافِ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَتَوَلَّ حِفْظَهَا، وَإِنَّمَا اسْتَحْفَظَهَا الرَّبَّانِيِّينَ وَالْأَحْبَارَ؛ فَاخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ بَغْيًا، فَكَانَ التَّحْرِيفُ، وَلَمْ يَكِلِ الْقُرْآنَ إِلَى غَيْرِ حِفْظِهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَحِينَ كَانَ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ﴾[1]: رَدًّا لِإِنْكَارِهِمْ وَاسْتِهْزَائِهِمْ، فَكَيْفَ اتَّصَلَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2]؟

قُلْتُ: قَدْ جَعَلَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِهِ آيَةً، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ مِنْ قَوْلِ الْبَشَرِ أَوْ غَيَّرَ آيَةً، لَتَطَرَّقَ عَلَيْهِ الزِّيَادَةُ وَالنُّقْصَانُ، كَمَا يَتَطَرَّقُ عَلَى كُلِّ كَلَامٍ سِوَاهُ.

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿لَهُ﴾[3] لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- كَقَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ﴾[4].

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[5]

﴿فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ﴾[6]: فِي فِرَقِهِمْ وَطَوَائِفِهِمْ، وَالشِّيعَةُ: الْفِرْقَةُ، إِذَا اتَّفَقُوا عَلَى مَذْهَبٍ وَطَرِيقَةٍ.

وَمَعْنَى أَرْسَلْنَاهُ فِيهِمْ: نَبَّأْنَاهُ فِيهِمْ وَجَعَلْنَاهُ رَسُولًا فِيمَا بَيْنَهُمْ.

﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ﴾[7]: حِكَايَةُ حَالٍ مَاضِيَةٍ، لِأَنَّ "مَا": لَا تَدْخُلُ عَلَى مُضَارِعٍ إِلَّا وَهُوَ فِي مَعْنَى الْحَالِ، وَلَا عَلَى مَاضٍ إِلَّا وَهُوَ قَرِيبٌ مِنَ الْحَالِ.

---

1 سورة الْحِجْرِ، الآية .
2 سورة الْحِجْرِ، الآية .
3 سورة الْحِجْرِ، الآية .
4 سورة الْمَائِدَةُ، الآية 67.
5 سورة الْحِجْرِ، الآية .
6 سورة الْحِجْرِ، الآية .
7 سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾[1]

يُقَالُ: سَلَّكْتُ الْخَيْطَ فِي الْإِبْرَةِ، وَأَسْلَكْتُهُ إِذَا أَدْخَلْتُهُ فِيهَا وَنَظَمْتُهُ، وَقُرِئَ: "نَسْلُكُهُ" لِلذِّكْرِ، أَيْ: مِثْلَ ذَلِكَ السَّلْكِ، وَنَحْوُهُ: نَسْلُكُ الذِّكْرَ فِي: ﴿قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[2] عَلَى مَعْنَى: أَنَّهُ يُلْقِيهِ فِي قُلُوبِهِمْ مُكَذَّبًا مُسْتَهْزَءً بِهِ غَيْرَ مَقْبُولٍ، كَمَا لَوْ أَنْزَلْتَ بِلَئِيمٍ حَاجَةً فَلَمْ يُجِبْكَ إِلَيْهَا فَقُلْتَ: كَذَلِكَ أَنْزِلُهَا بِاللِّئَامِ، تَعْنِي: مِثْلَ هَذَا الْإِنْزَالِ أَنْزَلْنَاهَا بِهِمْ مَرْدُودَةً غَيْرَ مَقْضِيَّةٍ.

وَمُحَلُّ قَوْلِهِ: ﴿لا يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾[3]: النَّصْبُ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: غَيْرَ مُؤْمَنٍ بِهِ، أَوْ هُوَ بَيَانٌ لِقَوْلِهِ: ﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ﴾[4].

﴿سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾[5]: طَرِيقَتُهُمُ الَّتِي سَنَّهَا اللَّهُ فِي إِهْلَاكِهِمْ حِينَ كَذَّبُوا بِرُسُلِهِمْ وَبِالذِّكْرِ الْمُنَزَّلِ عَلَيْهِمْ، وَهُوَ وَعِيدٌ لِأَهْلِ مَكَّةَ عَلَى تَكْذِيبِهِمْ.

﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾[6]

قُرِئَ: "يَعْرُجُونَ" بِالضَّمِّ وَالْكَسْرِ.

وَ﴿سُكِّرَتْ﴾[7]: حُيِّرَتْ أَوْ حُبِسَتْ مِنَ الْإِبْصَارِ، مِنَ السُّكْرِ أَوِ السَّكْرِ.

وَقُرِئَ: "سُكِرَتْ" بِالتَّخْفِيفِ، أَيْ: حُبِسَتْ كَمَا يُحْبَسُ النَّهْرُ مِنَ الْجَرْيِ.

وَقُرِئَ: "سَكِرَتْ" مِنَ السُّكْرِ، أَيْ: حَارَتْ كَمَا يَحَارُ السَّكْرَانُ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[7] سورة الْحِجْرِ، الآية .

وَالْمَعْنَى: أَنَّ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ بَلَغَ مِنْ غُلُوِّهِمْ فِي الْعِنَادِ: أَنْ لَوْ فُتِحَ لَهُمْ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ، وَيُسِّرَ لَهُمْ مِعْرَاجٌ يَصْعَدُونَ فِيهِ إِلَيْهَا، وَرَأَوْا مِنَ الْعِيَانِ مَا رَأَوْا، لَقَالُوا: هُوَ شَيْءٌ نَتَخَايَلُهُ لَا حَقِيقَةَ لَهُ، وَلَقَالُوا: قَدْ سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ بِذَلِكَ.

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْمَلَائِكَةِ، أَيْ: لَوْ أَرَيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةَ يَصْعَدُونَ فِي السَّمَاءِ عِيَانًا لَقَالُوا ذَلِكَ؛ وَذَكَرَ الظُّلُولَ لِيَجْعَلَ عُرُوجَهُمْ بِالنَّهَارِ لِيَكُونُوا مُسْتَوْضِحِينَ لِمَا يَرَوْنَ، وَقَالَ: إِنَّمَا، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُمْ يَبُتُّونَ الْقَوْلَ بِأَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ إِلَّا تَسْكِيرًا لِلْأَبْصَارِ.

﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[1]

﴿مَنِ اسْتَرَقَ﴾[2]: فِي مَحَلِّ النَّصْبِ عَلَى الِاسْتِثْنَاءِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُحْجَبُونَ عَنِ السَّمَوَاتِ، فَلَمَّا وُلِدَ عِيسَى مُنِعُوا مِنْ ثَلَاثِ سَمَوَاتٍ، فَلَمَّا وُلِدَ مُحَمَّدٌ مُنِعُوا مِنَ السَّمَوَاتِ كُلِّهَا.

﴿شِهَابٌ مُبِينٌ﴾[3]: ظَاهِرٌ لِلْمُبْصِرِينَ.

﴿مَّوْزُونٍ﴾[4]: وُزِنَ بِمِيزَانِ الْحِكْمَةِ، وَقُدِّرَ بِمِقْدَارٍ تَقْتَضِيهِ، لَا يَصْلُحُ فِيهِ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ، أَوْ لَهُ وَزْنٌ وَقَدْرٌ فِي أَبْوَابِ النِّعْمَةِ وَالْمَنْفَعَةِ.

وَقِيلَ: مَا يُوزَنُ مِنْ نَحْوِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالنُّحَاسِ وَالْحَدِيدِ وَغَيْرِهَا.

﴿مَعَايِشَ﴾[5]: بِيَاءٍ صَرِيحَةٍ، بِخِلَافِ الشَّمَائِلِ وَالْخَبَائِثِ وَنَحْوِهِمَا، فَإِنَّ تَصْرِيحَ الْيَاءِ فِيهَا خَطَأٌ، وَالصَّوَابُ: الْهَمْزَةُ، أَوْ إِخْرَاجُ الْيَاءِ بَيْنَ بَيْنَ.

وَقَدْ قُرِئَ: "مَعَائِشَ" بِالْهَمْزَةِ عَلَى التَّشْبِيهِ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[1]: عَطْفٌ عَلَى مَعَايِشَ، أَوْ عَلَى مَحَلِّ لَكُمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ مَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ، أَوْ: وَجَعَلْنَا لَكُمْ مَعَايِشَ وَلِمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ، وَأَرَادَ بِهِمُ الْعِيَالَ وَالْمَمَالِيكَ وَالْخَدَمَ الَّذِينَ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يَرْزُقُونَهُمْ وَيُخْطِئُونَ، فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ، يَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ، وَيَدْخُلُ فِيهِ الْأَنْعَامُ وَالدَّوَابُّ، وَكُلُّ مَا بِتِلْكَ الْمَثَابَةِ، مِمَّا اللَّهُ رَازِقُهُ، وَقَدْ سَبَقَ إِلَى ظَنِّهِمْ أَنَّهُمْ هُمُ الرَّزَّاقُونَ.

وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَجْرُورًا عَطْفًا عَلَى الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ فِي ﴿لَكُمْ﴾[2]، لِأَنَّهُ لَا يُعْطَفُ عَلَى الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ.

﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾[3]

ذِكْرُ الْخَزَائِنِ تَمْثِيلٌ.

وَالْمَعْنَى: وَمَا مِنْ شَيْءٍ يَنْتَفِعُ بِهِ الْعِبَادُ إِلَّا وَنَحْنُ قَادِرُونَ عَلَى إِيجَادِهِ وَتَكْوِينِهِ وَالْإِنْعَامِ بِهِ، وَمَا نُعْطِيهِ إِلَّا بِمِقْدَارٍ مَعْلُومٍ نَعْلَمُ أَنَّهُ مَصْلَحَةٌ لَهُ، فَضَرَبَ الْخَزَائِنَ مَثَلًا لِاقْتِدَارِهِ عَلَى كُلِّ مَقْدُورٍ.

﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[4]

﴿لَوَاقِحَ﴾[5]: فِيهِ قَوْلَانِ:

–أَحَدُهُمَا: أَنَّ الرِّيحَ لَاقِحٌ إِذَا جَاءَتْ بِخَيْرٍ، مِنْ إِنْشَاءِ سَحَابٍ مَاطِرٍ كَمَا قِيلَ لِلَّتِي لَا تَأْتِي بِخَيْرٍ: رِيحٌ عَقِيمٌ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

-وَالثَّانِي: أَنَّ اللَّوَاقِحَ بِمَعْنَى: الْمَلَاقِحِ، كَمَا قَالَ:

.....وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تُطِيحُ الطَّوَائِحُ

يُرِيدُ الْمَطَاوِحَ جَمْعُ مُطِيحَةٍ.

وَقُرِئَ: "وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ": عَلَى تَأْوِيلِ الْجِنْسِ.

﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾[1]: فَجَعَلْنَاهُ لَكُمْ سَقْيًا.

﴿وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾[2]: نَفي عَنْهُمْ مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾[3]، كَأَنَّهُ قَالَ: نَحْنُ الْخَازِنُونَ لِلْمَاءِ، عَلَى مَعْنَى: نَحْنُ الْقَادِرُونَ عَلَى خَلْقِهِ فِي السَّمَاءِ وَإِنْزَالِهِ مِنْهَا، وَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِقَادِرِينَ: دَلَالَةٌ عَلَى عَظِيمِ قُدْرَتِهِ وَإِظْهَارًا لِعَجْزِهِمْ.

﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[4]

﴿وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ﴾[5]، أَيْ: الْبَاقُونَ بَعْدَ هَلَاكِ الْخَلْقِ كُلِّهِ، وَقِيلَ لِلْبَاقِي: "وَارِثٌ": اسْتِعَارَةٌ مِنْ وَارِثِ الْمَيِّتِ، لِأَنَّهُ يَبْقَى بَعْدَ فَنَائِهِ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِي دُعَائِهِ: "اجْعَلْهُ الْوَارِثَ مِنَّا".

﴿وَلَقَدْ عَلِمْنَا﴾[6]: مَنِ اسْتَقْدَمَ وِلَادَةً وَمَوْتًا، وَمَنْ تَأَخَّرَ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، أَوْ مَنْ خَرَجَ مِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَمَنْ لَمْ يَخْرُجْ بَعْدُ، أَوْ مَنْ تَقَدَّمَ فِي الْإِسْلَامِ وَسَبَقَ إِلَى الطَّاعَةِ وَمَنْ تَأَخَّرَ.

وَقِيلَ: الْمُسْتَقْدِمِينَ فِي صُفُوفِ الْجَمَاعَةِ وَالْمُسْتَأْخِرِينَ.

وَرُوِيَ أَنَّ امْرَأَةً حَسْنَاءَ كَانَتْ فِي الْمُصَلِّيَاتِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَكَانَ بَعْضُ الْقَوْمِ يَسْتَقْدِمُ لِئَلَّا يَنْظُرَ إِلَيْهَا، وَبَعْضٌ يَسْتَأْخِرُ لِيُبْصِرَهَا، فَنَزَلَتْ:

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية 21.

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿هُوَ يَحْشُرُهُمْ﴾[1]، أَيْ: هُوَ وَحْدَهُ الْقَادِرُ عَلَى حَشْرِهِمْ، وَالْعَالِمُ بِحَصْرِهِمْ مَعَ إِفْرَاطِ كَثْرَتِهِمْ وَتَبَاعُدِ أَطْرَافِ عَدَدِهِمْ.

﴿إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[2]: بَاهِرُ الْحِكْمَةِ وَاسِعُ الْعِلْمِ، يَفْعَلُ كُلَّ مَا يَفْعَلُ عَلَى مُقْتَضَى الْحِكْمَةِ وَالصَّوَابِ، وَقَدْ أَحَاطَ عِلْمًا بِكُلِّ شَيْءٍ.

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[3]

الصَّلْصَالُ: الطِّينُ الْيَابِسُ الَّذِي يُصَلْصَلُ وَهُوَ غَيْرُ مَطْبُوخٍ، وَإِذَا طُبِخَ فَهُوَ فَخَّارٌ، قَالُوا: إِذَا تَوَهَّمْتَ فِي صَوْتِهِ مَدًّا فَهُوَ صَلِيلٌ، وَإِنْ تَوَهَّمْتَ فِيهِ تَرْجِيعًا فَهُوَ صَلْصَلَةٌ.

وَقِيلَ: هُوَ تَصْعِيفُ: "صَلَّ": إِذَا أَنْتَنَ، وَالْحَمَأُ: الطِّينُ الْأَسْوَدُ الْمُتَغَيِّرُ، وَالْمَسْنُونُ: الْمُصَوَّرُ، مِنْ سَنَةِ الْوَجْهِ.

وَقِيلَ: الْمَصْبُوبُ الْمُفَرَّغُ، أَيْ: أَفْرَغَ صُورَةَ إِنْسَانٍ كَمَا تُفَرَّغُ الصُّوَرُ مِنَ الْجَوَاهِرِ الْمُذَوَّبَةِ فِي أَمْثِلَتِهَا.

وَقِيلَ: الْمُنْتِنُ، مَنْ سَنَنْتُ الْحَجَرَ إِذَا حَكَكْتُهُ، بِهِ، فَالَّذِي يَسِيلُ بَيْنَهُمَا سِنِينٌ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا مُنْتِنًا.

﴿مِنْ حَمَإٍ﴾[4]: صِفَةٌ لِصَلْصَالٍ، أَيْ: خَلَقَهُ مِنْ صَلْصَالٍ كَائِنٍ مِنْ حَمَأٍ وَحَقٍّ.

﴿مَسْنُونٍ﴾[5]: بِمَعْنَى: مُصَوَّرٍ، أَنْ يَكُونَ صِفَةً لِصَلْصَالٍ، كَأَنَّهُ أَفْرَغَ الْحَمَأَ فَصَوَّرَ مِنْهَا تِمْثَالَ إِنْسَانٍ أَجْوَفَ، فَيَبِسَ حَتَّى إِذَا نُقِرَ صَلْصَلَ، ثُمَّ غَيَّرَهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى جَوْهَرٍ آخَرَ.

"وَالْجَانُّ": لِلْجِنِّ كَآدَمَ لِلنَّاسِ، وَقِيلَ: هُوَ إِبْلِيسُ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ، وَعَمْرُو بْنُ عَبِيدٍ: "وَالْجَأْنُ" بِالْهَمْزَةِ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾[1]: مِنْ نَارِ الْحَرِّ الشَّدِيدِ النَّافِذِ فِي الْمَسَامِّ.

قِيلَ: هَذِهِ السُّمُومُ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْآ مِنْ سَمُومِ النَّارِ الَّتِي خَلَقَ اللَّهُ مِنْهَا الْجَانَّ.

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾[2]

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾[3]: وَاذْكُرْ وَقْتَ قَوْلِهِ: ﴿سَوَّيْتُهُ﴾[4]: عَدَلْتُ خِلْقَتَهُ، وَأَكْمَلْتُهَا، وَهَيَّأْتُهَا لِنَفْخِ الرُّوحِ فِيهَا.

وَمَعْنَى: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي﴾[5]: وَأَحْيَيْتُهُ، وَلَيْسَ ثَمَّةَ نَفْخٌ وَلَا مَنْفُوخٌ، وَإِنَّمَا هُوَ تَمْثِيلٌ لِتَحْصِيلِ مَا يَحْيَا بِهِ فِيهِ، وَاسْتَثْنَى إِبْلِيسَ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، لِأَنَّهُ كَانَ بَيْنَهُمْ مَأْمُورًا مَعَهُمْ بِالسُّجُودِ، فَغَلَّبَ اسْمَ الْمَلَائِكَةِ، ثُمَّ اسْتَثْنَى بَعْدَ التَّغْلِيبِ، كَقَوْلِكَ: رَأَيْتُهُمْ إِلَّا هِنْدًا.

وَ﴿أَبَى﴾[6]: اسْتِئْنَافٌ عَلَى تَقْدِيرِ قَوْلِ قَائِلٍ يَقُولُ: هَلَّا سَجَدَ؟ فَقِيلَ: أَبَى ذَلِكَ وَاسْتَكْبَرَ عَنْهُ.

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: وَلَكِنْ إِبْلِيسُ أَبَى، حَرْفُ الْجَرِّ مَعَ "أَنْ": مَحْذُوفٌ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

وَتَقْدِيرُهُ: ﴿مَا لَكَ﴾[1] فِي ﴿أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[2]، بِمَعْنَى: أَيُّ غَرَضٍ لَكَ فِي إِبَائِكَ السُّجُودَ؟ وَأَيُّ دَاعٍ لَكَ إِلَيْهِ؟

اللَّامُ فِي ﴿لِأَسْجُدَ﴾[3]: لِتَأْكِيدِ النَّفْيِ، وَمَعْنَاهُ: لَا يَصِحُّ مِنِّي وَيُنَافِي حَالِي، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ أَسْجُدَ لِبَشَرٍ.

﴿رَّجِيمٍ﴾[4]: شَيْطَانٍ مِنَ الَّذِينَ يُرْجَمُونَ بِالشُّهُبِ، أَوْ مَطْرُودٍ مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ، لِأَنَّ مَنْ يُطْرَدُ يُرْجَمُ بِالْحِجَارَةِ.

وَمَعْنَاهُ: مَلْعُونٌ، لِأَنَّ اللَّعْنَ هُوَ الطَّرْدُ مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْإِبْعَادُ مِنْهَا، وَالضَّمِيرُ فِي ﴿مِنْهَا﴾[5]: رَاجِعٌ إِلَى الْجَنَّةِ أَوِ السَّمَاءِ، أَوْ إِلَى جُمْلَةِ الْمَلَائِكَةِ، وَضَرَبَ يَوْمَ الدِّينِ حَدًّا لِلَّعْنَةِ، إِمَّا لِأَنَّهُ غَايَةٌ يَضْرِبُهَا النَّاسُ فِي كَلَامِهِمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالأَرْضُ﴾[6] : فِي التَّأْبِيدِ.

وَإِمَّا أَنْ يُرَادَ أَنَّكَ مَذْمُومٌ مَدْعُوٌّ عَلَيْكَ بِاللَّعْنِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُعَذَّبَ، فَإِذَا جَاءَ ذَلِكَ الْيَوْمُ عُذِّبْتَ بِمَا يُنْسَى اللَّعْنُ مَعَهُ.

وَ﴿يَوْمُ الدِّينِ﴾[7] وَ﴿يَوْمُ يُبْعَثُونَ﴾[8] وَ﴿يَوْمُ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾[9]: فِي مَعْنًى وَاحِدٍ، وَلَكِنْ خُولِفَ بَيْنَ الْعِبَارَاتِ سُلُوكًا بِالْكَلَامِ طَرِيقَةَ الْبَلَاغَةِ.

وَقِيلَ: إِنَّمَا سَأَلَ الْإِنْظَارَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي فِيهِ يُبْعَثُونَ لِئَلَّا يَمُوتَ، لِأَنَّهُ لَا يَمُوتُ يَوْمَ الْبَعْثِ أَحَدٌ، فَلَمْ يُجَبْ إِلَى ذَلِكَ، وَأُنْظِرَ إِلَى آخِرِ أَيَّامِ التَّكْلِيفِ.

﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾[10]: الْبَاءُ: لِلْقِسْمِ، وَ"مَا": مَصْدَرِيَّةٌ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[6] سورة هُودٌ، الآية 108.
[7] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[8] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[9] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[10] سورة الْحِجْرِ، الآية .

وَجَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿لأُزَيِّنَنَّ﴾[1]، الْمَعْنَى: أُقْسِمُ بِإِغْوَائِكَ إِيَّايَ لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ.

وَمَعْنَى إِغْوَائِهِ إِيَّاهُ: تَسْبِيبُهُ لِغَيِّهِ، بِأَنْ أَمَرَهُ بِالسُّجُودِ لِآدَمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ–، فَأَفْضَى ذَلِكَ إِلَى غَيِّهِ، وَمَا الْأَمْرُ بِالسُّجُودِ إِلَّا حُسْنٌ وَتَعْرِيضٌ لِلثَّوَابِ بِالتَّوَاضُعِ وَالْخُضُوعِ لِأَمْرِ اللَّهِ، وَلَكِنَّ إِبْلِيسَ اخْتَارَ الْإِبَاءَ وَالِاسْتِكْبَارَ فَهَلَكَ، وَاللَّهُ –تَعَالَى– بَرِيءٌ مِنْ غَيِّهِ وَمِنْ إِرَادَتِهِ وَالرِّضَا بِهِ.

وَنَحْوُ قَوْلِهِ: ﴿بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ﴾[2] قَوْلُهُ: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾[3]: فِي أَنَّهُ إِقْسَامٌ، إِلَّا أَنَّ أَحَدَهُمَا إِقْسَامٌ بِصِفَتِهِ، وَالثَّانِي: إِقْسَامٌ بِفِعْلِهِ؛ وَقَدْ فَرَّقَ الْفُقَهَاءُ بَيْنَهُمَا.

وَيَجُوزُ إِلَّا يَكُونَ قَسَمًا، وَيُقَدَّرُ قَسَمٌ مَحْذُوفٌ، وَيَكُونُ الْمَعْنَى: بِسَبَبِ تَسْبِيبِكَ لِإِغْوَائِي أُقْسِمُ لَأَفْعَلَنَّ بِهِمْ نَحْوَ مَا فَعَلْتَ بِي مِنَ التَّسْبِيبِ لِإِغْوَائِهِمْ، بِأَنْ أُزَيِّنَ لَهُمُ الْمَعَاصِيَ وَأُوَسْوِسَ إِلَيْهِمْ مَا يَكُونُ سَبَبَ هَلَاكِهِمْ.

﴿فِي الأَرْضِ﴾[4]: فِي الدُّنْيَا الَّتِي هِيَ دَارُ الْغُرُورِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ﴾[5] أَوْ أَرَادَ أَنِّي أَقْدِرُ عَلَى الِاحْتِيَالِ لِآدَمَ وَالتَّزْيِينِ لَهُ إِلَّا كُلَ مِنَ الشَّجَرَةِ وَهُوَ فِي السَّمَاءِ، فَأَنَا عَلَى التَّزْيِينِ لِأَوْلَادِهِ فِي الْأَرْضِ أَقْدَرُ، أَوْ أَرَادَ: لَأَجْعَلَنَّ مَكَانَ التَّزْيِينِ عِنْدَهُمْ إِلَّارْضَ، وَلَأُوقِعَنَّ تَزْيِينِي فِيهَا، أَيْ: لَأُزَيِّنَنَّهَا فِي أَعْيُنِهِمْ وَلَأُحَدِّثَنَّهُمْ بِأَنَّ الزِّينَةَ فِي الدُّنْيَا وَحْدَهَا، حَتَّى يَسْتَحِبُّوهَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَطْمَئِنُّوا إِلَيْهَا دُونَهَا، وَنَحْوُهُ:

.....يَجْرَحْ فِي عَرَاقِيبِهَا نَصْلِي

اسْتَثْنَى الْمُخْلَصِينَ، لِأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّ كَيْدَهُ لَا يَعْمَلُ فِيهِمْ وَلَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ، أَيْ: ﴿هَذَا﴾[6] طَرِيقُ حَقٍّ.

---

[1] سورة ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 176.

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿عَلَيْهِمْ﴾[1]: أَنْ أُرَاعِيَهُ، وَهُوَ أَلَّا يَكُونَ لَكَ سُلْطَانٌ عَلَى عِبَادِي، إِلَّا مَنِ اخْتَارَ اتِّبَاعَكَ مِنْهُمْ لِغَوَايَتِهِ.

وَقُرِئَ: "عَلِيٌّ"، وَهُوَ مِنْ عُلُوِّ الشَّرَفِ وَالْفَضْلِ.

﴿لَمَوْعِدُهُمْ﴾[2]: الضَّمِيرُ: لِلْغَاوِينَ.

وَقِيلَ: أَبْوَابُ النَّارِ أَطْبَاقُهَا وَأَدْرَاكُهَا:

-فَأَعْلَاهَا لِلْمُوَحِّدِينَ.

-وَالثَّانِي: لِلْيَهُودِ.

-وَالثَّالِثُ: لِلنَّصَارَى.

-وَالرَّابِعُ: لِلصَّابِئِينَ.

-وَالْخَامِسُ: لِلْمَجُوسِ.

-وَالسَّادِسُ: لِلْمُشْرِكِينَ.

-وَالسَّابِعُ: لِلْمُنَافِقِينَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: إِنَّ جَهَنَّمَ لِمَنِ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، وَلَظَى: "لِبَعَدَةِ النَّارِ، وَالْحُطَمَةُ: لِعَبَدَةِ الْأَصْنَامِ، وَسَقَرُ: لِلْيَهُودِ، وَالسَّعِيرُ: لِلنَّصَارَى، وَالْجَحِيمُ: لِلصَّابِئِينَ، وَالْهَاوِيَةُ: لِلْمُوَحِّدِينَ.

وَقُرِئَ: "جُزْءٌ" بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ.

وَقَرَأَ الزُّهْرِيُّ: "جُزَّ"، بِالتَّشْدِيدِ، كَأَنَّهُ حَذَفَ الْهَمْزَةَ، وَأَلْقَى حَرَكَتَهَا عَلَى الزَّايِ، كَقَوْلِكَ: خَبَّ فِي خَبْءٍ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَيْهِ بِالتَّشْدِيدِ، كَقَوْلِهِمْ: الرَّجُلُ، ثُمَّ أَجْرَى الْوَصْلَ مَجْرَى الْوَقْفِ.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[3]

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

الْمُتَّقِي عَلَى الْإِطْلَاقِ: مَنْ يَتَّقِي مَا يَجِبُ اتِّقَاؤُهُ مِمَّا نَهَى عَنْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: اتَّقَوُا الْكُفْرَ وَالْفَوَاحِشَ، وَلَهُمْ ذُنُوبٌ تُكَفِّرُهَا الصَّلَوَاتُ وَغَيْرُهَا.

﴿ادْخُلُوهَا﴾[1]: عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "أُدْخِلُوهَا."

﴿بِسَلَامٍ﴾[2]: سَالِمِينَ أَوْ مُسَلَّمًا عَلَيْكُمْ: تُسَلِّمُ عَلَيْكُمُ الْمَلَائِكَةُ.

الْغِلُّ: الْحِقْدُ الْكَامِنُ فِي الْقَلْبِ، مَنِ انْغَلَّ فِي جَوْفِهِ وَتَغَلْغَلَ، أَيْ: إِنْ كَانَ لِأَحَدِهِمْ فِي الدُّنْيَا غِلٌّ عَلَى آخَرَ نَزَعَ اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ وَطَيَّبَ نُفُوسَهُمْ.

وَعَنْ عَلِيٍّ – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: أَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَعُثْمَانُ وَطَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ مِنْهُمْ.

وَعَنِ الْحَرْثِ الْأَعْوَرِ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَهُ إِذْ جَاءَ ابْنُ طَلْحَةَ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: مَرْحَبًا بِكَ يَا ابْنَ أَخِي، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لِأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا وَأَبُوكَ مِمَّنْ قَالَ اللَّهُ –تَعَالَى–: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ﴾[3]، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: كَلَّا، اللَّهُ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ يَجْمَعَكَ وَطَلْحَةَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ: فَلِمَنْ هَذِهِ الْآيَةُ لَا أُمَّ لَكَ؟

وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: طَهَّرَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ مِنْ أَنْ يَتَحَاسَدُوا عَلَى الدَّرَجَاتِ فِي الْجَنَّةِ، وَنَزَعَ مِنْهَا كُلَّ غِلٍّ، وَأَلْقَى فِيهَا التَّوَادَّ وَالتَّحَابَّ.

وَ﴿إِخْوَانًا﴾[4]: نَصْبٌ عَلَى الْحَالِ.

وَ﴿عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾[5]: كَذَلِكَ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: تَدُورُ بِهِمْ إِلَّاسِرَّةُ حَيْثُمَا دَارُوا، فَيَكُونُونَ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ مُتَقَابِلِينَ.

﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾[a]

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

لَمَّا أَتَمَّ ذِكْرَ الْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ أَتْبَعَهُ.

﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾[1]: تَقْرِيرًا لِمَا ذَكَرَ، وَتَمْكِينًا لَهُ فِي النُّفُوسِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-: غَفُورٌ لِمَنْ تَابَ، وَعَذَابُهُ لِمَنْ لَمْ يَتُبْ.

وَعُطِفَ ﴿وَنَبِّئْهُمْ﴾[2]: عَلَى ﴿نَبِّئْ عِبَادِي﴾[3]، لِيَتَّخِذُوا مَا أَحَلَّ مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ لُوطٍ عِبْرَةً يَعْتَبِرُونَ بِهَا سُخْطَ اللَّهِ وَانْتِقَامَهُ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، وَيَتَحَقَّقُوا عِنْدَهُ أَنَّ عَذَابَهُ هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ.

﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾[4]

﴿سَلَامًا﴾[5]، أَيْ: نُسَلِّمُ عَلَيْكَ سَلَامًا، أَوْ سَلِمْتَ سَلَامًا.

﴿وَجِلُونَ﴾[6]: خَائِفُونَ، وَكَانَ خَوْفُهُ لِامْتِنَاعِهِمْ مِنَ الْأَكْلِ.

وَقِيلَ: لِأَنَّهُمْ دَخَلُوا بِغَيْرِ إِذْنٍ وَبِغَيْرِ وَقْتٍ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "لَا تُوجَلْ": بِضَمِّ التَّاءِ مَنْ أَوْجَلَهُ يُوْجِلُهُ إِذَا أَخَافَهُ.

وَقُرِئَ: "لَا تَأْجَلْ"، "وَلَا تُوَاجَلْ": مِنْ وَاجَلَهُ بِمَعْنَى: أَوْجَلَهُ.

وَقُرِئَ: "نَبْشُرُكَ" بِفَتْحِ النُّونِ وَالتَّخْفِيفِ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ﴾[1]: اسْتِئْنَافٌ فِي مَعْنَى التَّعْلِيلِ لِلنَّهْيِ عَنِ الْوَجَلِ: أَرَادُوا أَنَّكَ بِمَثَابَةِ الْآمَنِ الْمُبَشَّرِ، فَلَا تَوْجَلْ.

يَعْنِي: "أَبَشَّرْتُمُونِي" مَعَ مَسِّ الْكِبَرِ، بِأَنْ يُولَدَ لِي، أَيْ: أَنَّ الْوِلَادَةَ أَمْرٌ عَجِيبٌ مُسْتَنْكَرٌ فِي الْعَادَةِ مَعَ الْكِبَرِ.

﴿فَبِمَ تُبَشِّرُونَ﴾[2]؟ هِيَ: مَا الِاسْتِفْهَامِيَّةُ، دَخَلَهَا مَعْنَى التَّعَجُّبِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَبِأَيِّ أُعْجُوبَةٍ تُبَشِّرُونَنِي، أَوْ أَرَادَ: أَنَّكُمْ تُبَشِّرُونَنِي بِمَا هُوَ غَيْرُ مَقْصُورٍ فِي الْعَادَةِ، فَبِأَيِّ شَيْءٍ تُبَشِّرُونَ؟!

يَعْنِي: لَا تُبَشِّرُونَنِي فِي الْحَقِيقَةِ بِشَيْءٍ، لِأَنَّ الْبِشَارَةَ بِمِثْلِ هَذَا بِشَارَةٌ بِغَيْرِ شَيْءٍ، وَيَجُوزُ إِلَّا يَكُونَ صِلَةً لِبَشَّرَ، وَيَكُونَ سَؤَالًا عَنِ الْوَجْهِ وَالطَّرِيقَةِ، يَعْنِي: بِأَيِّ طَرِيقَةٍ تُبَشِّرُونَنِي بِالْوَلَدِ، وَالْبِشَارَةُ لَا طَرِيقَةَ لَهَا فِي الْعَادَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ﴾[3]: يُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْبَاءُ فِيهِ صِلَةً، أَيْ: بَشَّرْنَاكَ بِالْيَقِينِ الَّذِي لَا لَبْسَ فِيهِ، أَوْ بَشَّرْنَاكَ بِطَرِيقَةٍ هِيَ حَقٌّ، وَهِيَ قَوْلُ اللَّهِ وَوَعْدُهُ، وَأَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُوجِدَ وَلَدًا مِنْ غَيْرِ أَبَوَيْنِ، فَكَيْفَ مِنْ شَيْخٍ فَانٍ وَعَجُوزٍ عَاقِرٍ؟!

وَقُرِئَ: "تُبَشِّرُونَ": بِفَتْحِ النُّونِ وَبِكَسْرِهَا عَلَى حَذْفِ نُونِ الْجَمْعِ. وَالْأَصْلُ: تُبَشِّرُونَنِ، وَتُبَشِّرُونِّ بِإِدْغَامِ نُونِ الْجَمْعِ فِي نُونِ الْعِمَادِ.

وَقُرِئَ: "مِنَ الْقَنِطِينَ" مِنْ قَنِطَ يَقْنَطُ.

وَقُرِئَ: وَ"مَنْ يَقْنَطُ"، بِالْحَرَكَاتِ الثَّلَاثِ فِي النُّونِ، أَرَادَ: وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الْمُخْطِئُونَ طَرِيقَ الصَّوَابِ، أَوْ إِلَّا الْكَافِرُونَ، كَقَوْلِهِ: ﴿لا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾[4]؛ يَعْنِي: لَمْ أَسْتَنْكِرْ ذَلِكَ قُنُوطًا مِنْ رَحْمَتِهِ، وَلَكِنِ اسْتِبْعَادًا لَهُ فِي الْعَادَةِ الَّتِي أَجْرَاهَا اللَّهُ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة يُوسُفُ، الآية 87.

﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾[2]: اسْتِثْنَاءٌ مُتَّصِلٌ أَوْ مُنْقَطِعٌ؟

قُلْتُ: لَا يَخْلُو مِنْ أَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مِنْ قَوْمٍ، فَيَكُونُ مُنْقَطِعًا، لِأَنَّ الْقَوْمَ مَوْصُوفُونَ بِالْإِجْرَامِ، فَاخْتَلَفَ لِذَلِكَ الْجِنْسَانِ؛ وَأَنْ يَكُونَ اسْتِثْنَاءً مِنَ الضَّمِيرِ فِي مُجْرِمِينَ، فَيَكُونُ مُتَّصِلًا؛ كَأَنَّهُ قِيلَ: إِلَى قَوْمٍ قَدْ أَجْرَمُوا كُلُّهُمْ إِلَّا آلَ لُوطٍ وَحْدَهُمْ، كَمَا قَالَ: ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[3].

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلْ يَخْتَلِفُ الْمَعْنَى لِاخْتِلَافِ الِاسْتِثْنَاءَيْنِ؟

قُلْتُ: نَعَمْ، وَذَلِكَ أَنَّ آلَ لُوطٍ مُخْرَجُونَ فِي الْمُنْقَطِعِ مِنْ حُكْمِ الْإِرْسَالِ، وَعَلَى أَنَّهُمْ أُرْسِلُوا إِلَى الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ خَاصَّةً، وَلَمْ يُرْسَلُوا إِلَى آلِ لُوطٍ أَصْلًا، وَمَعْنَى إِرْسَالِهِمْ إِلَى الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ، كَإِرْسَالِ الْحَجَرِ أَوِ السَّهْمِ إِلَى الْمَرْمِيِّ، فِي أَنَّهُ فِي مَعْنَى التَّعْذِيبِ وَالْإِهْلَاكِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: إِنَّا أَهْلَكْنَا قَوْمًا مُجْرِمِينَ، وَلَكِنَّ آلَ لُوطٍ أَنْجَيْنَاهُمْ.

وَأَمَّا فِي الْمُتَّصِلِ: فَهُمْ دَاخِلُونَ فِي حُكْمِ الْإِرْسَالِ، وَعَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ أُرْسِلُوا إِلَيْهِمْ جَمِيعًا لِيُهْلِكُوا هَؤُلَاءِ وَيُنْجُوا هَؤُلَاءِ، فَلَا يَكُونُ إِلَّا الْإِرْسَالُ مُخْلَصًا بِمَعْنَى: الْإِهْلَاكِ وَالتَّعْذِيبِ كَمَا فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ﴾[4] بِمَ يَتَعَلَّقُ عَلَى الْوَجْهَيْنِ؟

قُلْتُ: إِذَا انْقَطَعَ الِاسْتِثْنَاءُ جَرَى مَجْرَى خَبَرِ "لَكِنَّ" فِي الِاتِّصَالِ بِآلِ لُوطٍ، لِأَنَّ الْمَعْنَى: لَكِنَّ آلَ لُوطٍ مُنْجَوْنَ، وَإِذَا اتَّصَلَ كَانَ كَلَامًا مُسْتَأْنَفًا، كَأَنَّ إِبْرَاهِيمَ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– قَالَ لَهُمْ: فَمَا حَالُ آلِ لُوطٍ، فَقَالُوا: إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَقَوْلُهُ: ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾[5] مِمَّ اسْتُثْنِيَ، وَهَلْ هُوَ اسْتِثْنَاءٌ مِنِ اسْتِثْنَاءٍ؟

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

قُلْتُ: اسْتَثْنَى مِنَ الضَّمِيرِ الْمَجْرُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَمُنَجُّوهُمْ﴾[1]، وَلَيْسَ مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ فِي شَيْءٍ، لِأَنَّ الِاسْتِثْنَاءَ مِنَ الِاسْتِثْنَاءِ إِنَّمَا يَكُونُ فِيمَا اتَّحَدَ الْحُكْمُ فِيهِ، وَأَنْ يُقَالَ: أَهْلَكْنَاهُمْ إِلَّا آلَ لُوطٍ، إِلَّا امْرَأَتَهُ؛ كَمَا اتَّحَدَ الْحُكْمُ فِي قَوْلِ الْمُطَلِّقِ: أَنْتِ طَالِقٌ ثَلَاثًا، إِلَّا اثْنَتَيْنِ، إِلَّا وَاحِدَةً؛ وَفِي قَوْلِ الْمُقِرِّ: لِفُلَانٍ عَلَيَّ عَشَرَةُ دَرَاهِمَ، إِلَّا ثَلَاثَةً، إِلَّا دِرْهَمًا.

فَأَمَّا فِي الْآيَةِ، فَقَدِ اخْتَلَفَ الْحُكْمَانِ، لِأَنَّ ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ﴾[2] مُتَعَلِّقٌ بِأَرْسَلْنَا، أَوْ بِمُجْرِمِينَ.

وَ﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ﴾[3] قَدْ تَعَلَّقَ بِمُنَجُّوهُمْ؛ فَأَنَّى يَكُونُ اسْتِثْنَاءً مِنِ اسْتِثْنَاءٍ؟!

وَقُرِئَ: "لَمُنْجُوهُمْ" بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّثْقِيلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ جَازَ تَعْلِيقُ فِعْلِ التَّقْدِيرِ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[4]، وَالتَّعْلِيقُ مِنْ خَصَائِصِ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ؟

قُلْتُ: فَلِمَ أَسْنَدَ الْمَلَائِكَةُ فِعْلَ التَّقْدِيرِ –وَهُوَ لِلَّهِ وَحْدَهُ– إِلَى أَنْفُسِهِمْ، وَلَمْ يَقُولُوا: قَدَّرَ اللَّهُ؟

قُلْتُ: لِمَا لَهُمْ مِنَ الْقُرْبِ وَالِاخْتِصَاصِ بِاللَّهِ الَّذِي لَيْسَ لِأَحَدٍ غَيْرِهِمْ، كَمَا يَقُولُ خَاصَّةُ الْمَلِكِ: دَبَّرْنَا كَذَا وَأَمَرْنَا بِكَذَا، وَالْمُدَبِّرُ وَالْآمِرُ هُوَ الْمَلِكُ لَا هُمْ. وَإِنَّمَا يُظْهِرُونَ بِذَلِكَ اخْتِصَاصَهُمْ، وَأَنَّهُمْ لَا يَتَمَيَّزُونَ عَنْهُ.

وَقُرِئَ: "قَدَّرْنَا" بِالتَّخْفِيفِ.

﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾[5]

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿مُنْكَرُونَ﴾[1]، أَيْ: تُنْكِرُكُمْ نَفْسِي وَتَنْفِرُ مِنْكُمْ، فَأَخَافُ أَنْ تَطْرُقُونِي بِشَرٍّ، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ: ﴿بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾[2]، أَيْ: مَا جِئْنَاكَ بِمَا تَنَكَّرْنَا لِأَجْلِهِ، بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا فِيهِ فَرَحُكَ وَسُرُورُكَ وَتَشَفِّيكَ مِنْ عَدُوِّكَ، وَهُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتَ تَتَوَعَّدُهُمْ بِنُزُولِهِ، فَيَمْتَرُونَ فِيهِ وَيُكَذِّبُونَكَ.

﴿بِالْحَقِّ﴾[3]: بِالْيَقِينِ مِنْ عَذَابِهِمْ.

﴿وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾: فِي الْإِخْبَارِ بِنُزُولِهِ بِهِمْ.

وَقُرِئَ: "فَأَسْرِ" بِقَطْعِ الْهَمْزَةِ وَوَصْلِهَا، مِنْ أَسْرَى وَسَرَى، وَرَوَى صَاحِبُ الإِقْلِيدِ: فَسِرْ، مِنَ السَّيْرِ وَالْقِطْعِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ.

قَالَ:

افْتَحِي الْبَابَ وَانْظُرِي فِي النُّجُومِ... كَمْ عَلَيْنَا مِنْ قِطْعِ لَيْلٍ بَهِيمِ

وَقِيلَ: هُوَ بَعْدَمَا يَمْضِي شَيْءٌ صَالِحٌ مِنَ اللَّيْلِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى أَمْرِهِ بِاتِّبَاعِ أَدْبَارِهِمْ وَنَهْيِهِمْ عَنِ الِالْتِفَاتِ؟

قُلْتُ: قَدْ بَعَثَ اللَّهُ الْهَلَاكَ عَلَى قَوْمِهِ، وَنَجَّاهُ وَأَهْلَهُ إِجَابَةً لِدَعْوَتِهِ عَلَيْهِمْ، وَخَرَجَ مُهَاجِرًا فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنَ الِاجْتِهَادِ فِي شُكْرِ اللَّهِ وَإِدَامَةِ ذِكْرِهِ وَتَفْرِيغِ بَالِهِ لِذَلِكَ، فَأُمِرَ بِأَنْ يَقْدُمَهُمْ لِئَلَّا يَشْتَغِلَ بِمَنْ خَلْفَهُ قَلْبُهُ، وَلِيَكُونَ مُطَّلِعًا عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَحْوَالِهِمْ، فَلَا تَفْرُطُ مِنْهُمُ الْتِفَاتَةٌ احْتِشَامًا مِنْهُ وَلَا غَيْرُهَا مِنَ الْهَفَوَاتِ فِي تِلْكَ الْحَالِ الْمُهَوِّلَةِ الْمَحْذُورَةِ، وَلِئَلَّا يَتَخَلَّفَ مِنْهُمْ أَحَدٌ لِغَرَضٍ لَهُ فَيُصِيبَهُ الْعَذَابُ؛ وَلِيَكُونَ مَسِيرُهُ مَسِيرَ الْهَارِبِ الَّذِي يَقْدُمُ سِرْبَهُ وَيَفُوتُ بِهِ.

وَنُهُوا عَنِ الْالْتِفَاتِ لِئَلَّا يَرَوْا مَا يَنْزِلُ بِقَوْمِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ فَيَرِقُّوا لَهُمْ، وَلِيُوَطِّنُوا نُفُوسَهُمْ عَلَى الْمُهَاجَرَةِ وَيُطَيِّبُوهَا عَنْ مَسَاكِنِهِمْ، وَيَمْضُوا قُدُمًا غَيْرَ مُلْتَفِتِينَ إِلَى مَا وَرَاءَهُمْ كَالَّذِي يَتَحَسَّرُ عَلَى مُفَارَقَةِ وَطَنِهِ فَلَا يَزَالُ يَلْوِي إِلَيْهِ أَخَادِعُهُ، كَمَا قَالَ:

تَلَفَّتُّ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي... وَجِعْتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لِيتًا وَأَخْدَعَا

أَوْ جَعَلَ النَّهْيَ عَنِ الِالْتِفَاتِ كِنَايَةً عَنْ مُوَاصَلَةِ السَّيْرِ وَتَرْكِ التَّوَانِي وَالتَّوَقُّفِ، لِأَنَّ مَنْ يَلْتَفِتُ لَا بُدَّ لَهُ فِي ذَلِكَ مِنْ أَدْنَى وَقْفَةٍ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[1]: قِيلَ: هُوَ مِصْرُ، وَعُدِّيَ ﴿وَامْضُوا﴾[2] إِلَى ﴿حَيْثُ﴾[3] تَعْدِيَتَهُ إِلَى الظَّرْفِ الْمُبْهَمِ، لِأَنَّ ﴿حَيْثُ﴾[4] مُبْهَمٌ فِي الْأَمْكِنَةِ؛ وَكَذَلِكَ الضَّمِيرُ فِي ﴿تَأْمُرُونَ﴾[5]، وَعُدِّيَ ﴿قَضَيْنَا﴾[6] بِإِلَى، لِأَنَّهُ ضُمِّنَ مَعْنَى: أَوْحَيْنَا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ مَقْضِيًّا مَبْتُوتًا.

وَفَسَّرَ (ذَلِكَ الأمْرُ) بِقَوْلِهِ: ﴿أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ﴾[7]، وَفِي إِبْهَامِهِ وَتَفْسِيرِهِ تَفْخِيمٌ لِلْأَمْرِ وَتَعْظِيمٌ لَهُ.

وَقَرَأَ الْأَعْمَشُ: "إِنَّ" بِالْكَسْرِ عَلَى الِاسْتِئْنَافِ، كَأَنَّ قَائِلًا قَالَ: أَخْبِرْنَا عَنْ ذَلِكَ الْأَمْرِ، فَقَالَ: إِنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ.

وَفِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ: "وَقُلْنَا إِنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ".

وَدَابِرُهُمْ: آخِرُهُمْ، يَعْنِي: يُسْتَأْصَلُونَ عَنْ آخِرِهِمْ حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُمْ أَحَدٌ.

﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾[8]

﴿أَهْلُ الْمَدِينَةِ﴾[9]: أَهْلُ سَدُومَ الَّتِي ضُرِبَ بِقَاضِيهَا الْمَثَلُ فِي الْجَوْرِ، مُسْتَبْشِرِينَ بِالْمَلَائِكَةِ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[7] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[8] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[9] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿فَلا تَفْضَحُونِ﴾[1]: بِفَضِيحَةِ ضَيْفِي، لِأَنَّ مَنْ أُسِيءَ إِلَى ضَيْفِهِ أَوْ جَارِهِ فَقَدْ أُسِيءَ إِلَيْهِ، كَمَا أَنَّ مَنْ أُكْرِمَ مَنْ يَتَّصِلُ بِهِ فَقَدْ أُكْرِمَ.

﴿وَلا تُخْزُونِ﴾[2]: وَلَا تُذِلُّونِ بِإِذْلَالِ ضَيْفِي، مِنَ الْخِزْيِ وَهُوَ الْهَوَانُ، أَوْ وَلَا تُشَوِّرُوا بِي، مِنَ الْخِزَايَةِ وَهِيَ الْحَيَاءُ.

﴿عَنِ الْعَالَمِينَ﴾[3]: عَنْ أَنْ تُجِيرَ مِنْهُمْ أَحَدًا، أَوْ تَدْفَعَ عَنْهُمْ، أَوْ تَمْنَعَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَعَرَّضُونَ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَكَانَ يَقُومُ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْحَجْرِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمُتَعَرَّضِ لَهُ، فَأَوْعَدُوهُ وَقَالُوا: لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ.

وَقِيلَ: عَنْ ضِيَافَةِ النَّاسِ وَإِنْزَالِهِمْ، وَكَانُوا نَهَوْهُ أَنْ يُضَيِّفَ أَحَدًا قَطُّ.

﴿هَؤُلاءِ بَنَاتِي﴾[4]: إِشَارَةٌ إِلَى النِّسَاءِ، لِأَنَّ كُلَّ أُمَّةٍ أَوْلَادُ نَبِيِّهَا رِجَالُهُمْ بَنُوهُ وَنِسَاؤُهُمْ بَنَاتُهُ، فَكَأَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: هَؤُلَاءِ بَنَاتِي فَانْكِحُوهُنَّ، وَخَلُّوا بَنِيَّ فَلَا تَتَعَرَّضُوا لَهُمْ.

﴿إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ﴾[5]: شَكَّ فِي قَبُولِهِمْ لِقَوْلِهِ، كَأَنَّهُ قَالَ: إِنْ فَعَلْتُمْ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَمَا أَظُنُّكُمْ تَفْعَلُونَ.

وَقِيلَ: إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ قَضَاءَ الشَّهْوَةِ فِيمَا أَحَلَّ اللَّهُ دُونَ مَا حَرَّمَ.

﴿لَعَمْرُكَ﴾[6]: عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَيْ: قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ لِلُوطٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-: لَعَمْرُكَ.

﴿إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ﴾[7]، أَيْ: غِوَايَتُهُمُ الَّتِي أَذْهَبَتْ عُقُولَهُمْ وَتَمْيِيزَهُمْ بَيْنَ الْخَطَأِ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ وَبَيْنَ الصَّوَابِ الَّذِي تُشِيرُ بِهِ عَلَيْهِمْ، مِنْ تَرْكِ الْبَنِينَ إِلَى الْبَنَاتِ.

﴿يَعْمَهُونَ﴾[8]: يَتَحَيَّرُونَ، فَكَيْفَ يَقْبَلُونَ قَوْلَكَ وَيُصْغُونَ إِلَى نَصِيحَتِكَ؟

---

1 سورة الْحِجْرِ، الآية .
2 سورة الْحِجْرِ، الآية .
3 سورة الْحِجْرِ، الآية .
4 سورة الْحِجْرِ، الآية .
5 سورة الْحِجْرِ، الآية .
6 سورة الْحِجْرِ، الآية .
7 سورة الْحِجْرِ، الآية .
8 سورة الْحِجْرِ، الآية .

وَقِيلَ: الْخِطَابُ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، وَأَنَّهُ أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ وَمَا أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ قَطُّ كَرَامَةً لَهُ، وَالْعُمْرُ وَالْعَمْرُ وَاحِدٌ، إِلَّا أَنَّهُمْ خَصُّوا الْقَسَمَ بِالْمَفْتُوحِ لِإِيثَارِ الْأَخَفِّ فِيهِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْحَلِفَ كَثِيرُ الدَّوْرِ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ، وَلِذَلِكَ حَذَفُوا الْخَبَرَ، وَتَقْدِيرُهُ: لَعَمْرُكَ مِمَّا أُقْسِمُ بِهِ، كَمَا حَذَفُوا الْفِعْلَ فِي قَوْلِكَ: بِاللَّهِ.

وَقُرِئَ: "فِي سَكْرِهِمْ" و"فِي سَكَرَاتِهِمْ".

﴿الصَّيْحَةُ﴾[1]: صَيْحَةُ جِبْرِيلَ -عَلَيْهِ السَّلَامُ-.

﴿مُشْرِقِينَ﴾[2]: دَاخِلِينَ فِي الشُّرُوقِ، وَهُوَ بُزُوغُ الشَّمْسِ.

﴿مِنْ سِجِّيلٍ﴾[3]، قِيلَ: مِنْ طِينٍ، عَلَيْهِ كِتَابٌ مِنَ السِّجِلِّ.

وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ -تَعَالَى-: ﴿حِجَارَةً مِنْ طِينٍ مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ﴾[4]، أَيْ: مُعَلَّمَةٌ بِكِتَابٍ.

﴿لِلْمُتَوَسِّمِينَ﴾[5]: لِلْمُتَفَرِّسِينَ الْمُتَأَمِّلِينَ، وَحَقِيقَةُ الْمُتَوَسِّمِينَ: النُّظَّارُ الْمُتَثَبِّتُونَ فِي نَظَرِهِمْ حَتَّى يَعْرِفُوا حَقِيقَةَ سِمَةِ الشَّيْءِ، يُقَالُ: تَوَسَّمْتُ فِي فُلَانٍ كَذَا، أَيْ: عَرَفْتُ وَسْمَهُ فِيهِ.

وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿عَالِيَهَا سَافِلَهَا﴾[6] لِقُرَى قَوْمِ لُوطٍ.

﴿وَإِنَّهَا﴾[7]: وَإِنَّ هَذِهِ الْقُرَى، يَعْنِي: آثَارَهَا.

﴿لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ﴾[8]: ثَابِتٍ يَسْلُكُهُ النَّاسُ لَمْ يَنْدَرِسْ بَعْدُ، وَهُمْ يُبْصِرُونَ تِلْكَ الْآثَارَ، وَهُوَ تَنْبِيهٌ لِقُرَيْشٍ كَقَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ﴾[9].

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الذَّارِيَاتُ، الآيتان 33-34 .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[7] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[8] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[9] سورة الصَّافَّاتُ، الآية 137.

﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾[1]

﴿أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ﴾[2]: قَوْمُ شُعَيْبٍ.

﴿وَإِنَّهُمَا﴾[3]، يَعْنِي: قُرَى قَوْمِ لُوطٍ وَالْأَيْكَةِ.

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ لِلْأَيْكَةِ وَمَدْيَنَ، لِأَنَّ شُعَيْبًا كَانَ مَبْعُوثًا إِلَيْهِمَا.

فَلَمَّا ذَكَرَ الْأَيْكَةَ، دَلَّ بِذِكْرِهَا عَلَى مَدْيَنَ، فَجَاءَ بِضَمِيرِهِمَا.

﴿لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾[4]: لَبِطَرِيقٍ وَاضِحٍ، وَالْإِمَامُ: اسْمٌ لِمَا يُؤْتَمُّ بِهِ، فَسُمِّيَ بِهِ الطَّرِيقُ وَمَطْمَرُ الْبِنَاءِ وَاللَّوْحُ الَّذِي يُكْتَبُ فِيهِ، لِأَنَّهَا مِمَّا يُؤْتَمُّ بِهِ.

﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[5]

﴿أَصْحَابُ الْحِجْرِ﴾[6]: ثَمُودُ، وَالْحِجْرُ: وَادِيهِمْ، وَهُوَ بَيْنَ الْمَدِينَةِ وَالشَّامِ.

﴿الْمُرْسَلِينَ﴾[7]، يَعْنِي: بِتَكْذِيبِهِمْ صَالِحًا، لِأَنَّ مَنْ كَذَّبَ وَاحِدًا مِنْهُمْ، فَكَأَنَّمَا كَذَّبَهُمْ جَمِيعًا، أَوْ أَرَادَ صَالِحًا وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، كَمَا قِيلَ: الْخُبَيْبِيُّونَ فِي ابْنِ الزُّبَيْرِ وَأَصْحَابِهِ.

وَعَنْ جَابِرٍ: مَرَرْنَا مَعَ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْحِجْرِ، فَقَالَ لَنَا: "لَا تَدْخُلُوا مَسَاكِنَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، حَذَرًا أَنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ هَؤُلَاءِ"، ثُمَّ زَجَرَ النَّبِيُّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- رَاحِلَتَهُ فَأَسْرَعَ حَتَّى خَلَّفَهَا.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[7] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿آمِنِينَ﴾[1]: لِوِثَاقَةِ الْبُيُوتِ وَاسْتِحْكَامِهَا مِنْ أَنْ تَتَهَدَّمَ وَيَتَدَاعَى بُنْيَانُهَا، وَمِنْ نَقْبِ اللُّصُوصِ وَمِنَ الْأَعْدَاءِ وَحَوَادِثِ الدَّهْرِ، أَوْ آمَنِينَ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ يَحْسَبُونَ أَنَّ الْجِبَالَ تَحْمِيهِمْ مِنْهُ.

﴿مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2]: مِنْ بِنَاءِ الْبُيُوتِ الْوَثِيقَةِ وَالْأَمْوَالِ وَالْعَدَدِ.

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾[3]

﴿إِلا بِالْحَقِّ﴾[4]: إِلَّا خَلْقًا مُلْتَبِسًا بِالْحَقِّ وَالْحِكْمَةِ، لَا بَاطِلًا وَعَبَثًا، أَوْ بِسَبَبِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ يَوْمَ الْجَزَاءِ عَلَى الْأَعْمَالِ.

﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ﴾[5]: وَإِنَّ اللَّهَ يَنْتَقِمُ لَكَ فِيهَا مِنْ أَعْدَائِكَ، وَيُجَازِيكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى حَسَنَاتِكَ وَسَيِّئَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا لِذَلِكَ.

﴿فَاصْفَحِ﴾[6]: فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ، وَاحْتَمِلْ مَا تَلْقَى مِنْهُمْ إِعْرَاضًا جَمِيلًا بِحِلْمٍ وَإِغْضَاءٍ.

وَقِيلَ: هُوَ مَنْسُوخٌ بِآيَةِ السَّيْفِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهِ: الْمُخَالَقَةُ، فَلَا يَكُونُ مَنْسُوخًا.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾[7]

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[7] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ﴾[1]: الَّذِي خَلَقَكَ وَخَلَقَهُمْ، وَهُوَ الْعَلِيمُ بِحَالِكَ وَحَالِهِمْ، فَلَا يَخْفى عَلَيْهِ مَا يَجْرِي بَيْنَكُمْ، وَهُوَ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ، أَوْ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَعَلِمَ مَا هُوَ الْأَصْلَحُ لَكُمْ، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّ الصَّفْحَ الْيَوْمَ أَصْلَحُ إِلَى أَنْ يَكُونَ السَّيْفُ أَصْلَحَ.

وَفِي مُصْحَفِ أُبَيٍّ وَعُثْمَانَ: "إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَالِقُ"، وَهُوَ يَصْلُحُ لِلْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، وَالْخَلَّاقُ لِلْكَثِيرِ لَا غَيْرُ، كَقَوْلِكَ: قَطْعُ الثِّيَابِ، وَقَطْعُ الثَّوْبِ وَالثِّيَابِ.

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾[2]

﴿سَبْعًا﴾[3]: سَبْعَ آيَاتٍ وَهِيَ الْفَاتِحَةُ، أَوْ سَبْعَ سُوَرٍ وَهِيَ: الطِّوَالُ.

وَاخْتَلَفَ فِي السَّابِعَةِ، فَقِيلَ: الْأَنْفَالُ وَبَرَاءَةٌ، لِأَنَّهُمَا فِي حُكْمِ سُورَةٍ وَاحِدَةٍ، وَلِذَلِكَ لَمْ يَفْصِلْ بَيْنَهُمَا بِآيَةِ التَّسْمِيَةِ.

وَقِيلَ: سُورَةُ يُونُسَ.

وَقِيلَ: هِيَ: آلَ حَمْ، أَوْ سَبْعُ صَحَائِفَ، وَهِيَ الْأَسْبَاعُ.

وَ﴿الْمَثَانِي﴾[4]: مِنَ التَّثْنِيَةِ، وَهِيَ التَّكْرِيرُ، لِأَنَّ الْفَاتِحَةَ مِمَّا تُكَرَّرُ قِرَاءَتُهَا فِي الصَّلَاةِ وَغَيْرِهَا، أَوْ مِنَ الثَّنَاءِ لِاشْتِمَالِهَا عَلَى مَا هُوَ ثَنَاءٌ عَلَى اللَّهِ، الْوَاحِدَةُ مُثَنَّاةٌ أَوْ مُثْنِيَةٌ صِفَةٌ لِلْآيَةِ.

وَأَمَّا السُّوَرُ أَوِ الْأَسْبَاعُ، فَلِمَا وَقَعَ فِيهَا مِنْ تَكْرِيرِ الْقَصَصِ وَالْمَوَاعِظِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَلِمَا فِيهَا مِنَ الثَّنَاءِ، كَأَنَّهَا تُثْنِي عَلَى اللَّهِ –تَعَالَى– بِأَفْعَالِهِ الْعُظْمَى وَصِفَاتِهِ الْحُسْنَى.

وَ﴿مِنْ﴾[5]: إِمَّا لِلْبَيَانِ أَوْ لِلتَّبْعِيضِ إِذَا أَرَدْتَ بِالسَّبْعِ الْفَاتِحَةَ أَوِ الطِّوَالَ، وَلِلْبَيَانِ إِذَا أَرَدْتَ الْأَسْبَاعَ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كُتُبُ اللَّهِ كُلُّهَا مَثَانِيَ، لِأَنَّهَا تُثْنِي عَلَيْهِ، وَلِمَا فِيهَا مِنَ الْمَوَاعِظِ الْمُكَرَّرَةِ، وَيَكُونُ الْقُرْآنُ بَعْضَهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ صَحَّ عَطْفُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ عَلَى السَّبْعِ، وَهَلْ هُوَ إِلَّا عَطْفُ الشَّيْءِ عَلَى نَفْسِهِ؟

قُلْتُ: إِذَا عَنَى بِالسَّبْعِ الْفَاتِحَةَ أَوِ الطِّوَالَ، فَمَا وَرَاءَهُنَّ يَنْطَلِقُ عَلَيْهِ اسْمُ الْقُرْآنِ، لِأَنَّهُ اسْمٌ يَقَعُ عَلَى الْبَعْضِ كَمَا يَقَعُ عَلَى الْكُلِّ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ﴾[1]، يَعْنِي: سُورَةُ يُوسُفَ؟

وَإِذَا عُيِّنَتِ الْأَسْبَاعُ، فَالْمَعْنَى: وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ مَا يُقَالُ لَهُ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، أَيْ: الْجَامِعُ لِهَذَيْنِ النَّعْتَيْنِ، وَهُوَ الثَّنَاءُ أَوِ التَّثْنِيَةُ وَالْعِظَمُ.

﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[2]

أَيْ: لَا تَطْمَحْ بِبَصَرِكَ طَمُوحَ رَاغِبٍ فِيهِ مُتَمَنٍّ لَهُ.

﴿إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ﴾[3] أَصْنَافًا مِنَ الْكُفَّارِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ وَصَلَ هَذَا بِمَا قَبْلَهُ؟

قُلْتُ: يَقُولُ لِرَسُولِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "قَدْ أُوتِيتَ النِّعْمَةَ الْعُظْمَى الَّتِي كُلُّ نِعْمَةٍ وَإِنْ عَظُمَتْ فَهِيَ إِلَيْهَا حَقِيرَةٌ ضَئِيلَةٌ، وَهِيَ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ، فَعَلَيْكَ أَنْ تَسْتَغْنِيَ بِهِ، وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَتَاعِ الدُّنْيَا".

وَمِنْهُ الْحَدِيثُ: "لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ"، وَحَدِيثُ أَبِي بَكْرٍ: "مَنْ أُوتِيَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا أُوتِيَ مِنَ الدُّنْيَا أَفْضَلَ مِمَّا أُوتِيَ، فَقَدْ صَغَّرَ عَظِيمًا وَعَظَّمَ صَغِيرًا".

وَقِيلَ: وَافَتْ مِنْ بُصْرَى وَأَذْرِعَاتٍ سَبْعَ قَوَافِلَ لِيَهُودِ بَنِي قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، فِيهَا أَنْوَاعُ الْبَزِّ وَالطِّيبِ وَالْجَوْهَرِ وَسَائِرِ الْأَمْتِعَةِ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَمْوَالُ لَنَا لَتَقَوَّيْنَا

---

[1] سورة يُوسُفَ، الآية 33.

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

بِهَا، وَلَأَنْفَقْنَاهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ -عَزَّ وَعَلَا-: "لَقَدْ أَعْطَيْتُكُمْ سَبْعَ آيَاتٍ هِيَ خَيْرٌ مِنْ هَذِهِ الْقَوَافِلِ السَّبْعِ".

﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾[1]، أَيْ: لَا تَتَمَنَّ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ أَنَّهُمْ لَمْ يُؤْمِنُوا فَيَتَقَوَّى بِمَكَانِهِمُ الْإِسْلَامُ وَيَنْتَعِشُ بِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ، وَتَوَاضَعْ لِمَنْ مَعَكَ مِنْ فُقَرَاءِ الْمُؤْمِنِينَ وَضُعَفَائِهِمْ، وَطِبْ نَفْسًا عَنْ إِيمَانِ الْأَغْنِيَاءِ وَالْأَقْوِيَاءِ.

﴿وَقُلْ﴾[2]: لَهُمْ، ﴿إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[3]: أُنْذِرُكُمْ بِبَيَانٍ وَبُرْهَانٍ أَنَّ عَذَابَ اللَّهِ نَازِلٌ بِكُمْ.

﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[4]

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾[5]؟

قُلْتُ: فِيهِ وَجْهَانِ:

-أَحَدُهُمَا، أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾[6]، أَيْ: أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ مِثْلَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ وَهُمُ الْمُقْتَسِمُونَ، ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾[7]، حَيْثُ قَالُوا بِعِنَادِهِمْ وَعُدْوَانِهِمْ: بَعْضُهُ حَقٌّ مُوَافِقٌ لِلتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَبَعْضُهُ بَاطِلٌ مُخَالِفٌ لَهُمَا، فَاقْتَسَمُوهُ إِلَى حَقٍّ وَبَاطِلٍ، وَعَضُّوهُ.

وَقِيلَ: كَانُوا يَسْتَهْزِؤُونَ بِهِ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ: سُورَةُ الْبَقَرَةِ لِي، وَيَقُولُ الْآخَرُ: سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ لِي.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .
[7] سورة الْحِجْرِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْقُرْآنِ: مَا يَقْرَؤُونَهُ مِنْ كُتُبِهِمْ، وَقَدِ اقْتَسَمُوهُ بِتَحْرِيفِهِمْ، وَبِأَنَّ الْيَهُودَ أَقَرَّتْ بِبَعْضِ التَّوْرَاةِ وَكَذَّبَتْ بِبَعْضٍ، وَالنَّصَارَى أَقَرَّتْ بِبَعْضِ الْإِنْجِيلِ وَكَذَّبَتْ بِبَعْضٍ.

وَهَذِهِ تَسْلِيَةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ صَنِيعِ قَوْمِهِ بِالْقُرْآنِ وَتَكْذِيبِهِمْ.

وَقَوْلُهُمْ: سِحْرٌ وَشِعْرٌ وَأَسَاطِيرُ، بِأَنَّ غَيْرَهُمْ مِنَ الْكَفَرَةِ فَعَلُوا بِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ نَحْوَ فِعْلِهِمْ.

- وَالثَّانِي: أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾[1]، أَيْ: وَأَنْذِرْ قُرَيْشًا مِثْلَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْعَذَابِ عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ، يَعْنِي: الْيَهُودَ؛ وَهُوَ مَا جَرَى عَلَى قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ، جَعَلَ الْمُتَوَقَّعَ بِمَنْزِلَةِ الْوَاقِعِ، وَهُوَ مِنَ الْإِعْجَازِ، لِأَنَّهُ إِخْبَارٌ بِمَا سَيَكُونُ وَقَدْ كَانَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ مَنْصُوبًا بِالنَّذِيرِ، أَيْ: أَنْذِرِ الْمُعْضِينَ الَّذِينَ يُجَزِّؤُونَ الْقُرْآنَ إِلَى سِحْرٍ وَشِعْرٍ وَأَسَاطِيرَ، مِثْلَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ، وَهُمُ الْاثْنَا عَشَرَ الَّذِينَ اقْتَسَمُوا مَدَاخِلَ مَكَّةَ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ، فَقَعَدُوا فِي كُلِّ مَدْخَلٍ مُتَفَرِّقِينَ لِيُنَفِّرُوا النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ بَعْضُهُمْ: لَا تَغْتَرُّوا بِالْخَارِجِ مِنَّا، فَإِنَّهُ سَاحِرٌ، وَيَقُولُ الْآخَرُ: كَذَّابٌ، وَالْآخَرُ: شَاعِرٌ، فَأَهْلَكَهُمُ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ وَقَبْلَهُ بِآفَاتٍ، كَالْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، وَالْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ وَغَيْرِهِمْ، أَوْ مِثْلَ مَا أَنْزَلَنَا عَلَى الرَّهْطِ الَّذِينَ تَقَاسَمُوا عَلَى أَنْ يُبَيِّتُوا صَالِحًا -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَالِاقْتِسَامُ بِمَعْنَى: التَّقَاسُمِ.

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا عَلَّقْتَ قَوْلَهُ: ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا﴾[2] بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ﴾[3]، فَمَا مَعْنَى تَوَسُّطِ "لا تَمُدَّنَّ" إِلَى آخِرِهِ بَيْنَهُمَا؟

قُلْتُ: لَمَّا كَانَ ذَلِكَ تَسْلِيَةً لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَنْ تَكْذِيبِهِمْ وَعَدَاوَتِهِمْ، اعْتَرَضَ بِمَا هُوَ مَدَدٌ لِمَعْنَى التَّسْلِيَةِ، مِنَ النَّهْيِ عَنِ الْالْتِفَاتِ إِلَى دُنْيَاهُمْ وَالتَّأَسُّفِ عَلَى كُفْرِهِمْ، وَمِنَ الْأَمْرِ بِأَنْ يُقْبِلَ بِمَجَامِعِهِ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿عِضِينَ﴾[1]: أَجْزَاءٌ، جَمْعُ عِضَةٍ، وَأَصْلُهَا عِضْوَةٌ فِعْلَةٌ: مِنْ عَضَّى الشَّاةَ إِذَا جَعَلَهَا أَعْضَاءً.

قَالَ رُؤْبَةُ:

وَلَيْسَ دِينُ اللَّهِ بِالْمَعْضِـــــــــــي

وَقِيلَ: هِيَ فِعْلَةٌ، مِنْ عَضْهْتُهُ إِذَا بَهَتَّهُ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: الْعِضَةُ: السِّحْرُ، بِلُغَةِ قُرَيْشٍ، يَقُولُونَ لِلسَّاحِرِ: عَاضِهَةٌ.

وَلَعَنَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– الْعَاضِهَةَ وَالْمُسْتَعْضِهَةَ، نُقْصَانُهَا عَلَى الْأَوَّلِ: وَاوٌ، وَعَلَى الثَّانِي: هَاءٌ.

﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[2]

﴿لَنَسْأَلَنَّهُمْ﴾[3]: عِبَارَةٌ عَنِ الْوَعِيدِ، وَقِيلَ: يَسْأَلُهُمْ سُؤَالَ تَقْرِيعٍ.

وَعَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ: يَسْأَلُ الْعِبَادَ عَنْ خَلَّتَيْنِ: عَمَّا كَانُوا يَعْبُدُونَ، وَمَاذَا أَجَابُوا الْمُرْسَلِينَ.

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾[4]

﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[5]: فَاجْهَرْ بِهِ وَأَظْهِرْهُ، يُقَالُ: صَدَعَ بِالْحُجَّةِ: إِذَا تَكَلَّمَ بِهَا جِهَارًا، كَقَوْلِكَ: صَرَّحَ بِهَا، مِنَ الصَّدِيعِ، وَهُوَ الْفَجْرُ، وَالصَّدْعُ فِي الزُّجَاجَةِ: الْإِبَانَةُ.

وَقِيلَ: ﴿فَاصْدَعْ﴾[6]: فَافْرُقْ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ بِمَا تُؤْمَرُ.

وَالْمَعْنَى: بِمَا تُؤْمَرُ بِهِ مِنَ الشَّرَائِعِ، فَحَذَفَ الْجَارَّ، كَقَوْلِهِ:

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[4] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[5] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[6] سورة الْحِجْرِ، الآية .

أَمَرْتُكَ الْخَيْرَ فَافْعَلْ مَا أُمِرْتَ بِهِ.....

وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ "مَا": مَصْدَرِيَّةً، أَيْ: بِأَمْرِكَ مَصْدَرٌ مِنَ الْمَبْنِيِّ لِلْمَفْعُولِ.

﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾[1]

عَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ فِي الْمُسْتَهْزِئِينَ: هُمْ خَمْسَةُ نَفَرٍ ذَوُو أَسْنَانٍ وَشَرَفٍ: الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَبْدِ يَغُوثَ، وَالْأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، وَالْحَرْثُ بْنُ الطَّلَاطِلَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: مَاتُوا كُلُّهُمْ قَبْلَ بَدْرٍ، قَالَ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– لِلنَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: أُمِرْتُ أَنْ أَكْفِيَكَهُمْ، فَأَوْمَأَ إِلَى سَاقِ الْوَلِيدِ، فَمَرَّ بِنَبَّالٍ، فَتَعَلَّقَ بِثَوْبِهِ سَهْمٌ؛ فَلَمْ يَنْعَطِفْ تَعَظُّمًا لِأَخْذِهِ، فَأَصَابَ عِرْقًا فِي عَقِبِهِ فَقَطَعَهُ فَمَاتَ؛ وَأَوْمَأَ إِلَى أَخْمُصِ الْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ، فَدَخَلَتْ فِيهَا شَوْكَةٌ، فَقَالَ: لُدِغْتُ لُدِغْتُ وَانْتَفَخَتْ رِجْلُهُ، حَتَّى صَارَتْ كَالرَّحَى وَمَاتَ، وَأَشَارَ إِلَى عَيْنَيِ الْأَسْوَدِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، فَعَمِيَ وَأَشَارَ إِلَى أَنْفِ الْحَرْثِ بْنِ قَيْسٍ، فَامْتَخَطَ قِيحًا فَمَاتَ، وَإِلَى الْأَسْوَدِ بْنِ عَبْدِ يَغُوثَ، وَهُوَ قَاعِدٌ فِي أَصْلِ شَجَرَةٍ، فَجَعَلَ يَنْطَحُ رَأْسَهُ بِالشَّجَرَةِ وَيَضْرِبُ وَجْهَهُ بِالشَّوْكِ حَتَّى مَاتَ.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2]

﴿بِمَا يَقُولُونَ﴾[3]: مِنْ أَقَاوِيلِ الطَّاعِنِينَ فِيكَ وَفِي الْقُرْآنِ.

---

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[3] سورة الْحِجْرِ، الآية .

﴿فَسَبِّحْ﴾[1]: فَافْزَعْ فِيمَا نَابَكَ إِلَى اللَّهِ، وَالْفَزَعُ إِلَى اللَّهِ: هُوَ الذِّكْرُ الدَّائِمُ وَكَثْرَةُ السُّجُودِ، يَكْفِكَ وَيَكْشِفُ عَنْكَ الْغَمَّ، وَدُمْ عَلَى عِبَادَةِ رَبِّكَ.

﴿حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾[2]، أَيْ: الْمَوْتُ، أَيْ: مَا دُمْتَ حَيًّا فَلَا تُخِلَّ بِالْعِبَادَةِ.

وَعَنِ النَّبِيِّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:–"أَنَّهُ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ فَزَعَ إِلَى الصَّلَاةِ".

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْحِجْرِ كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ عَشْرُ حَسَنَاتٍ بِعَدَدِ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَالْمُسْتَهْزِئِينَ بِمُحَمَّدٍ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–".

سُورَةُ النَّحْلِ

[1] سورة الْحِجْرِ، الآية .

[2] سورة الْحِجْرِ، الآية .

سورة النحل

مَكِّيَّةٌ، غَيْرَ ثَلَاثِ آيَاتٍ فِي آخِرِهَا
وَتُسَمَّى سُورَةَ النِّعَمِ، وَهِيَ مِائَةٌ وَثَمَانٍ وَعِشْرُونَ آيَةً
[نَزَلَتْ بَعْدَ سُورَةِ الْكَهْفِ]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1]

كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ مَا وُعِدُوا مِنْ قِيَامِ السَّاعَةِ أَوْ نُزُولِ الْعَذَابِ بِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، اسْتِهْزَاءً وَتَكْذِيبًا بِالْوَعْدِ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾[2]: الَّذِي هُوَ بِمَنْزِلَةِ الْآتِي الْوَاقِعِ، وَإِنْ كَانَ مُنْتَظَرًا لِقُرْبِ وُقُوعِهِ، ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[3].

رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ [4]قَالَ الْكُفَّارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: إِنَّ هَذَا يَزْعُمُ أَنَّ الْقِيَامَةَ قَدْ قَرُبَتْ، فَأَمْسِكُوا عَنْ بَعْضِ مَا تَعْمَلُونَ حَتَّى نَنْظُرَ مَا هُوَ كَائِنٌ، فَلَمَّا تَأَخَّرَتْ قَالُوا: مَا نَرَى شَيْئًا، فَنَزَلَتْ: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ﴾[5]، فَأَشْفَقُوا وَانْتَظَرُوا قُرْبَهَا. فَلَمَّا

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

امْتَدَّتِ الْأَيَّامُ قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، مَا نَرَى شَيْئًا مِمَّا تُخَوِّفُنَا بِهِ، فَنَزَلَتْ ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ﴾[1]؛ فَوَثَبَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَرَفَعَ النَّاسُ رُؤُوسُهُمْ، فَنَزَلَتْ: ﴿فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[2]: فَاطْمَأَنُّوا.

وَقُرِئَ: "تَسْتَعْجِلُوهُ" بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[3]: تَبَرَّأَ -عَزَّ وَجَلَّ- عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ شَرِيكٌ، وَأَنْ تَكُونَ آلِهَتُهُمْ لَهُ شُرَكَاءَ، أَوْ عَنْ إِشْرَاكِهِمْ، عَلَى أَنَّ "مَا" مَوْصُولَةٌ أَوْ مَصْدَرِيَّةٌ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ اتَّصَلَ هَذَا بِاسْتِعْجَالِهِمْ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ اسْتِعْجَالَهُمُ اسْتِهْزَاءٌ وَتَكْذِيبٌ وَذَلِكَ مِنَ الشِّرْكِ.

وَقُرِئَ: "تُشْرِكُونَ": بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾[4]

قُرِئَ: "يُنَزِّلُ" بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ.

وَقُرِئَ: "تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ" أَيْ: تَتَنَزَّلُ.

﴿بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ﴾[5]: بِمَا يُحْيِي الْقُلُوبَ الْمَيِّتَةَ بِالْجَهْلِ مِنْ وَحْيِهِ، أَوْ بِمَا يَقُومُ فِي الدِّينِ مَقَامَ الرُّوحِ فِي الْجَسَدِ.

وَ﴿أَنْ أَنْذِرُوا﴾[6]: بَدَلٌ مِنَ الرُّوحِ، أَيْ: يُنْزِلُهُمْ بِأَنْ أَنْذِرُوا، وَتَقْدِيرُهُ: بِأَنَّهُ أَنْذِرُوا، أَيْ: بِأَنَّ الشَّأْنَ أَقُولُ لَكُمْ أَنْذَرُوا، أَوْ تَكُونُ ﴿أَنْ﴾[7] مُفَسِّرَةً، لِأَنَّ تَنْزِيلَ الْمَلَائِكَةِ بِالْوَحْيِ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَمَعْنَى أَنْذِرُوا: ﴿أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلا أَنَا﴾[1]: أَعْلِمُوا بِأَنَّ الْأَمْرَ ذَلِكَ، مِنْ نَذَرْتُ بِكَذَا إِذَا عَلِمْتَهُ، وَالْمَعْنَى: يَقُولُ لَهُمْ: أَعْلِمُوا النَّاسَ قَوْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، ﴿فَاتَّقُونِ﴾[2].

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[3]

ثُمَّ دَلَّ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَأَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ بِمَا ذَكَرَ، مِمَّا لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ غَيْرُهُ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ الْإِنْسَانِ وَمَا يُصْلِحُهُ، وَمَا لَا بُدَّ لَهُ مَنْ خَلْقِ الْبَهَائِمِ لِأَكْلِهِ وَرُكُوبِهِ وَجَرِّ أَثْقَالِهِ وَسَائِرِ حَاجَاتِهِ، وَخَلْقِ مَا لَا يَعْلَمُونَ مِنْ أَصْنَافِ خَلَائِقِهِ، وَمِثْلُهُ مُتَعَالٍ عَنْ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ غَيْرُهُ.

وَقُرِئَ: "تُشْرِكُونَ"، بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾[4] فِيهِ مَعْنَيَانِ:

-أَحَدُهُمَا: فَإِذَا هُوَ مِنْطِيقٌ مُجَادِلٌ عَنْ نَفْسِهِ مُكَافِحٌ لِلْخُصُومِ مُبِينٌ لِلْحُجَّةِ، بَعْدَمَا كَانَ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ جَمَادًا لَا حِسَّ بِهِ وَلَا حَرَكَةَ، دَلَالَةً عَلَى قُدْرَتِهِ.

-وَالثَّانِي: فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ لِرَبِّهِ، مُنْكِرٌ عَلَى خَالِقِهِ، قَائِلٌ: مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، وَصْفًا لِلْإِنْسَانِ بِالْإِفْرَاطِ فِي الْوَقَاحَةِ وَالْجَهْلِ، وَالتَّمَادِي فِي كُفْرَانِ النِّعْمَةِ.

وَقِيلَ: نَزَلَتْ فِي أُبَيِّ بْنِ خَلَفٍ الْجُمَحِيِّ حِينَ جَاءَ بِالْعَظْمِ الرَّمِيمِ إِلَى النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَتَرَى اللَّهَ يُحْيِي هَذَا بَعْدَ مَا قَدْ رَمَّ؟

﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[5]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَالأَنْعَامَ﴾[1]: الْأَزْوَاجُ الثَّمَانِيَةُ، وَأَكْثَرُ مَا تَقَعُ عَلَى الْإِبِلِ، وَانْتِصَابُهَا بِمُضْمَرٍ يُفَسِّرُهُ الظَّاهِرُ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ﴾[2].

وَيَجُوزُ أَنْ يُعْطَفَ عَلَى الْإِنْسَانِ، أَيْ: خَلَقَ الْإِنْسَانَ وَالْأَنْعَامَ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿خَلَقَهَا لَكُمْ﴾[3]، أَيْ: مَا خَلَقَهَا إِلَّا لَكُمْ وَلِمَصَالِحِكُمْ يَا جِنْسَ الْإِنْسَانِ، وَالدِّفْءُ: اسْمُ مَا يُدْفَأُ بِهِ، كَمَا أَنَّ الْمَلْءَ اسْمُ مَا يُمْلَأُ بِهِ، وَهُوَ الدِّفَاءُ مِنْ لِبَاسٍ مَعْمُولٍ مِنْ صُوفٍ أَوْ وَبَرٍ أَوْ شَعْرٍ.

وَقُرِئَ: "دُفٌّ"، بِطَرْحِ الْهَمْزَةِ وَإِلْقَاءِ حَرَكَتِهَا عَلَى الْفَاءِ.

﴿وَمَنَافِعُ﴾[4] هِيَ: نَسْلُهَا وَدَرُّهَا وَغَيْرُ ذَلِكَ.

فَإِنْ قُلْتَ: تَقْدِيمُ الظَّرْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾[5] مُؤْذِنٌ بِالِاخْتِصَاصِ، وَقَدْ يُؤْكَلُ مِنْ غَيْرِهَا.

قُلْتُ: الْأَكْلُ مِنْهَا هُوَ الْأَصْلُ الَّذِي يَعْتَمِدُهُ النَّاسُ فِي مَعَايِشِهِمْ.

وَأَمَّا الْأَكْلُ مِنْ غَيْرِهَا مِنَ الدَّجَاجِ وَالْبَطِّ وَصَيْدِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ فَكَغَيْرِ الْمُعْتَدِّ بِهِ وَكَالْجَارِي مَجْرَى التَّفَكُّهِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنَّ طُعْمَتَكُمْ مِنْهَا، لِأَنَّكُمْ تَحْرُثُونَ بِالْبَقَرِ، فَالْحَبُّ وَالثِّمَارُ الَّتِي تَأْكُلُونَهَا مِنْهَا وَتَكْتَسِبُونَ بِإِكْرَاءِ الْإِبِلِ وَتَبِيعُونَ نِتَاجَهَا وَأَلْبَانَهَا وَجُلُودَهَا.

﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾[6]

مَنَّ اللَّهُ بِالتَّجَمُّلِ بِهَا كَمَا مَنَّ بِالِانْتِفَاعِ بِهَا، لِأَنَّهُ مِنْ أَغْرَاضِ أَصْحَابِ الْمَوَاشِي، بَلْ هُوَ مِنْ مَعَاظِمِهَا، لِأَنَّ الرُّعْيَانَ إِذَا رَوَّحُوهَا بِالْعَشِيِّ وَسَرَّحُوهَا بِالْغَدَاةِ –فَزُيِّنَتْ بِإِرَاحَتِهَا

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة يَسٓ، الآية 39.

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَتَسْرِيحِهَا الْأَفْنِيَةُ وَتَجَاوَبَ فِيهَا الثُّغَاءُ وَالرُّغَاءُ– أَنِسَتْ أَهْلَهَا وَفَرِحَتْ أَرْبَابُهَا، وَأَجْلَتْهُمْ فِي عُيُونِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهَا، وَكَسَبَتْهُمُ الْجَاهَ وَالْحُرْمَةَ عِنْدَ النَّاسِ.

وَنَحْوُهُ: ﴿لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً﴾[1]، ﴿يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا﴾[2].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قُدِّمَتِ الْإِرَاحَةُ عَلَى التَّسْرِيحِ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الْجَمَالَ فِي الْإِرَاحَةِ أَظْهَرُ، إِذَا أَقْبَلَتْ مَلْأَى الْبُطُونِ حَافِلَةَ الضُّرُوعِ، ثُمَّ أَوَتْ إِلَى الْحَظَائِرِ حَاضِرَةً لِأَهْلِهَا.

وَقَرَأَ عِكْرِمَةُ: "حِينًا تُرِيحُونَ وَحِينًا تَسْرَحُونَ" عَلَى أَنَّ "تُرِيحُونَ وَتَسْرَحُونَ": وَصْفٌ لِلْحِينِ، وَالْمَعْنَى: تُرِيحُونَ فِيهِ وَتَسْرَحُونَ فِيهِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿يَوْمًا لا يَجْزِي وَالِدٌ﴾[3].

﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[4]

قُرِئَ: "بِشِقِّ الْأَنْفُسِ": بِكَسْرِ الشِّينِ وَفَتْحِهَا، وَقِيلَ: هُمَا لُغَتَانِ فِي مَعْنَى الْمَشَقَّةِ، وَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ: وَهِيَ أَنَّ الْمَفْتُوحَ مَصْدَرُ شَقَّ الْأَمْرُ عَلَيْهِ شَقًّا، وَحَقِيقَتُهُ رَاجِعَةٌ إِلَى الشَّقِّ الَّذِي هُوَ الصَّدْعُ.

وَأَمَّا الشِّقُّ فَالنِّصْفُ، كَأَنَّهُ يَذْهَبُ نِصْفُ قُوَّتِهِ لِمَا يَنَالُهُ مِنَ الْجَهْدِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾[5]: كَأَنَّهُمْ كَانُوا زَمَانًا يَتَحَمَّلُونَ الْمَشَاقَّ فِي بُلُوغِهِ حَتَّى حَمَلَتِ الْإِبِلُ أَثْقَالَهُمْ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ فِي التَّقْدِيرِ لَوْ لَمْ تُخْلَقِ الْإِبِلُ إِلَّا بِجَهْدِ أَنْفُسِكُمْ، لَا أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا بَالِغِيهِ فِي الْحَقِيقَةِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية 8.

[2] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 26.

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ طَابَقَ قَوْلُهُ: ﴿لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ﴾[1] قَوْلَهُ: ﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ﴾[2]؟ وَهَلَّا قِيلَ: لَمْ تَكُونُوا حَامِلِيهَا إِلَيْهِ؟

قُلْتُ: طِبَاقُهُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ مَعْنَاهُ: وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ بَعِيدٍ قَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّكُمْ لَا تَبْلُغُونَهُ بِأَنْفُسِكُمْ إِلَّا بِجَهْدٍ وَمَشَقَّةٍ، فَضْلًا أَنْ تَحْمِلُوا عَلَى ظُهُورِكُمْ أَثْقَالَكُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ بِهَا إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ، وَقِيلَ: أَثْقَالُكُمْ أَجْرَامُكُمْ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: الْبَلَدُ: مَكَّةُ، ﴿لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[3]، حَيْثُ رَحِمَكُمْ بِخَلْقِ هَذِهِ الْحَوَامِلِ وَتَيْسِيرِ هَذِهِ الْمَصَالِحِ.

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[4]

﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ﴾[5]: عَطْفٌ عَلَى ﴿الْأَنْعَامِ﴾[6]، أَيْ: وَخَلَقَ هَؤُلَاءِ لِلرُّكُوبِ وَالزِّينَةِ، وَقَدِ احْتُجَّ عَلَى حُرْمَةِ أَكْلِ لُحُومِهِنَّ بِأَنْ عَلَّلَ خَلْقَهَا بِالرُّكُوبِ وَالزِّينَةِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْأَكْلَ بَعْدَ مَا ذَكَرَهُ فِي الْأَنْعَامِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ انْتَصَبَ ﴿وَزِينَةً﴾[7]؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُ مَفْعُولٌ لَهُ، وَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى مَحَلِّ لِتَرْكَبُوهَا.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا وَرَدَ الْمَعْطُوفُ وَالْمَعْطُوفُ عَلَيْهِ عَلَى سَنَنٍ وَاحِدٍ؟

قُلْتُ: لِأَنَّ الرُّكُوبَ فِعْلُ الْمُخَاطَبِينَ، وَأَمَّا الزِّينَةُ: فَفِعْلُ الزَّائِنِ، وَهُوَ الْخَالِقُ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَقُرِئَ: "لِتَرْكَبُوهَا زِينَةً"، بِغَيْرِ وَاوٍ، أَيْ: وَخَلَقَهَا زِينَةً لِتَرْكَبُوهَا، أَوْ تَجْعَلَ زِينَةً حَالًا مِنْهَا، أَيْ: وَخَلَقَهَا لِتَرْكَبُوهَا، وَهِيَ زِينَةٌ وَجَمَالٌ.

﴿وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾[1]: يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ بِهِ: مَا يُخْلَقُ فِينَا وَلَنَا مِمَّا لَا نَعْلَمُ كُنْهَهُ وَتَفَاصِيلَهُ وَيَمُنُّ عَلَيْنَا بِذِكْرِهِ كَمَا مَنَّ بِالْأَشْيَاءِ الْمَعْلُومَةِ مَعَ الدَّلَالَةِ عَلَى قُدْرَتِهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُخْبِرَنَا بِأَنَّ لَهُ مِنَ الْخَلَائِقِ مَا لَا عِلْمَ لَنَا بِهِ، لِيَزِيدَنَا دَلَالَةً عَلَى اقْتِدَارِهِ بِالْإِخْبَارِ بِذَلِكَ، وَإِنْ طَوَى عَنَّا عِلْمَهُ لِحِكْمَةٍ لَهُ فِي طَيِّهِ، وَقَدْ حَمَلَ عَلَى مَا خَلَقَ فِي الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، مِمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ وَهْمُ أَحَدٍ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِهِ.

﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[2]

الْمُرَادُ بِالسَّبِيلِ: الْجِنْسُ، وَلِذَلِكَ أَضَافَ إِلَيْهَا الْقَصْدَ، وَقَالَ: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾[3]، وَالْقَصْدُ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى: الْفَاعِلِ وَهُوَ الْقَاصِدُ، يُقَالُ: سَبِيلُ قَصْدٍ وَقَاصِدٍ، أَيْ: مُسْتَقِيمٌ، كَأَنَّهُ يَقْصِدُ الْوَجْهَ الَّذِي يَؤُمُّهُ السَّالِكُ لَا يَعْدِلُ عَنْهُ.

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ﴾[4]: أَنَّ هِدَايَةَ الطَّرِيقِ الْمُوصِلِ إِلَى الْحَقِّ وَاجِبَةٌ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَى﴾[5].

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ غَيَّرَ أُسْلُوبَ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْهَا جَائِرٌ﴾[6]؟

قُلْتُ: لِيُعْلَمَ مَا يَجُوزُ إِضَافَتُهُ إِلَيْهِ مِنَ السَّبِيلَيْنِ وَمَا لَا يَجُوزُ.

وَلَوْ كَانَ الْأَمْرُ كَمَا تَزْعُمُ الْمُجْبِرَةُ، لَقِيلَ: وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَعَلَيْهِ جَائِرُهَا أَوْ وَعَلَيْهِ الْجَائِرُ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة اللَّيْلُ، الآية 12.

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: "وَمِنْكُمْ جَائِرٌ"، يَعْنِي: وَمِنْكُمْ جَائِرٌ جَارَ عَنِ الْقَصْدِ بِسُوءِ اخْتِيَارِهِ، وَاللَّهُ بَرِيءٌ مِنْهُ.

﴿وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾[1]: قَسْرًا وَإِلْجَاءً.

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]

﴿لَكُمْ﴾[3]: مُتَعَلِّقٌ بِأَنْزَلَ، أَوْ بِشَرَابٍ، خَبَرًا لَهُ، وَالشَّرَابُ مَا يُشْرَبُ، ﴿شَجَرٌ﴾[4]، يَعْنِي: الشَّجَرَ الَّذِي تَرْعَاهُ الْمَوَاشِي.

وَفِي حَدِيثِ عِكْرِمَةَ: لَا تَأْكُلُوا ثَمَنَ الشَّجَرِ، فَإِنَّهُ سُحْتٌ، يَعْنِي: الْكَلَأَ.

﴿تُسِيمُونَ﴾[5]: مَنْ سَامَتِ الْمَاشِيَةُ إِذَا رَعَتْ، فَهِيَ سَائِمَةٌ، وَأَسَامَهَا صَاحِبُهَا، وَهُوَ مِنَ السُّومَةِ، وَهِيَ الْعَلَامَةُ، لِأَنَّهَا تُؤَثِّرُ بِالرَّعْيِ عَلَامَاتٍ فِي الْأَرْضِ.

وَقُرِئَ: "يَنْبُتُ" بِالْيَاءِ وَالنُّونِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[6]؟

قُلْتُ: لِأَنَّ كُلَّ الثَّمَرَاتِ لَا تَكُونُ إِلَّا فِي الْجَنَّةِ، وَإِنَّمَا أُنْبِتَ فِي الْأَرْضِ بَعْضٌ مِنْ كُلِّهَا لِلتَّذْكِرَةِ.

﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾[7]: يَنْظُرُونَ فَيَسْتَدِلُّونَ بِهَا عَلَيْهِ وَعَلَى قُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَالْآيَةُ: الدَّلَالَةُ الْوَاضِحَةُ.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: "يُنَبِّتُ" بِالتَّشْدِيدِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَقَرَأَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ: "يَنْبُتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعُ وَالزَّيْتُونُ وَالنَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ": بِالرَّفْعِ.

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]

قُرِئَتْ كُلُّهَا بِالنَّصْبِ عَلَى: وَجَعَلَ النُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ، أَوْ عَلَى أَنَّ مَعْنَى تَسْخِيرِهَا لِلنَّاسِ: تَصْيِيرُهَا نَافِعَةً لَهُمْ، حَيْثُ يَسْكُنُونَ بِاللَّيْلِ، وَيَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِهِ بِالنَّهَارِ، وَيَعْلَمُونَ عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ بِمَسِيرِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَيَهْتَدُونَ بِالنُّجُومِ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: وَنَفْعُكُمْ بِهَا فِي حَالِ كَوْنِهَا مُسَخَّرَاتٍ لِمَا خُلِقْنَ لَهُ بِأَمْرِهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّهُ سَخَّرَهَا أَنْوَاعًا مِنَ التَّسْخِيرِ جَمْعُ مُسَخَّرٍ، بِمَعْنَى: تَسْخِيرٍ، مِنْ قَوْلِكَ: سَخَّرَهُ اللَّهُ مُسَخَّرًا، كَقَوْلِكَ: سَرَّحَهُ مُسَرَّحًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَسَخَّرَهَا لَكُمْ تَسْخِيرَاتٍ بِأَمْرِهِ.

وَقُرِئَ بِنَصْبِ "اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ" وَحْدَهُمَا، وَرَفْعِ مَا بَعْدَهُمَا عَلَى الِابْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ.

وَقُرِئَ: "وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ" بِالرَّفْعِ، وَمَا قَبْلَهُ بِالنَّصْبِ.

وَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[2]: فَجَمَعَ الْآيَةَ، وَذَكَرَ الْعَقْلَ، لِأَنَّ الْآثَارَ الْعُلْوِيَّةَ أَظْهَرُ دَلَالَةً عَلَى الْقُدْرَةِ الْبَاهِرَةِ، وَأَبْيَنُ شَهَادَةً لِلْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ.

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[3]

﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ﴾[4]: مَعْطُوفٌ عَلَى اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، يَعْنِي: مَا خَلَقَ فِيهَا مِنْ حَيَوَانٍ وَشَجَرٍ وَثَمَرٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ مُخْتَلِفَ الْهَيْئَاتِ وَالْمَنَاظِرِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[1]

﴿لَحْمًا طَرِيًّا﴾[2]: هُوَ السَّمَكُ، وَوَصْفُهُ بِالطَّرَاوَةِ، لِأَنَّ الْفَسَادَ يُسْرِعُ إِلَيْهِ، فَيُسَارِعُ إِلَى أَكْلِهِ خِيفَةً لِلْفَسَادِ عَلَيْهِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا بَالُ الْفُقَهَاءِ قَالُوا: إِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ لَا يَأْكُلُ لَحْمًا، فَأَكَلَ سَمَكًا، لَمْ يَحْنَثْ، وَاللَّهُ –تَعَالَى– سَمَّاهُ لَحْمًا كَمَا تَرَى؟

قُلْتُ: مَبْنَى الْأَيْمَانِ عَلَى الْعَادَةِ، وَعَادَةُ النَّاسِ إِذَا ذُكِرَ اللَّحْمُ عَلَى الْإِطْلَاقِ أَلَّا يُفْهَمَ مِنْهُ السَّمَكُ. وَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ لِغُلَامِهِ: اشْتَرِ بِهَذِهِ الدَّرَاهِمِ لَحْمًا فَجَاءَ بِالسَّمَكِ، كَانَ حَقِيقًا بِالْإِنْكَارِ؛ وَمِثَالُهُ أَنَّ اللَّهَ –تَعَالَى– سَمَّى الْكَافِرَ دَابَّةً فِي قَوْلِهِ: إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَلَوْ حَلَفَ حَالِفٌ لَا يَرْكَبُ دَابَّةً فَرَكِبَ كَافِرًا لَمْ يَحْنَثْ.

﴿حِلْيَةً﴾[3]: هِيَ اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ، وَالْمُرَادُ بِلُبْسِهِمْ: لُبْسُ نِسَائِهِمْ، لِأَنَّهُنَّ مِنْ جُمْلَتِهِمْ، وَلِأَنَّهُنَّ إِنَّمَا يَتَزَيَّنَّ بِهَا مِنْ أَجْلِهِمْ، فَكَأَنَّهَا زِينَتُهُمْ وَلِبَاسُهُمْ، الْمَخْرُ: شَقُّ الْمَاءِ بِحَيْزُومِهَا.

وَعَنِ الْفَرَّاءِ: هُوَ صَوْتُ جَرْيِ الْفُلْكِ بِالرِّيَاحِ، وَابْتِغَاءُ الْفَضْلِ: التِّجَارَةُ.

﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[4]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ﴾[1]: كَرَاهَةَ أَنْ تَمِيلَ بِكُمْ وَتَضْطَرِبَ، وَالْمَائِدُ: الَّذِي يُدَارُ بِهِ إِذَا رَكِبَ الْبَحْرَ؛ قِيلَ: خَلَقَ اللَّهُ الْأَرْضَ فَجَعَلَتْ تَمُورُ، فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: مَا هِيَ بِمَقَرِّ أَحَدٍ عَلَى ظَهْرِهَا، فَأَصْبَحَتْ وَقَدْ أُرْسِيَتْ بِالْجِبَالِ، لَمْ تَدْرِ الْمَلَائِكَةُ مِمَّ خُلِقَتْ.

﴿وَأَنْهَارًا﴾[2]: وَجَعَلَ فِيهَا أَنْهَارًا، لِأَنَّ ﴿أَلْقَى﴾[3]: فِيهِ مَعْنَى: جَعَلَ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾[4]؟

﴿وَعَلامَاتٍ﴾[5]: هِيَ مَعَالِمُ الطُّرُقِ وَكُلُّ مَا تَسْتَدِلُّ بِهِ السَّابِلَةُ مِنْ جَبَلٍ وَمَنْهَلٍ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَالْمُرَادُ بِالنَّجْمِ: الْجِنْسُ، كَقَوْلِكَ: كَثُرَ الدِّرْهَمُ فِي أَيْدِي النَّاسِ.

وَعَنِ السُّدِّيِّ: هُوَ الثُّرَيَّا، وَالْفَرْقَدَانِ، وَبَنَاتُ نَعْشٍ، وَالْجَدْيُ.

وَقَرَأَ الْحَسَنُ: "وَبِالنُّجُمِ" بِضَمَّتَيْنِ، وَبِضَمَّةٍ وَسُكُونٍ، وَهُوَ جَمْعُ نَجْمٍ، كَرَهْنٍ وَرُهُنٍ، وَالسُّكُونُ تَخْفِيفٌ.

وَقِيلَ: حَذَفَ الْوَاوَ مِنَ النُّجُومِ تَخْفِيفًا.

فَإِنْ قُلْتَ: قَوْلُهُ: ﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[6]: مُخْرِجٌ عَنْ سَنَنِ الْخِطَابِ، مُقَدَّمٌ فِيهِ، "النَّجْمُ"، مُقْحَمٌ فِيهِ ﴿هُمْ﴾[7]، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَبِالنَّجْمِ خُصُوصًا هَؤُلَاءِ خُصُوصًا يَهْتَدُونَ، فَمِنَ الْمُرَادُ بِـ ﴿هُمْ﴾[8]؟

قُلْتُ: كَأَنَّهُ أَرَادَ قُرَيْشًا: كَانَ لَهُمُ اهْتِدَاءٌ بِالنُّجُومِ فِي مَسَايِرِهِمْ، وَكَانَ لَهُمْ بِذَلِكَ عِلْمٌ لَمْ يَكُنْ مِثْلُهُ لِغَيْرِهِمْ، فَكَانَ الشُّكْرُ أَوْجَبَ عَلَيْهِمْ، وَالِاعْتِبَارُ أَلْزَمَ لَهُمْ، فَخُصِّصُوا.

﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾[9]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّبَأِ، الآية 6.

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

[9] سورة النَّحْلِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: "مَنْ لَا يَخْلُقُ" أُرِيدَ بِهِ الْأَصْنَامُ، فَلِمَ جِيءَ بِمَنِ الَّذِي هُوَ لِأُولِي الْعِلْمِ؟

قُلْتُ: فِيهِ أَوْجُهٌ:

-أَحَدُهَا: أَنَّهُمْ سَمَّوْهَا آلِهَةً وَعَبَدُوهَا، فَأَجْرَوْهَا مَجْرَى أُولِي الْعِلْمِ.

أَلَا تَرَى إِلَى قَوْلِهِ عَلَى أَثَرِهِ: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ﴾[1]؟

-وَالثَّانِي: الْمُشَاكَلَةُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَنْ يَخْلُقُ.

-وَالثَّالِثُ: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى أَنَّ مَنْ يَخْلُقُ لَيْسَ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ مِنْ أُولِي الْعِلْمِ، فَكَيْفَ بِمَا لَا عِلْمَ عِنْدَهُ، كَقَوْلِهِ: ﴿أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا﴾[2]؟

يَعْنِي: أَنَّ الْآلِهَةَ حَالُهُمْ مُنْحَطَّةٌ عَنْ حَالِ مَنْ لَهُمْ أَرْجُلٌ وَأَيْدٍ وَآذَانٌ وَقُلُوبٌ، لِأَنَّ هَؤُلَاءِ أَحْيَاءٌ وَهُمْ أَمْوَاتٌ، فَكَيْفَ تَصِحُّ لَهُمُ الْعِبَادَةُ؟ لَا أَنَّهَا لَوْ صَحَّتْ لَهُمْ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ لَصَحَّ أَنْ يُعْبَدُوا.

فَإِنْ قُلْتَ: هُوَ إِلْزَامٌ لِلَّذِينِ عَبَدُوا الْأَوْثَانَ، وَسَمَّوْهَا آلِهَةً تَشْبِيهًا بِاللَّهِ، فَقَدْ جَعَلُوا غَيْرَ الْخَالِقِ مِثْلَ الْخَالِقِ، فَكَانَ حَقُّ الْإِلْزَامِ أَنْ يُقَالَ لَهُمْ: أَفَمَنْ لَا يَخْلُقُ كَمَنْ يَخْلُقُ؟

قُلْتُ: حِينَ جَعَلُوا غَيْرَ اللَّهِ مِثْلَ اللَّهِ فِي تَسْمِيَتِهِ بِاسْمِهِ وَالْعِبَادَةِ لَهُ وَسَوَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَقَدْ جَعَلُوا اللَّهَ -تَعَالَى- مِنْ جِنْسِ الْمَخْلُوقَاتِ وَشَبِيهًا بِهَا، فَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ﴾[3].

﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[4]

---

[1] سورة النَّحْلُ، الآية 20.

[2] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 195.

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿لا تُحْصُوهَا﴾[1]: لَا تَضْبِطُوا عَدَدَهَا وَلَا تَبْلُغُهُ طَاقَتُكُمْ، فَضْلًا أَنْ تُطِيقُوا الْقِيَامَ بِحَقِّهَا مِنْ أَدَاءِ الشُّكْرِ، أَتْبَعَ ذَلِكَ مَا عَدَّدَ مِنْ نِعَمِهِ تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ وَرَاءَهَا مَا لَا يَنْحَصِرُ وَلَا يَنْعَدُّ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[2]، حَيْثُ يَتَجَاوَزُ عَنْ تَقْصِيرِكُمْ فِي أَدَاءِ شُكْرِ النِّعْمَةِ، وَلَا يَقْطَعُهَا عَنْكُمْ لِتَفْرِيطِكُمْ، وَلَا يُعَاجِلُكُمْ بِالْعُقُوبَةِ عَلَى كُفْرَانِهَا.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾[3]: مِنْ أَعْمَالِكُمْ، وَهُوَ وَعِيدٌ.

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[4]

﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ﴾[5]: وَالْآلِهَةُ الَّذِينَ يَدْعُوهُمُ الْكُفَّارُ.

﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾[6]: وَقُرِئَ بِالتَّاءِ.

وَقُرِئَ: "يُدْعَوْنَ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ، نَفي عَنْهُمْ خَصَائِصَ الْإِلَهِيَّةِ بِنَفْيِ كَوْنِهِمْ خَالِقِينَ وَأَحْيَاءً لَا يَمُوتُونَ وَعَالِمِينَ بِوَقْتِ الْبَعْثِ، وَأَثْبَتَ لَهُمْ صِفَاتِ الْخَلْقِ بِأَنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ، وَأَنَّهُمْ أَمْوَاتٌ، وَأَنَّهُمْ جَاهِلُونَ بِالْغَيْبِ.

وَمَعْنَى: ﴿أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ﴾[7]: أَنَّهُمْ لَوْ كَانُوا آلِهَةً عَلَى الْحَقِيقَةِ لَكَانُوا أَحْيَاءً غَيْرَ أَمْوَاتٍ، أَيْ: غَيْرُ جَائِزٍ عَلَيْهَا الْمَوْتُ كَالْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَأَمْرُهُمْ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿يُبْعَثُونَ﴾[1]: لِلدَّاعِينَ، أَيْ: لَا يَشْعُرُونَ مَتَى تُبْعَثُ عَبَدَتُهُمْ، وَفِيهِ تَهَكُّمٌ بِالْمُشْرِكِينَ، وَأَنَّ آلِهَتَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ وَقْتَ بَعْثِهِمْ، فَكَيْفَ يَكُونُ لَهُمْ وَقْتُ جَزَاءٍ مِنْهُمْ عَلَى عِبَادَتِهِمْ؟ وَفِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنَ الْبَعْثِ وَأَنَّهُ مِنْ لَوَازِمِ التَّكْلِيفِ.

وَوَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى: أَنَّ النَّاسَ يَخْلُقُونَهُمْ بِالنَّحْتِ وَالتَّصْوِيرِ، وَهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى نَحْوِ ذَلِكَ، فَهُمْ أَعْجَزُ مَنْ عَبَدَتِهِمْ أَمْوَاتٌ جَمَادَاتٌ لَا حَيَاةَ فِيهَا، غَيْرُ أَحْيَاءٍ؛ يَعْنِي: أَنَّ مِنَ الْأَمْوَاتِ مَا يَعْقُبُ مَوْتَهُ حَيَاةٌ، كَالنُّطَفِ الَّتِي يُنْشِئُهَا اللَّهُ حَيَوَانًا، وَأَجْسَادِ الْحَيَوَانِ الَّتِي تُبْعَثُ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَأَمَّا الْحِجَارَةُ فَأَمْوَاتٌ لَا يَعْقُبُ مَوْتَهَا حَيَاةٌ، وَذَلِكَ أَعْرَقُ فِي مَوْتِهَا.

﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾[2]، أَيْ: وَمَا يَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْآلِهَةُ مَتَى تُبْعَثُ الْأَحْيَاءُ تَهَكُّمٌ بِحَالِهَا، لِأَنَّ شُعُورَ الْجَمَادِ مُحَالٌ؛ فَكَيْفَ بِشُعُورِ مَا لَا يَعْلَمُهُ حَيٌّ إِلَّا الْحَيُّ الْقَيُّومُ -سُبْحَانَهُ-؟

وَوَجْهٌ ثَالِثٌ: وَهُوَ أَنْ يُرَادَ بِالَّذِينِ يَدْعُونَ: الْمَلَائِكَةُ، وَكَانَ نَاسٌ مِنْهُمْ يَعْبُدُونَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَمْوَاتٌ، أَيْ: لَا بُدَّ لَهُمْ مِنَ الْمَوْتِ.

غَيْرُ أَحْيَاءٍ: غَيْرُ بَاقِيَةٍ حَيَاتُهُمْ.

وَمَا يَشْعُرُونَ: وَلَا عِلْمَ لَهُمْ بِوَقْتِ بَعْثِهِمْ.

وَقُرِئَ: "إِيَّانَ" بِكَسْرِ الْهَمْزَةِ.

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[3]

﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾[4]، يَعْنِي: أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ بِمَا تَقَدَّمَ مِنْ إِبْطَالِ أَنْ تَكُونَ الْإِلَهِيَّةُ لِغَيْرِهِ، وَأَنَّهَا لَهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ فِيهَا، فَكَانَ مِنْ نَتِيجَةِ ثَبَاتِ الْوَحْدَانِيَّةِ وَوُضُوحِ دَلِيلِهَا:

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

اسْتِمْرَارُهُمْ عَلَى شِرْكِهِمْ، وَأَنَّ قُلُوبَهُمْ مُنْكِرَةٌ لِلْوَحْدَانِيَّةِ، وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ عَنْهَا وَعَنِ الْإِقْرَارِ بِهَا.

﴿لا جَرَمَ﴾[1]: حَقًّا.

﴿أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾[2]: سِرَّهُمْ وَعَلَانِيَتَهُمْ فَيُجَازِيهِمْ، وَهُوَ وَعِيدٌ.

﴿إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾[3]: يَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنِ التَّوْحِيدِ، يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَعُمَّ كُلَّ مُسْتَكْبِرٍ، وَيَدْخُلَ هَؤُلَاءِ تَحْتَ عُمُومِهِ.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[4]

﴿مَاذَا﴾[5]: مَنْصُوبٌ بِأَنْزَلَ، بِمَعْنَى: أَيَّ شَيْءٍ.

﴿أَنْزَلَ رَبُّكُمْ﴾[6]: أَوْ مَرْفُوعٌ بِالِابْتِدَاءِ، بِمَعْنَى: أَيُّ شَيْءٍ أَنْزَلَهُ رَبُّكُمْ.

فَإِذَا نَصَبْتَ، فَمَعْنَى: ﴿أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾[7]: مَا يَدَّعُونَ نُزُولَهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ.

وَإِذَا رَفَعْتَهُ فَالْمَعْنَى: الْمُنَزَّلُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ﴾[8] فِيمَنْ رَفَعَ.

فَإِنْ قُلْتَ: هُوَ كَلَامٌ مُتَنَاقِضٌ، لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ مُنَزَّلَ رَبِّهِمْ وَأَسَاطِيرَ؟

قُلْتُ: هُوَ عَلَى السُّخْرِيَةِ، كَقَوْلِهِ: "إِنَّ رَسُولَكُمُ"، وَهُوَ كَلَامُ بَعْضِهِمْ لِبَعْضٍ، أَوْ قَوْلُ الْمُسْلِمِينَ لَهُمْ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

[8] سورة الْبَقَرَةُ، الآية **219**.

وَقِيلَ: هُوَ قَوْلُ الْمُقْتَسِمِينَ: الَّذِينَ اقْتَسَمُوا مَدَاخِلَ مَكَّةَ يُنَفِّرُونَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا سَأَلَهُمْ وُفُودُ الْحَاجِّ عَمَّا أُنْزِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– قَالُوا: أَحَادِيثُ الْأَوَّلِينَ وَأَبَاطِيلُهُمْ.

﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ﴾[1]، أَيْ: قَالُوا ذَلِكَ إِضْلَالًا لِلنَّاسِ وَصَدًّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَحَمَلُوا أَوْزَارَ ضَلَالِهِمْ.

﴿كَامِلَةً﴾[2]: وَبَعْضُ أَوْزَارِ مَنْ ضَلَّ بِضَلَالِهِمْ، وَهُوَ وِزْرُ الْإِضْلَالِ، لِأَنَّ الْمُضِلَّ وَالضَّالَّ شَرِيكَانِ: هَذَا يُضِلُّهُ، وَهَذَا يُطَاوِعُهُ عَلَى إِضْلَالِهِ، فَيَتَحَامَلَانِ الْوِزْرَ.

وَمَعْنَى اللَّامِ: التَّعْلِيلُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ غَرَضًا، كَقَوْلِكَ: خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَدِ مَخَافَةَ الشَّرِّ.

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[3]: حَالٌ مِنَ الْمَفْعُولِ أَيْ: يُضِلُّونَ مَنْ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ ضُلَّالٌ. وَإِنَّمَا وَصَفَ بِالضَّلَالِ وَاحْتِمَالَ الْوِزْرِ مَنْ أَضَلُّوهُ وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ، لِأَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَبْحَثَ وَيَنْظُرَ بِعَقْلِهِ حَتَّى يُمَيِّزَ الْمُحِقَّ وَالْمُبْطِلَ.

﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾[4]

الْقَوَاعِدُ: أَسَاطِينُ الْبِنَاءِ الَّتِي تَعَمَّدَهُ، وَقِيلَ: الْأَسَاسُ، وَهَذَا تَمْثِيلٌ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ سَوَّوْا مَنْصُوبَاتٍ لِيَمْكُرُوا بِهَا اللَّهَ وَرَسُولَهُ، فَجَعَلَ اللَّهُ هَلَاكَهُمْ فِي تِلْكَ الْمَنْصُوبَاتِ، كَحَالِ قَوْمٍ

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

بَنَوْا بُنْيَانًا وَعَمَّدُوهُ بِالْأَسَاطِينِ، فَأَتَى الْبُنْيَانَ مِنَ الْأَسَاطِينِ بِأَنْ ضُعْضِعَتْ، فَسَقَطَ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ وَهَلَكُوا. وَنَحْوُهُ: مَنْ حَفَرَ لِأَخِيهِ جُبًّا وَقَعَ فِيهِ مُنْكَبًّا.

وَقِيلَ: هُوَ نَمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ حِينَ بَنَى الصَّرْحَ بِبَابِلَ طُولُهُ خَمْسَةُ آلَافِ ذِرَاعٍ.

وَقِيلَ: فَرْسَخَانِ، فَأَهَبَّ اللَّهُ الرِّيحَ فَخَرَّ عَلَيْهِ وَعَلَى قَوْمِهِ فَهَلَكُوا.

وَمَعْنَى إِتْيَانِ اللَّهِ: إِتْيَانُ أَمْرِهِ.

﴿مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾[1]: مِنْ جِهَةِ الْقَوَاعِدِ.

﴿مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾[2]: مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ وَلَا يَتَوَقَّعُونَ.

وَقُرِئَ: "فَأَتَى اللَّهُ بَيْتَهُمْ"، "فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ" بِضَمَّتَيْنِ.

﴿يُخْزِيهِمْ﴾[3]: يُذِلُّهُمْ بِعَذَابِ الْخِزْيِ.

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ﴾[4]، يَعْنِي: هَذَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ الْعَذَابُ فِي الْآخِرَةِ.

﴿شُرَكَائِيَ﴾[5]: عَلَى الْإِضَافَةِ إِلَى نَفْسِهِ حِكَايَةً لِإِضَافَتِهِمْ، لِيُوَبِّخَهُمْ بِهَا عَلَى طَرِيقِ الِاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ.

﴿تُشَاقُّونَ فِيهِمْ﴾[6]: تُعَادُونَ وَتُخَاصِمُونَ الْمُؤْمِنِينَ فِي شَأْنِهِمْ وَمَعْنَاهُمْ.

وَقُرِئَ: "تُشَاقُّونِ" بِكَسْرِ النُّونِ، بِمَعْنَى: تُشَاقُّونَنِي، لِأَنَّ مُشَاقَّةَ الْمُؤْمِنِينَ كَأَنَّهَا مُشَاقَّةٌ لِلَّهِ.

﴿قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾[7]: هُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالْعُلَمَاءُ مِنْ أُمَمِهِمُ الَّذِينَ كَانُوا يَدْعُونَهُمْ إِلَى الْإِيمَانِ وَيَعِظُونَهُمْ، فَلَا يَلْتَفِتُونَ إِلَيْهِمْ وَيَتَكَبَّرُونَ عَلَيْهِمْ وَيُشَاقُّونَهُمْ، يَقُولُونَ ذَلِكَ شَمَاتَةً بِهِمْ.

وَحَكَى اللَّهُ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ لِيَكُونَ لُطْفًا لِمَنْ سَمِعَهُ، وَقِيلَ: هُمُ الْمَلَائِكَةُ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

قُرِئَ: "تَتَوَفَّاهُمْ" بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، وَقُرِئَ: "الَّذِينَ تَوَفَّاهُمْ" بِإِدْغَامِ التَّاءِ فِي التَّاءِ.

﴿فَأَلْقَوُا السَّلَمَ﴾[1]: فَسَالَمُوا وَأَخْبَتُوا، وَجَاءُوا بِخِلَافِ مَا كَانُوا عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الشِّقَاقِ وَالْكِبْرِ، وَقَالُوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ﴾[2]، وَجَحَدُوا مَا وُجِدَ مِنْهُمْ مَنِ الْكُفْرِ وَالْعُدْوَانِ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ أُولُو الْعِلْمِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[3]: فَهُوَ يُجَازِيكُمْ عَلَيْهِ، وَهَذَا -أَيْضًا- مِنَ الشَّمَاتَةِ، وَكَذَلِكَ: ﴿فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ﴾[4].

﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5]

﴿خَيْرًا﴾[6]: أَنْزَلَ خَيْرًا.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ نَصَبَ هَذَا وَرَفَعَ الْأَوَّلَ؟

قُلْتُ: فَصْلًا بَيْنَ جَوَابِ الْمُقِرِّ وَجَوَابِ الْجَاحِدِ، يَعْنِي: أَنَّ هَؤُلَاءِ لَمَّا سُئِلُوا لَمْ يَتَلَعْثَمُوا، وَأَطْبَقُوا الْجَوَابَ عَلَى السُّؤَالِ بَيِّنًا مَكْشُوفًا مَفْعُولًا لِلْإِنْزَالِ، فَقَالُوا: خَيْرًا، أَيْ: أَنْزَلَ خَيْرًا، وَأُولَئِكَ عَدَلُوا بِالْجَوَابِ عَنِ السُّؤَالِ، فَقَالُوا: هُوَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ، وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْزَالِ فِي شَيْءٍ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ كَانُوا يَبْعَثُونَ أَيَّامَ الْمَوْسِمِ مَنْ يَأْتِيهِمْ بِخَبَرِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فَإِذَا جَاءَ الْوَافِدُ كَفَّهُ الْمُقْتَسِمُونَ وَأَمَرُوهُ بِالِانْصِرَافِ، وَقَالُوا: إِنْ لَمْ تَلْقَهُ كَانَ خَيْرًا لَكَ، فَيَقُولُ: أَنَا شَرُّ وَافِدٍ إِنْ رَجَعْتُ إِلَى قَوْمِي دُونَ أَنْ أَسْتَطْلِعَ

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

أَمْرَ مُحَمَّدٍ وَأَرَاهُ، فَيَلْقَى أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَيُخْبِرُونَهُ بِصِدْقِهِ، وَأَنَّهُ نَبِيٌّ مَبْعُوثٌ، فَهُمُ الَّذِينَ قَالُوا خَيْرًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾[1]، وَمَا بَعْدَهُ بَدَلٌ مِنْ ﴿خَيْرًا﴾[2]، حِكَايَةٌ لِقَوْلِهِ: الَّذِينَ اتَّقَوْا، أَيْ: قَالُوا هَذَا الْقَوْلَ، فَقَدَّمَ عَلَيْهِ تَسْمِيَتَهُ خَيْرًا، ثُمَّ حَكَاهُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُبْتَدَأً عِدَةً لِلْقَائِلِينَ، وَيُجْعَلُ قَوْلُهُمْ مِنْ جُمْلَةِ إِحْسَانِهِمْ وَيُحْمَدُوا عَلَيْهِ.

﴿حَسَنَةٌ﴾[3]: مُكَافَأَةٌ فِي الدُّنْيَا بِإِحْسَانِهِمْ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾[4].

﴿وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ﴾[5]: دَارُ الْآخِرَةِ، فَحُذِفَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ لِتَقَدُّمِ ذِكْرِهِ، وَ﴿جَنَّاتُ عَدْنٍ﴾[6]: خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْمَخْصُوصُ بِالْمَدْحِ: ﴿طَيِّبِينَ﴾[7]: طَاهِرَيْنِ مِنْ ظُلْمِ أَنْفُسِهِمْ بِالْكُفْرِ وَالْمَعَاصِي، لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَةِ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ.

﴿يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ﴾[8]، قِيلَ: إِذَا أَشْرَفَ الْعَبْدُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْمَوْتِ جَاءَهُ مَلَكٌ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا وَلِيَّ اللَّهِ، اللَّهُ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ، وَبَشَّرَهُ بِالْجَنَّةِ.

﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾[9]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة آلُ عِمْرَانَ، الآية 148.
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .
[9] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ﴾[1]: قُرِئَ بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ، يَعْنِي: أَنْ تَأْتِيَهُمْ لِقَبْضِ الْأَرْوَاحِ.

وَ﴿أَمْرُ رَبِّكَ﴾[2]: الْعَذَابُ الْمُسْتَأْصِلُ، أَوِ الْقِيَامَةُ.

﴿كَذَلِكَ﴾[3]، أَيْ: مِثْلَ ذَلِكَ الْفِعْلِ مِنَ الشِّرْكِ وَالتَّكْذِيبِ.

﴿فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ﴾[4]: بِتَدْمِيرِهِمْ.

﴿وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾[5]، لِأَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا اسْتَوْجَبُوا بِهِ التَّدْمِيرَ.

﴿سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾[6]: جَزَاءُ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِهِمْ، أَوْ هُمْ كَقَوْلِهِ: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾[7].

﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾[8]

هَذَا مِنْ جُمْلَةِ مَا عَدَّدَ مِنْ أَصْنَافِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ، مِنْ شِرْكِهِمْ بِاللَّهِ وَإِنْكَارِ وَحْدَانِيَّتِهِ بَعْدَ قِيَامِ الْحُجَجِ وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَاسْتِعْجَالِهِ، اسْتِهْزَاءً مِنْهُمْ بِهِ وَتَكْذِيبِهِمُ الرَّسُولَ، وَشِقَاقِهِمْ، وَاسْتِكْبَارِهِمْ عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ أَشْرَكُوا بِاللَّهِ وَحَرَّمُوا مَا أَحَلَّ اللَّهُ، مِنَ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَغَيْرِهِمَا، ثُمَّ نَسَبُوا فِعْلَهُمْ إِلَى اللَّهِ وَقَالُوا: لَوْ شَاءَ لَمْ نَفْعَلْ، وَهَذَا مَذْهَبُ الْمُجْبِرَةِ بِعَيْنِهِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ ، الآية .

[7] سورة الشُّورَى، الآية 40.

[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾[1]، أَيْ: أَشْرَكُوا وَحَرَّمُوا حَلَالَ اللَّهِ، فَلَمَّا نُبِّهُوا عَلَى قُبْحِ فِعْلِهِمْ وَرَّكُوهُ عَلَى رَبِّهِمْ.

﴿فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ﴾[2]: إِلَّا أَنْ يُبَلِّغُوا الْحَقَّ، وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَشَاءُ الشِّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ بِالْبَيَانِ وَالْبُرْهَانِ، وَيَطَّلِعُوا عَلَى بُطْلَانِ الشِّرْكِ وَقُبْحِهِ وَبَرَاءَةِ اللَّهِ –تَعَالَى– مِنْ أَفْعَالِ الْعِبَادِ، وَأَنَّهُمْ فَاعِلُوهَا بِقَصْدِهِمْ وَإِرَادَتِهِمْ وَاخْتِيَارِهِمْ، وَاللَّهُ –تَعَالَى– بَاعِثُهُمْ عَلَى جَمِيلِهَا وَمُوَفِّقُهُمْ لَهُ، وَزَاجِرُهُمْ عَنْ قَبِيحِهَا وَمُوعِدُهُمْ عَلَيْهِ.

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾[3]

وَلَقَدْ أَمَدَّ إِبْطَالَ قَدَرِ السُّوءِ وَمَشِيئَةِ الشَّرِّ بِأَنَّهُ مَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا وَقَدْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا يَأْمُرُهُمْ بِالْخَيْرِ الَّذِي هُوَ الْإِيمَانُ وَعِبَادَةُ اللَّهِ، وَبِاجْتِنَابِ الشَّرِّ الَّذِي هُوَ طَاعَةُ الطَّاغُوتِ.

﴿فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ﴾[4]، أَيْ: لَطَفَ بِهِ، لِأَنَّهُ عَرَفَهُ مَنْ أَهْلِ اللُّطْفِ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ﴾[5]، أَيْ: ثَبَتَ عَلَيْهِ الْخِذْلَانُ وَالتَّرْكُ مِنَ اللُّطْفِ، لِأَنَّهُ عَرَفَهُ مُصَمِّمًا عَلَى الْكُفْرِ لَا يَأْتِي مِنْهُ خَيْرٌ.

﴿فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا﴾[6]: مَا فَعَلْتُ بِالْمُكَذِّبِينَ حَتَّى لَا يَبْقَى لَكُمْ شُبْهَةٌ فِي أَنِّي لَا أُقَدِّرُ الشَّرَّ وَلَا أَشَاؤُهُ، حَيْثُ أَفْعَلُ مَا أَفْعَلُ بِالْأَشْرَارِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مَنْ نَاصِرِينَ﴾[1]

ثُمَّ ذَكَرَ عِنَادَ قُرَيْشٍ وَحِرْصَ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى إِيمَانِهِمْ، وَعَرَّفَهُ أَنَّهُمْ مِنْ قِسْمِ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ، وَأَنَّهُ ﴿لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾[2]، أَيْ: لَا يَلْطُفُ مِمَّنْ يُخْذَلُ، لِأَنَّهُ عَبَثٌ، وَاللَّهُ –تَعَالَى– مُتَعَالٍ عَنِ الْعَبَثِ، لِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ الْقَبَائِحِ الَّتِي لَا تَجُوزُ عَلَيْهِ.

وَقُرِئَ: "لَا يهدي"، أَيْ: لَا تَقْدِرُ أَنْتَ وَلَا أَحَدٌ عَلَى هِدَايَتِهِ وَقَدْ خَذَلَهُ اللَّهُ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾[3]: دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْإِضْلَالِ: الْخِذْلَانُ الَّذِي هُوَ نَقِيضُ النُّصْرَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: "لَا يهدي" بِمَعْنَى: لَا يَهْتَدِي، يُقَالُ: هَدَاهُ اللَّهُ فَهُدِيَ.

وَفِي قِرَاءَةِ أُبَيٍّ: "فَإِنَّ اللَّهَ لَا هَادِيَ لِمَنْ يَضِلُّ"، "وَلِمَنْ أَضَلَّ"، وَهِيَ مُعَاضِدَةٌ لِمَنْ قَرَأَ: "لَا يهدي" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

وَفِي قِرَاءَةِ عَبْدِ اللَّهِ: "يَهْدِّي" بِإِدْغَامِ تَاءِ يَهْتَدِي، وَهِيَ مُعَاضِدَةٌ لِلْأَوْلَى.

وَقُرِئَ "يَضِلُّ" بِالْفَتْحِ، وَقَرَأَ النَّخْعِيُّ: "إِنْ تَحْرَصْ" بِفَتْحِ الرَّاءِ، وَهِيَ لُغَيَّةٌ.

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾[4]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾[1]: مَعْطُوفٌ عَلَى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا﴾[2]، إِيذَانًا بِأَنَّهُمَا كُفْرَتَانِ عَظِيمَتَانِ مَوْصُوفَتَانِ، حَقِيقَتَانِ بِأَنْ تُحْكَيَا وَتُدَوَّنَا: تَوْرِيكُ ذُنُوبِهِمْ عَلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ، وَإِنْكَارُهُمُ الْبَعْثَ مُقْسِمِينَ عَلَيْهِ.

وَ﴿بَلَى﴾[3]: إِثْبَاتٌ لِمَا بَعْدَ النَّفْيِ، أَيْ: بَلَى يَبْعَثُهُمْ، وَوَعْدَ اللَّهِ: مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِمَا دَلَّ عَلَيْهِ بَلَى، لِأَنَّ يَبْعَثُ مَوْعِدٌ مِنَ اللَّهِ، وَبَيَّنَ أَنَّ الْوَفَاءَ بِهَذَا الْمَوْعِدِ حَقٌّ وَاجِبٌ عَلَيْهِ فِي الْحِكْمَةِ.

﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾[4]: أَنَّهُمْ يُبْعَثُونَ أَوْ أَنَّهُ وَعْدٌ وَاجِبٌ عَلَى اللَّهِ، لِأَنَّهُمْ يَقُولُونَ: لَا يَجِبُ عَلَى اللَّهِ شَيْءٌ، لَا ثَوَابُ عَامِلٍ وَلَا غَيْرَهُ مِنَ مَوَاجِبِ الْحِكْمَةِ.

﴿لِيُبَيِّنَ لَهُمُ﴾[5]: مُتَعَلِّقٌ بِمَا دَلَّ عَلَيْهِ.

﴿بَلَى﴾، أَيْ: يَبْعَثُهُمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ، وَالضَّمِيرُ: لِمَنْ يَمُوتُ، وَهُوَ عَامٌّ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ، وَالَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ هُوَ الْحَقُّ.

﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ﴾[6]: كَذَبُوا فِي قَوْلِهِمْ: لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ، وَفِي قَوْلِهِمْ: لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ.

وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا﴾[7]، أَيْ: بَعَثْنَاهُ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى الضَّلَالَةِ قَبْلَهُ، مُفْتَرِينَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ.

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[8]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿قَوْلُنَا﴾[1]: مُبْتَدَأٌ، وَ﴿أَنْ نَقُولَ﴾[2]: خَبَرُهُ، ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾[3]: مِنْ كَانَ التَّامَّةِ الَّتِي بِمَعْنَى: الْحُدُوثِ وَالْوُجُودِ، أَيْ: إِذَا أَرَدْنَا وُجُودَ شَيْءٍ، فَلَيْسَ إِلَّا أَنْ نَقُولَ لَهُ: احْدُثْ، فَهُوَ يَحْدُثُ عَقِيبَ ذَلِكَ لَا يَتَوَقَّفُ.

وَهَذَا مَثَلٌ لِأَنَّ مُرَادًا لَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ، وَأَنَّ وُجُودَهُ عِنْدَ إِرَادَتِهِ –تَعَالَى– غَيْرُ مُتَوَقِّفٍ، كَوُجُودِ الْمَأْمُورِ بِهِ عِنْدَ أَمْرِ الْآمِرِ الْمُطَاعِ إِذَا وَرَدَ عَلَى الْمَأْمُورِ الْمُطِيعِ الْمُمْتَثِلِ، وَلَا قَوْلَ: ثُمَّ.

وَالْمَعْنَى: أَنَّ إِيجَادَ كُلِّ مَقْدُورٍ عَلَى اللَّهِ –تَعَالَى– بِهَذِهِ السُّهُولَةِ، فَكَيْفَ يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ الْبَعْثُ الَّذِي هُوَ مِنْ شِقِّ الْمَقْدُورَاتِ.

وَقُرِئَ: ﴿فَيَكُونُ﴾[4]، عَطْفًا عَلَى: ﴿نَّقُولُ﴾[5].

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾[6]

﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا﴾[7]: هُمْ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَأَصْحَابُهُ، ظَلَمَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ، فَفَرُّوا بِدِينِهِمْ إِلَى اللَّهِ، مِنْهُمْ: مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ ثُمَّ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَجَمَعَ بَيْنَ الْهِجْرَتَيْنِ؛ وَمِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

وَقِيلَ: هُمُ الَّذِينَ كَانُوا مَحْبُوسِينَ مُعَذَّبِينَ بَعْدَ هِجْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، وَكُلَّمَا خَرَجُوا تَبِعُوهُمْ فَرَدُّوهُمْ، مِنْهُمْ: بِلَالٌ، وَصُهَيْبٌ، وَخَبَّابٌ، وَعَمَّارٌ.

وَعَنْ صُهَيْبٍ أَنَّهُ قَالَ لَهُمْ: أَنَا رَجُلٌ كَبِيرٌ، إِنْ كُنْتُ مَعَكُمْ لَمْ أَنْفَعْكُمْ، وَإِنْ كُنْتُ عَلَيْكُمْ لَمْ أَضُرَّكُمْ، فَافْتَدَى مِنْهُمْ بِمَالِهِ وَهَاجَرَ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– قَالَ لَهُ:

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

رَبِحَ الْبَيْعُ يَا صُهَيْبُ، وَقَالَ لَهُ عُمَرُ: نَعِمَ الرَّجُلُ صُهَيْبٌ، لَوْ لَمْ يَخِفِ اللَّهَ لَمْ يَعْصِهِ، وَهُوَ ثَنَاءٌ عَظِيمٌ: يُرِيدُ لَوْ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ نَارًا لَأَطَاعَهُ، فَكَيْفَ: ﴿فِي اللَّهِ﴾[1]: فِي حَقِّهِ وَلِوَجْهِهِ.

﴿حَسَنَةً﴾[2]: صِفَةٌ لِلْمَصْدَرِ، أَيْ: لَنُبَوِّأَنَّهُمْ تَبْوِئَةً حَسَنَةً، وَفِي قِرَاءَةِ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: "لَنُثْوِيَنَّهُمْ"، وَمَعْنَاهُ: أَثْوِأَةً حَسَنَةً، وَقِيلَ: لَنُنْزِلَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا مَنْزِلَةً حَسَنَةً، وَهِيَ الْغَلَبَةُ عَلَى أَهْلِ مَكَّةَ الَّذِينَ ظَلَمُوهُمْ، وَعَلَى الْعَرَبِ قَاطِبَةً، وَعَلَى أَهْلِ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَعْطَى رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ عَطَاءً، قَالَ: خُذْ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِيهِ، هَذَا مَا وَعَدَكَ رَبُّكَ فِي الدُّنْيَا، وَمَا ذَخَرَ لَكَ فِي الْآخِرَةِ أَكْثَرُ، وَقِيلَ: لَنُبَوِّأَنَّهُمْ مَبَاءَةً حَسَنَةً، وَهِيَ: الْمَدِينَةُ، حَيْثُ آوَاهُمْ أَهْلُهَا وَنَصَرُوهُمْ.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[3]: الضَّمِيرُ: لِلْكُفَّارِ، أَيْ: لَوْ عَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَجْمَعُ لِهَؤُلَاءِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَيْدِيهِمُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ، لَرَغِبُوا فِي دِينِهِمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَى الْمُهَاجِرِينَ، أَيْ: لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ذَلِكَ، لَزَادُوا فِي اجْتِهَادِهِمْ وَصَبْرِهِمْ.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾[4] عَلَى: هُمُ الَّذِينَ صَبَرُوا، أَوْ: أَعْنِي الَّذِينَ صَبَرُوا، وَكِلَاهُمَا مَدْحٌ، أَيْ: صَبَرُوا عَلَى الْعَذَابِ وَعَلَى مُفَارَقَةِ الْوَطَنِ الَّذِي هُوَ حَرَمُ اللَّهِ الْمَحْبُوبُ فِي كُلِّ قَلْبٍ، فَكَيْفَ بِقُلُوبِ قَوْمٍ هُوَ مَسْقَطُ رُؤُوسِهِمْ، وَعَلَى الْمُجَاهَدَةِ وَبَذْلِ الْأَرْوَاحِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟!

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

قَالَتْ قُرَيْشٌ: اللَّهُ أَعْظَمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُ بَشَرًا، فَقِيلَ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾[1]: عَلَى أَلْسِنَةِ الْمَلَائِكَةِ.

﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[2]: وَهُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ، لِيُعَلِّمُوكُمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ إِلَى الْأُمَمِ السَّالِفَةِ إِلَّا بَشَرًا.

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿بِالْبَيِّنَاتِ﴾[3]؟

قُلْتُ: لَهُ مُتَعَلِّقَاتٌ شَتَّى، فَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِمَا أَرْسَلْنَا دَاخِلًا تَحْتَ حُكْمِ الِاسْتِثْنَاءِ مَعَ رِجَالًا أَيْ: وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَّا رِجَالًا بِالْبَيِّنَاتِ، كَقَوْلِكَ: مَا ضَرَبْتُ إِلَّا زَيْدًا بِالسَّوْطِ، لِأَنَّ أَصْلَهُ: ضَرَبْتُ زَيْدًا بِالسَّوْطِ وَإِمَّا: بِـ ﴿رِجَالًا﴾[4]، صِفَةً لَهُ: أَيْ: رِجَالًا مُلْتَبِسَيْنِ بِالْبَيِّنَاتِ، وَإِمَّا بِأَرْسَلْنَا مُضْمَرًا، كَأَنَّمَا قِيلَ: بِمَا أُرْسِلُوا؟ فَقُلْتُ: بِالْبَيِّنَاتِ، فَهُوَ عَلَى كَلَامَيْنِ، وَالْأَوَّلُ عَلَى كَلَامٍ وَاحِدٍ، وَإِمَّا بِيُوحِي، أَيْ: يُوحِي إِلَيْهِمْ بِالْبَيِّنَاتِ، وَإِمَّا بِلَا تَعْلَمُونَ، عَلَى أَنَّ الشَّرْطَ فِي مَعْنَى التَّبْكِيتِ وَالْإِلْزَامِ، كَقَوْلِ الْأَجِيرِ: إِنْ كُنْتُ عَمِلْتُ لَكَ فَأَعْطِنِي حَقِّي.

وَقَوْلُهُ: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ﴾[5]: اعْتِرَاضٌ عَلَى الْوُجُوهِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَأَهْلُ الذِّكْرِ: أَهْلُ الْكِتَابِ، وَقِيلَ لِلْكِتَابِ الذِّكْرُ، لِأَنَّهُ مَوْعِظَةٌ وَتَنْبِيهٌ لِلْغَافِلِينَ، ﴿مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[6]، يَعْنِي: مَا نَزَّلَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ فِي الذِّكْرِ مِمَّا أُمِرُوا بِهِ وَنُهُوا عَنْهُ وَوُعِدُوا وَأُوعِدُوا.

﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[7]: وَإِرَادَةَ أَنْ يُصْغُوا إِلَى تَنْبِيهَاتِهِ فَيَتَنَبَّهُوا وَيَتَأَمَّلُوا.

﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[8]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ﴾[1]، أَيْ: الْمَكَرَاتِ السَّيِّئَاتِ، وَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ، وَمَا مَكَرُوا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾[2]: مُتَقَلِّبِينَ فِي مَسَايِرِهِمْ وَمَتَاجِرِهِمْ وَأَسْبَابِ دُنْيَاهُمْ.

﴿عَلَى تَخَوُّفٍ﴾[3]: مُتَخَوِّفِينَ، وَهُوَ أَنْ يُهْلِكَ قَوْمًا قَبْلَهُمْ فَيَتَخَوَّفُوا، فَيَأْخُذَهُمْ بِالْعَذَابِ، وَهُمْ مُتَخَوِّفُونَ مُتَوَقِّعُونَ.

وَهُوَ خِلَافُ قَوْلِهِ: ﴿مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ﴾[4]، وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِكَ: تَخَوَّفْتُهُ وَتَخَوَّنْتُهُ، إِذَا تَنَقَّصْتَهُ.

قَالَ زُهَيْرٌ:

تَخَوَّفَ الرَّحْلُ مِنْهَا تَامِكًا قَرِدًا... كَمَا تَخَوَّفَ عُودُ النَّبْعَةِ السَّفَنُ

أَيْ: يَأْخُذُهُمْ عَلَى أَنْ يَتَنَقَّصَهُمْ شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ فِي أَنْفُسِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ حَتَّى يَهْلَكُوا.

وَعَنْ عُمَرَ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– أَنَّهُ قَالَ عَلَى الْمِنْبَرِ: مَا تَقُولُونَ فِيهَا؟ فَسَكَتُوا فَقَامَ شَيْخٌ مِنْ هُذَيْلٍ، فَقَالَ: هَذِهِ لُغَتُنَا: التَّخَوُّفُ: التَّنَقُّصُ، قَالَ: فَهَلْ تَعْرِفُ الْعَرَبُ ذَلِكَ فِي أَشْعَارِهَا؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ شَاعِرُنَا، وَأَنْشَدَ الْبَيْتَ، فَقَالَ عُمَرُ: أَيُّهَا النَّاسُ، عَلَيْكُمْ بِدِيوَانِكُمْ لَا يَضِلُّ، قَالُوا: وَمَا دِيوَانُنَا؟ قَالَ: شِعْرُ الْجَاهِلِيَّةِ، فَإِنَّ فِيهِ تَفْسِيرَ كِتَابِكُمْ.

﴿فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾[5]: حَيْثُ يَحْلُمُ عَنْكُمْ، وَلَا يُعَاجِلُكُمْ مَعَ اسْتِحْقَاقِكُمْ.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[6]

قُرِئَ: "أَوْ لَمْ يَرَوْا" وَ"يَتَفَيَّؤُا" بِالْيَاءِ وَالتَّاءِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَ"مَا": مَوْصُولَةٌ بِخَلْقِ اللَّهِ، وَهُوَ مُبْهَمٌ بَيَانُهُ.

﴿مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ﴾[1]، وَالْيَمِينُ: بِمَعْنَى الْأَيْمَانِ.

وَ﴿سُجَّدًا﴾[2]: حَالٌ مِنَ الظِّلَالِ.

﴿وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾[3]: حَالٌ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ظِلَالِهِ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ وَهُوَ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ ظِلٌّ، وَجُمِعَ بِالْوَاوِ، لِأَنَّ الدُّخُورَ مِنْ أَوْصَافِ الْعُقَلَاءِ، أَوْ لِأَنَّ فِي جُمْلَةِ ذَلِكَ مِنْ يَعْقِلُ فَغُلِّبَ.

وَالْمَعْنَى: أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنَ الْأَجْرَامِ الَّتِي لَهَا ظِلَالٌ مُتَفَيِّئَةٌ عَنْ أَيْمَانِهَا وَشَمَائِلِهَا، أَيْ: عَنْ جَانِبَيْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا، وَشِقَّيْهِ اسْتِعَارَةً مِنْ يَمِينِ الْإِنْسَانِ وَشِمَالِهِ لِجَانِبَيِ الشَّيْءِ، أَيْ: تَرْجِعُ الظِّلَالُ مِنْ جَانِبٍ إِلَى جَانِبٍ مُنْقَادَةً لِلَّهِ، غَيْرَ مُمْتَنِعَةٍ عَلَيْهِ فِيمَا سَخَّرَهَا لَهُ مِنَ التَّفَيُّؤِ، وَالْأَجْرَامُ فِي أَنْفُسِهَا دَاخِرَةٌ –أَيْضًا– صَاغِرَةً مُنْقَادَةً لِأَفْعَالِ اللَّهِ فِيهَا، لَا تَمْتَنِعُ.

﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4]

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾[5]: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَيَانًا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا، عَلَى أَنَّ فِي السَّمَوَاتِ خَلْقًا لِلَّهِ يَدِبُّونَ فِيهَا كَمَا يَدِبُّ الْأَنَاسِيُّ فِي الْأَرْضِ، وَأَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِمَا فِي الْأَرْضِ وَحْدَهُ، وَيُرَادُ بِـ ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾[6]: الْخَلْقُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: الرُّوحُ، وَأَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِمَا فِي الْأَرْضِ وَحْدَهُ، وَيُرَادُ بِـ ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾[7]: الْمَلَائِكَةُ، وَكَرَّرَ ذِكْرَهُمْ عَلَى مَعْنَى: وَالْمَلَائِكَةُ خُصُوصًا مِنْ بَيْنِ السَّاجِدِينَ، لِأَنَّهُمْ أَطْوَعُ الْخَلْقِ وَأَعْبَدُهُمْ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِـ ﴿مَا فِي السَّمَوَاتِ﴾[1]: مَلَائِكَتُهُنَّ، وَبِقَوْلِهِ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ﴾[2]: مَلَائِكَةُ الْأَرْضِ مِنَ الْحَفَظَةِ وَغَيْرِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: سُجُودُ الْمُكَلَّفِينَ مِمَّا انْتَظَمَهُ هَذَا الْكَلَامُ خِلَافُ سُجُودِ غَيْرِهِمْ، فَكَيْفَ عَبَّرَ عَنِ النَّوْعَيْنِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ؟

قُلْتُ: الْمُرَادُ بِسُجُودِ الْمُكَلَّفِينَ: طَاعَتُهُمْ وَعِبَادَتُهُمْ، وَبِسُجُودِ غَيْرِهِمْ: انْقِيَادُهُ لِإِرَادَةِ اللَّهِ وَأَنَّهَا غَيْرُ مُمْتَنِعَةٍ عَلَيْهَا، وَكِلَا السُّجُودَيْنِ يَجْمَعُهَا مَعْنَى الِانْقِيَادِ فَلَمْ يَخْتَلِفَا، فَلِذَلِكَ جَازَ أَنْ يُعَبِّرَ عَنْهُمَا بِلَفْظٍ وَاحِدٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَهَلَّا جِيءَ بِمَنْ دُونَ ﴿مَا﴾[3] تَغْلِيبًا لِلْعُقَلَاءِ مِنَ الدَّوَابِّ عَلَى غَيْرِهِمْ؟

قُلْتُ: لِأَنَّهُ لَوْ جِيءَ بِمَنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى التَّغْلِيبِ، فَكَانَ مُتَنَاوِلًا لِلْعُقَلَاءِ خَاصَّةً، فَجِيءَ بِمَا هُوَ صَالِحٌ لِلْعُقَلَاءِ وَغَيْرِهِمْ، إِرَادَةَ الْعُمُومِ.

﴿يَخَافُونَ﴾[4]: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾[5]، أَيْ: لَا يَسْتَكْبِرُونَ خَائِفِينَ، وَأَنْ يَكُونَ بَيَانًا لِنَفْيِ الِاسْتِكْبَارِ وَتَأْكِيدًا لَهُ، لِأَنَّ مَنْ خَافَ اللَّهَ لَمْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ.

﴿مِنْ فَوْقِهِمْ﴾[6]: إِنْ عَلَّقْتَهُ بِيَخَافُونَ، فَمَعْنَاهُ: يَخَافُونَهُ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْهِمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِهِمْ، وَإِنْ عَلَّقْتَهُ بِرَبِّهِمْ حَالًا مِنْهُ؛ فَمَعْنَاهُ: يَخَافُونَ رَبَّهُمْ عَالِيًا لَهُمْ قَاهِرًا، كَقَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[7].

﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾[8]: وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْمَلَائِكَةَ مُكَلَّفُونَ مُدَارُونَ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْوَعْدِ وَالْوَعِيدِ كَسَائِرِ الْمُكَلَّفِينَ، وَأَنَّهُمْ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 61.

[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: إِنَّمَا جَمَعُوا بَيْنَ الْعَدَدِ وَالْمَعْدُودِ فِيمَا وَرَاءَ الْوَاحِدِ وَالِاثْنَيْنِ، فَقَالُوا عِنْدِي رِجَالٌ ثَلَاثَةٌ وَأَفْرَاسٌ أَرْبَعَةٌ، لِأَنَّ الْمَعْدُودَ عَارٍ عَنِ الدَّلَالَةِ عَلَى الْعَدَدِ الْخَاصِّ.

وَأَمَّا رَجُلٌ وَرَجُلَانِ وَفَرَسٌ وَفَرَسَانِ، فَمَعْدُودَانِ فِيهِمَا دَلَالَةٌ عَلَى الْعَدَدِ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَى أَنْ يُقَالَ: رَجُلٌ وَاحِدٌ وَرَجُلَانِ اثْنَانِ، فَمَا وَجْهُ قَوْلِهِ إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ؟

قُلْتُ: الِاسْمُ الْحَامِلُ لِمَعْنَى الْإِفْرَادِ وَالتَّثْنِيَةِ دَالٌّ عَلَى شَيْئَيْنِ: عَلَى الْجِنْسِيَّةِ وَالْعَدَدِ الْمَخْصُوصِ، فَإِذَا أُرِيدَتِ الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ الْمَعْنِيَّ بِهِ مِنْهُمَا، وَالَّذِي يُسَاقُ إِلَيْهِ الْحَدِيثُ هُوَ الْعَدَدُ شُفِعَ بِمَا يُؤَكِّدُهُ، فَدَلَّ بِهِ عَلَى الْقَصْدِ إِلَيْهِ وَالْعِنَايَةِ بِهِ.

أَلَا تَرَى أَنَّكَ لَوْ قُلْتَ: إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ، وَلَمْ تُؤَكِّدْهُ بِوَاحِدٍ: لَمْ يَحْسُنْ، وَخُيِّلَ أَنَّكَ تُثْبِتُ إِلَّالَهِيَّةَ لَا الْوَحْدَانِيَّةَ؟

﴿فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾[2]: نَقَلَ لِلْكَلَامِ عَنِ الْغَيْبَةِ إِلَى التَّكَلُّمِ، وَجَازَ لِأَنَّ الْغَالِبَ هُوَ الْمُتَكَلِّمُ، وَهُوَ مِنْ طَرِيقَةِ الِالْتِفَاتِ، وَهُوَ أَبْلَغُ فِي التَّرْهِيبِ مِنْ قَوْلِهِ: وَإِيَّاهُ فَارْهَبُوهُ، وَمِنْ أَنْ يَجِيءَ مَا قَبْلَهُ عَلَى لَفْظِ الْمُتَكَلِّمِ.

﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾[3]

الدِّينِ: الطَّاعَةُ.

﴿وَاصِبًا﴾[4]: حَالٌ عَمِلَ فِيهِ الظَّرْفُ، وَالْوَاصِبُ: الْوَاجِبُ الثَّابِتُ، لِأَنَّ كُلَّ نِعْمَةٍ مِنْهُ فَالطَّاعَةُ وَاجِبَةٌ لَهُ عَلَى كُلِّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْوَصْبِ، أَيْ: وَلَهُ الدِّينُ ذَا كُلْفَةٍ وَمَشَقَّةٍ، وَلِذَلِكَ سُمِّيَ تَكْلِيفًا، أَوْ: وَلَهُ الْجَزَاءُ ثَابِتًا دَائِمًا سَرْمَدًا لَا يَزُولُ، يَعْنِي: الثَّوَابَ وَالْعِقَابَ.

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[1]

﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ﴾[2]: وَأَيُّ شَيْءٍ حَلَّ بِكُمْ، أَوِ اتَّصَلَ بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ، فَهُوَ مِنَ اللَّهِ، ﴿فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾[3]: فَمَا تَتَضَرَّعُونَ إِلَّا إِلَيْهِ.

وَالْجُؤَارُ: رَفْعُ الصَّوْتِ بِالدُّعَاءِ وَالِاسْتِغَاثَةِ.

قَالَ الْأَعْشَى يَصِفُ رَاهِبًا:

يُرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِي... كَ طَوْرًا سُجُودًا وَطَوْرًا جُؤَارَا

وَقُرِئَ: "تَجَرُونَ" بِطَرْحِ الْهَمْزَةِ وَإِلْقَاءِ حَرَكَتِهَا عَلَى الْجِيمِ، وَقَرَأَ قَتَادَةُ: "كَاشَفَ الضُّرَّ" عَلَى: فَاعَلَ بِمَعْنَى فَعَلَ، وَهُوَ أَقْوَى مِنْ كَشَفَ، لِأَنَّ بِنَاءَ الْمُغَالَبَةِ يَدُلُّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ﴾[4]؟

قُلْتُ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾[5] عَامًّا، وَيُرِيدُ بِالْفَرِيقِ: فَرِيقَ الْكَفَرَةِ، وَأَنْ يَكُونَ الْخِطَابُ لِلْمُشْرِكِينَ، وَمِنْكُمْ لِلْبَيَانِ، لَا لِلتَّبْعِيضِ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَإِذَا فَرِيقٌ كَافِرٌ، وَهُمْ أَنْتُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِيهِمْ مَنِ اعْتَبَرَ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ﴾[6].

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة لُقْمَانُ، الآية 32.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾[1]: مِنْ نِعْمَةِ الْكَشْفِ عَنْهُمْ، كَأَنَّهُمْ جَعَلُوا غَرَضَهُمْ فِي الشِّرْكِ كُفْرَانَ النِّعْمَةِ.

﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[2]: تَخْلِيَةٌ وَوَعِيدٌ.

وَقُرِئَ: "فَيُمَتَّعُوا" بِالْيَاءِ مَبْنِيًّا لِلْمَفْعُولِ، عَطْفًا عَلَى: ﴿لِيَكْفُرُوا﴾[3].

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: لِيَكْفُرُوا فَيُمَتَّعُوا، مِنَ الْأَمْرِ الْوَارِدِ فِي مَعْنَى: الْخِذْلَانِ وَالتَّخْلِيَةِ، وَاللَّامُ لَامُ الْأَمْرِ.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾[4]

﴿لِمَا لا يَعْلَمُونَ﴾[5]، أَيْ: لِآلِهَتِهِمْ، وَمَعْنَى: لَا يَعْلَمُونَهَا: أَنَّهُمْ يُسَمُّونَهَا آلِهَةً، وَيَعْتَقِدُونَ فِيهَا أَنَّهَا تَضُرُّ وَتَنْفَعُ وَتَشْفَعُ عِنْدَ اللَّهِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، وَحَقِيقَتُهَا أَنَّهَا جَمَادٌ لَا يَضُرُّ وَلَا يَنْفَعُ، فَهُمْ إِذًا جَاهِلُونَ بِهَا.

وَقِيلَ: الضَّمِيرُ فِي ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾[6]: لِلْآلِهَةِ، أَيْ: لِأَشْيَاءَ غَيْرِ مَوْصُوفَةٍ بِالْعِلْمِ، وَلَا تَشْعُرُ أَجَعَلُوا لَهَا نَصِيبًا فِي أَنْعَامِهِمْ وَزُرُوعِهِمْ أَمْ لَا؟ وَكَانُوا يَجْعَلُونَ لَهُمْ ذَلِكَ تَقَرُّبًا إِلَيْهِمْ.

﴿لَتُسْأَلُنَّ﴾[7]: وَعِيدٌ.

﴿عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾[8]: مِنَ الْإِفْكِ فِي زَعْمِكُمْ أَنَّهَا آلِهَةٌ، وَأَنَّهَا أَهْلٌ لِلتَّقَرُّبِ إِلَيْهَا .

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1]

كَانَتْ خُزَاعَةُ وَكِنَانَةُ تَقُولُ: الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ.

﴿سُبْحَانَهُ﴾[2]: تَنْزِيهٌ لِذَاتِهِ مِنْ نِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ، أَوْ تَعَجُّبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ﴾[3]، يَعْنِي: الْبَنِينَ.

وَيَجُوزُ فِي: ﴿مَا يَشْتَهُونَ﴾[4]: الرَّفْعُ عَلَى الِابْتِدَاءِ، وَالنَّصْبُ عَلَى أَنْ يَكُونَ مَعْطُوفًا عَلَى الْبَنَاتِ، أَيْ: وَجَعَلُوا لِأَنْفُسِهِمْ مَا يَشْتَهُونَ مِنَ الذُّكُورِ.

وَ﴿ظَلَّ﴾[5] بِمَعْنَى: صَارَ، كَمَا يُسْتَعْمَلُ بَاتَ وَأَصْبَحَ وَأَمْسَى بِمَعْنَى: الصَّيْرُورَةِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَجِيءَ ظَلَّ، لِأَنَّ أَكْثَرَ الْوَضْعِ يَتَّفِقُ بِاللَّيْلِ، فَيَظَلُّ نَهَارُهُ مُغْتَمًّا مُرْبَدَ الْوَجْهِ مِنَ الْكَآبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنَ النَّاسِ.

﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾[6]: مَمْلُوءٌ حَنَقًا عَلَى الْمَرْأَةِ.

﴿يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ﴾[7]: يَسْتَخْفِي مِنْهُمْ، ﴿مِنْ﴾[8]: أَجْلِ، ﴿سُوءِ﴾[9]: الْمُبَشَّرِ بِهِ، وَمِنْ أَجْلِ تَعْيِيرِهِمْ، وَيُحَدِّثُ نَفْسَهُ وَيَنْظُرُ أَيُمْسِكُ مَا بُشِّرَ بِهِ.

﴿عَلَى هُونٍ﴾[10]: عَلَى هَوَانٍ وَذُلٍّ.

﴿أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ﴾[11]: أَمْ يَئِدُهُ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .
[9] سورة النَّحْلِ، الآية .
[10] سورة النَّحْلِ، الآية .
[11] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَقُرِئَ: "أَيُمْسِكُهَا عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهَا": عَلَى التَّأْنِيثِ.

وَقُرِئَ: "عَلَى هَوَانٍ".

﴿أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾[1]، حَيْثُ يَجْعَلُونَ الْوَلَدَ الَّذِي هَذَا مَحَلُّهُ عِنْدَهُمْ لِلَّهِ، وَيَجْعَلُونَ لِأَنْفُسِهِمْ مَنْ هُوَ عَلَى عَكْسِ هَذَا الْوَصْفِ.

﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[2]

﴿مَثَلُ السَّوْءِ﴾[3]: صِفَةُ السَّوْءِ: وَهِيَ الْحَاجَةُ إِلَى الْأَوْلَادِ الذُّكُورِ وَكَرَاهَةُ الْإِنَاثِ وَوَأْدُهُنَّ خَشْيَةَ الْإِمْلَاقِ، وَإِقْرَارُهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ بِالشُّحِّ الْبَالِغِ.

﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى﴾[4]: وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنِ الْعَالَمِينَ، وَالنَّزَاهَةُ عَنْ صِفَاتِ الْمَخْلُوقِينَ وَهُوَ الْجَوَادُ الْكَرِيمُ.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾[5]

﴿بِظُلْمِهِمْ﴾[6]: بِكُفْرِهِمْ وَمَعَاصِيهِمْ.

﴿مَا تَرَكَ عَلَيْهَا﴾[7]، أَيْ: عَلَى الْأَرْضِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿مِنْ دَابَّةٍ﴾[1]: قَطُّ وَلَأَهْلَكَهَا كُلَّهَا بِشُؤْمِ ظُلْمِ الظَّالِمِينَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: إِنَّ الظَّالِمَ لَا يَضُرُّ إِلَّا نَفْسَهُ، فَقَالَ: بَلَى وَاللَّهِ، حَتَّى أَنَّ الْحُبَارَى لَتَمُوتُ فِي وَكْرِهَا بِظُلْمِ الظَّالِمِ.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: كَادَ الْجُعْلُ يَهْلَكُ فِي جُحْرِهِ بِذَنْبِ ابْنِ آدَمَ، أَوْ مِنْ دَابَّةٍ ظَالِمَةٍ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ "مِنْ دَابَّةٍ": مِنْ مُشْرِكٍ يَدِبُّ عَلَيْهَا، وَقِيلَ: لَوْ أَهْلَكَ الْآبَاءَ بِكُفْرِهِمْ لَمْ تَكُنِ الْأَبْنَاءُ.

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾[2]

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ﴾[3]: لِأَنْفُسِهِمْ مِنَ الْبَنَاتِ وَمِنْ شُرَكَاءَ فِي رِيَاسَتِهِمْ، وَمِنَ الِاسْتِخْفَافِ بِرُسُلِهِمْ، وَالتَّهَاوُنِ بِرِسَالَاتِهِمْ، وَيَجْعَلُونَ لَهُ أَرْذَلَ أَمْوَالِهِمْ وَلِأَصْنَامِهِمْ أَكْرَمَهَا.

﴿وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ﴾[4]: مَعَ ذَلِكَ، ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾[5]: عِنْدَ اللَّهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى﴾[6].

وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ لِرَجُلٍ مِنْ ذَوِي الْيَسَارِ: كَيْفَ تَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِذَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: هَاتُوا مَا دَفَعَ إِلَى السَّلَاطِينِ وَأَعْوَانِهِمْ، فَيُؤْتَى بِالدَّوَابِّ وَالثِّيَابِ وَأَنْوَاعِ الْأَمْوَالِ الْفَاخِرَةِ، وَإِذَا قَالَ: هَاتُوا مَا دَفَعَ إِلَيَّ فَيُؤْتَى بِالْكِسَرِ وَالْخِرَقِ وَمَا لَا يَؤْبَهُ لَهُ، أَمَا تَسْتَحِي مِنْ ذَلِكَ الْمَوْقِفِ؟ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ.

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى﴾[7]، هُوَ قَوْلُ قُرَيْشٍ: لَنَا الْبَنُونَ، وَأَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى: بَدَلٌ مِنَ الْكَذِبِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة فُصِّلَتْ، الآية 50.

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَقُرِئَ: "الْكُذُبُ" جَمْعُ كَذُوبٍ، صِفَةٌ لِلْأَلْسِنَةِ.

﴿مُفْرَطُونَ﴾[1] قُرِئَ: مَفْتُوحَ الرَّاءِ وَمَكْسُورَهَا مُخَفَّفًا وَمُشَدَّدًا، فَالْمَفْتُوحُ بِمَعْنَى: مُقَدَّمُونَ إِلَى النَّارِ مُعَجَّلُونَ إِلَيْهَا، مِنْ أَفْرَطْتُ فُلَانًا، وَفَرَّطْتُهُ فِي طَلَبِ الْمَاءِ، إِذَا قَدَّمْتَهُ، وَقِيلَ: مَنْسِيُّونَ مَتْرُوكُونَ، مِنْ أَفْرَطْتُ فُلَانًا خَلْفِي إِذَا خَلَّفْتَهُ وَنَسِيتَهُ، وَالْمَكْسُورُ الْمُخَفَّفُ، مِنَ الْإِفْرَاطِ فِي الْمَعَاصِي، وَالْمُشَدَّدُ، مِنَ التَّفْرِيطِ فِي الطَّاعَاتِ وَمَا يَلْزَمُهُمْ.

﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]

﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾[3]: حِكَايَةُ الْحَالِ الْمَاضِيَةِ الَّتِي كَانَ يُزَيِّنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا، أَوْ فَهُوَ وَلِيُّهُمْ فِي الدُّنْيَا فَجَعَلَ الْيَوْمَ عِبَارَةً عَنْ زَمَانِ الدُّنْيَا.

وَمَعْنَى: ﴿وَلِيُّهُمْ﴾[4]: قَرِينُهُمْ وَبِئْسَ الْقَرِينُ، أَوْ يُجْعَلُ: ﴿فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ﴾[5]: حِكَايَةً لِلْحَالِ الْآتِيَةِ، وَهِيَ حَالُ كَوْنِهِمْ مُعَذَّبِينَ فِي النَّارِ، أَيْ: فَهُوَ نَاصِرُهُمُ الْيَوْمَ لَا نَاصِرَ لَهُمْ غَيْرُهُ، نَفْيًا لِلنَّاصِرِ لَهُمْ عَلَى أَبْلَغِ الْوُجُوهِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ إِلَى مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، أَنَّهُ زَيَّنَ لِلْكُفَّارِ قَبْلَهُمْ أَعْمَالَهُمْ، فَهُوَ وَلِيُّ هَؤُلَاءِ: لِأَنَّهُمْ مِنْهُمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَذْفِ الْمُضَافِ، أَيْ: فَهُوَ وَلِيُّ أَمْثَالِهِمُ الْيَوْمَ.

﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾[6]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾[1]: مَعْطُوفَانِ عَلَى مَحَلِّ: "لِتُبَيِّنَ"، إِلَّا أَنَّهُمَا انْتَصَبَا عَلَى أَنَّهُمَا مَفْعُولٌ لَهُمَا، لِأَنَّهُمَا فِعْلَا الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ، وَدَخَلَ اللَّامُ عَلَى لِتَبَيُّنَ، لِأَنَّهُ فِعْلُ الْمُخَاطَبِ لَا فِعْلُ الْمُنَزِّلِ. وَإِنَّمَا يَنْتَصِبُ مَفْعُولًا لَهُ مَا كَانَ فِعْلَ فَاعِلِ الْفِعْلِ الْمُعَلَّلِ.

وَالَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ: الْبَعْثُ، لِأَنَّهُ كَانَ فِيهِمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، وَمِنْهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَأَشْيَاءُ مِنَ التَّحْرِيمِ وَالْإِنْكَارِ وَالْإِقْرَارِ.

لِقَوْمٍ ﴿يَسْمَعُونَ﴾[2]: سَمَاعَ إِنْصَافٍ وَتَدَبُّرٍ، لِأَنَّ مَنْ لَمْ يَسْمَعْ بِقَلْبِهِ، فَكَأَنَّهُ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ.

﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾[3]

ذَكَرَ سِيبَوَيْهِ الْأَنْعَامَ فِي بَابِ مَا لَا يَنْصَرِفُ فِي الْأَسْمَاءِ الْمُفْرَدَةِ الْوَارِدَةِ عَلَى أَفْعَالٍ، كَقَوْلِهِمْ: ثَوْبٌ أَكْيَاشٌ، وَلِذَلِكَ رَجَعَ الضَّمِيرُ إِلَيْهِ مُفْرَدًا.

وَأَمَّا "فِي بُطُونِهَا": فِي سُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ، فَلِأَنَّ مَعْنَاهُ: الْجَمْعُ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ فِي الْأَنْعَامِ وَجْهَانِ:

– أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ تَكْثِيرَ نَعَمٍ كَأَجْبَالٍ فِي جَبَلٍ.

– وَأَنْ يَكُونَ اسْمًا مُفْرَدًا مُقْتَضِيًا لِمَعْنَى الْجَمْعِ كَنَعَمٍ، فَإِذَا ذُكِّرَ فَكَمَا يُذَكَّرُ "نَعَمٌ" فِي قَوْلِهِ:

فِي كُلِّ عَامٍ نَعَمٌ تَحْوُونَهُ... يُلْقِحُهُ قَوْمٌ وَتَنْتِجُونَهُ

وَإِذَا أَنَّثَ فَفِيهِ وَجْهَانِ: أَنَّهُ تَكْسِيرُ نَعَمٍ، وَأَنَّهُ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ.

وَقُرِئَ: "نَسْقِيكُمْ": بِالْفَتْحِ وَالضَّمِّ، وَهُوَ اسْتِئْنَافٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: كَيْفَ الْعِبْرَةُ، فَقِيلَ نَسْقِيكُمْ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ﴾[1]، أَيْ: يَخْلُقُ اللَّهُ اللَّبَنَ وَسِيطًا بَيْنَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ يَكْتَنِفَانِهِ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ لَا يَبْغِي أَحَدُهُمَا عَلَيْهِ بِلَوْنٍ وَلَا طَعْمٍ وَلَا رَائِحَةٍ، بَلْ هُوَ خَالِصٌ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ.

قِيلَ: إِذَا أَكَلَتِ الْبَهِيمَةُ الْعَلَفَ فَاسْتَقَرَّ فِي كَرِشِهَا طَبَخَتْهُ، فَكَانَ أَسْفَلُهُ فَرْثًا، وَأَوْسَطُهُ لَبَنًا، وَأَعْلَاهُ دَمًا، وَالْكَبِدُ مُسَلَّطَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأَصْنَافِ الثَّلَاثَةِ تُقَسِّمُهَا، فَتُجْرِي الدَّمَ فِي الْعُرُوقِ، وَاللَّبَنَ فِي الضَّرْعِ، وَتُبْقِي الْفَرْثَ فِي الْكَرِشِ.

فَسُبْحَانَ اللَّهِ مَا أَعْظَمَ قُدْرَتَهُ وَأَلْطَفَ حِكْمَتَهُ لِمَنْ تَفَكَّرَ وَتَأَمَّلَ!

وَسُئِلَ شَقِيقٌ عَنِ الْإِخْلَاصِ؟ فَقَالَ: تَمْيِيزُ الْعَمَلِ مِنَ الْعُيُوبِ، كَتَمْيِيزِ اللَّبَنِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ.

﴿سَائِغًا﴾[2]: سَهْلَ الْمُرُورِ فِي الْحَلْقِ، وَيُقَالُ: لَمْ يَغَصَّ أَحَدٌ بِاللَّبَنِ قَطُّ.

وَقُرِئَ: "سَيِّغًا" بِالتَّشْدِيدِ، وَ"سَيْغًا" بِالتَّخْفِيفِ، كَهَيِّنٍ وَلَيِّنٍ .

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ ﴿مِنْ﴾ الْأُولَى وَالثَّانِيَةِ؟

قُلْتُ: الْأُولَى لِلتَّبْعِيضِ، لِأَنَّ اللَّبَنَ بَعْضُ مَا فِي بُطُونِهَا، كَقَوْلِكَ: أَخَذْتُ مِنْ مَالِ زَيْدٍ ثَوْبًا، وَالثَّانِيَةُ: لِابْتِدَاءِ الْغَايَةِ، لِأَنَّ بَيْنَ الْفَرْثِ وَالدَّمِ مَكَانَ الْإِسْقَاءِ الَّذِي مِنْهُ يُبْتَدَأُ، فَهُوَ صِلَةٌ لِنُسْقِيكُمْ، كَقَوْلِكَ: سَقَيْتُهُ مِنَ الْحَوْضِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ قَوْلِهِ: ﴿لَبَنًا﴾[3]: مُقَدَّمًا عَلَيْهِ، فَيَتَعَلَّقُ بِمَحْذُوفٍ، أَيْ: كَائِنًا مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَوْ تَأَخَّرَ، فَقِيلَ: لَبَنًا مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ كَانَ صِفَةً لَهُ، وَإِنَّمَا قُدِّمَ لِأَنَّهُ مَوْضِعُ الْعِبْرَةِ، فَهُوَ قَمِنٌ بِالتَّقْدِيمِ.

وَقَدِ احْتَجَّ بَعْضُ مَنْ يَرَى أَنَّ الْمَنِيَّ طَاهِرٌ عَلَى مَنْ جَعَلَهُ نَجِسًا، لِجَرْيِهِ فِي مَسْلَكِ الْبَوْلِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَسْلُكَ مَسْلَكَ الْبَوْلِ وَهُوَ طَاهِرٌ، كَمَا خَرَجَ اللَّبَنُ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ طَاهِرًا.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[1]

فَإِنْ قُلْتَ: بِمَ تَعَلَّقَ قَوْلُهُ: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ﴾[2]؟

قُلْتُ: بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَنَسْقِيكُمْ مِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ، أَيْ: مِنْ عَصِيرِهَا، وَحُذِفَ لِدَلَالَةِ نَسْقِيكُمْ قَبْلَهُ عَلَيْهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾[3]: بَيَانٌ وَكَشْفٌ عَنْ كُنْهِ الْإِسْقَاءِ، أَوْ يَتَعَلَّقُ بِتَتَّخِذُونَ.

وَ﴿مِنْهُ﴾[4] مِنْ تَكْرِيرِ الظَّرْفِ لِلتَّوْكِيدِ، كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ فِي الدَّارِ فِيهَا.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ: ﴿تَتَّخِذُونَ﴾[5]: صِفَةَ مَوْصُوفٍ مَحْذُوفٍ، كَقَوْلِهِ:

.....بِكَفَّيْ كَانَ مِنْ أَرْمَى الْبَشَرْ

تَقْدِيرُهُ: وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ ثَمَرٌ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا، لِأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ بَعْضَهَا وَيَتَّخِذُونَ مِنْ بَعْضِهَا السَّكَرَ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَإِلَامَ يَرْجِعُ الضَّمِيرُ فِي مِنْهُ إِذَا جَعَلْتَهُ ظَرْفًا مُكَرَّرًا؟

قُلْتُ: إِلَى الْمُضَافِ الْمَحْذُوفِ الَّذِي هُوَ الْعَصِيرُ، كَمَا رَجَعَ فِي قَوْلِهِ -تَعَالَى-: ﴿أَوْ هُمْ قَائِلُونَ﴾[6] إِلَى الْأَهْلِ الْمَحْذُوفِ، وَالسَّكَرُ: الْخَمْرُ، سُمِّيَتْ بِالْمَصْدَرِ مِنْ سَكِرَ سَكَرًا وَسُكْرًا، نَحْوُ رَشِدَ رَشَدًا وَرُشْدًا.

قَالَ:

وَجَاؤُونَا بِهِمْ سَكَرٌ عَلَيْنَا... فَأَجْلَى الْيَوْمُ وَالسَّكْرَانُ صَاحِي

وَفِيهِ وَجْهَانِ:

- أَحَدُهُمَا: أَنْ تَكُونَ مَنْسُوخَةً، وَمِمَّنْ قَالَ بِنَسْخِهَا: الشَّعْبِيُّ وَالنَّخْعِيُّ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

– وَالثَّانِي: أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ الْعِتَابِ وَالْمِنَّةِ، وَقِيلَ: السَّكَرُ: النَّبِيذُ، وَهُوَ عَصِيرُ الْعِنَبِ وَالزَّبِيبِ وَالتَّمْرِ إِذَا طُبِخَ حَتَّى يَذْهَبَ ثُلْثَاهُ، ثُمَّ يُتْرَكُ حَتَّى يَشْتَدَّ، وَهُوَ حَلَالٌ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى حَدِّ السُّكْرِ، وَيَحْتَجُّ بِهَذِهِ الْآيَةِ وَبِقَوْلِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "الْخَمْرُ حَرَامٌ لِعَيْنِهَا وَالسَّكَرُ مِنْ كُلِّ شَرَابٍ"، وَبِأَخْبَارٍ جَمَّةٍ.

وَلَقَدْ صَنَّفَ شَيْخُنَا أَبُو عَلِيٍّ الْجِبَائِيُّ –قَدَّسَ اللَّهُ رُوحَهُ– غَيْرَ كِتَابٍ فِي تَحْلِيلِ النَّبِيذِ، فَلَمَّا شُيِّخَ وَأَخَذَتْ مِنْهُ السِّنُّ الْعَالِيَةُ قِيلَ لَهُ: لَوْ شَرِبْتَ مِنْهُ مَا تَتَقَوَّى بِهِ، فَأَبَى، فَقِيلَ لَهُ: فَقَدْ صَنَّفْتَ فِي تَحْلِيلِهِ، فَقَالَ: تَنَاوَلَتْهُ الدَّعَارَةُ فَسَمِحَ فِي الْمُرُوءَةِ.

وَقِيلَ: السَّكَرُ: الطَّعْمُ.

وَأَنْشَدَ:

جَعَلْتُ أَعْرَاضَ الْكِرَامِ سَكَرَا

أَيْ: تَنَقَّلَتْ بِأَعْرَاضِهِمْ.

وَقِيلَ: هُوَ مِنَ الْخَمْرِ، وَإِنَّهُ إِذَا ابْتَرَكَ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، فَكَأَنَّهُ تَخَمَّرَ بِهَا، وَالرِّزْقُ الْحَسَنُ: الْخَلُّ وَالرِّبُّ وَالتَّمْرُ وَالزَّبِيبُ وَغَيْرُ ذَلِكَ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُجْعَلَ السَّكَرُ رِزْقًا حَسَنًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: تَتَّخِذُونَ مِنْهُ مَا هُوَ سَكَرٌ وَرِزْقٌ حَسَنٌ.

﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[1]

الْإِيحَاءُ إِلَى النَّحْلِ: إِلْهَامُهَا وَالْقَذْفُ فِي قُلُوبِهَا وَتَعْلِيمُهَا عَلَى وَجْهٍ هُوَ أَعْلَمُ بِهِ، لَا سَبِيلَ لِأَحَدٍ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَيْهِ، وَإِلَّا فَنِيقَتُهَا فِي صَنْعَتِهَا، وَلُطْفُهَا فِي تَدْبِيرِ أَمْرِهَا، وَإِصَابَتُهَا فِيمَا يُصْلِحُهَا، دَلَائِلُ بَيِّنَةٌ شَاهِدَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ أَوْدَعَهَا عِلْمًا بِذَلِكَ وَفَطَّنَهَا، كَمَا أَوْلَى أُولِي الْعُقُولِ عُقُولَهُمْ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَقَرَأَ يَحْيَى بْنُ وَثَّابٍ: ﴿إِلَى النَّحْلِ﴾[1] بِفَتْحَتَيْنِ، وَهُوَ مُذَكَّرٌ كَالنَّحْلِ، وَتَأْنِيثُهُ عَلَى الْمَعْنَى: ﴿أَنِ اتَّخِذِي﴾[2] هِيَ "أَنْ" الْمُفَسِّرَةُ، لِأَنَّ الْإِيحَاءَ فِيهِ مَعْنَى الْقَوْلِ.

وَقُرِئَ: "بِيُوتًا" بِكَسْرِ الْبَاءِ لِأَجْلِ الْيَاءِ.

وَ"يَعْرِشُونَ": بِكَسْرِ الرَّاءِ وَضَمِّهَا، يَرْفَعُونَ مِنْ سُقُوفِ الْبُيُوتِ.

وَقِيلَ: مَا يَبْنُونَ لِلنَّحْلِ فِي الْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْبُيُوتِ مِنَ الْأَمَاكِنِ الَّتِي تَتَعَسَّلُ فِيهَا.

وَالضَّمِيرُ فِي ﴿يَعْرِشُونَ﴾[3]: لِلنَّاسِ .

فَإِنْ قُلْتَ مَا مَعْنَى "مِنْ" فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[4]، وَهَلَّا قِيلَ فِي الْجِبَالِ وَفِي الشَّجَرِ؟

قُلْتُ: أُرِيدَ مَعْنَى الْبَعْضِيَّةِ، وَأَلَّا تَبْنِيَ بُيُوتَهَا فِي كُلِّ جَبَلٍ وَكُلِّ شَجَرٍ وَكُلِّ مَا يُعْرَشُ وَلَا فِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْهَا.

﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[5]: إِحَاطَةٌ بِالثَّمَرَاتِ الَّتِي تُجْرِسُهَا النَّحْلُ، وَتَعْتَادُ أَكْلَهَا، أَيْ: ابْنِي الْبُيُوتَ، ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ ثَمَرَةٍ تَشْتَهِينَهَا.

فَإِذَا أَكَلْتِهَا: ﴿فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ﴾[6]، أَيْ: الطُّرُقَ الَّتِي أَلْهَمَكِ وَأَفْهَمَكِ فِي عَمَلِ الْعَسَلِ، أَوْ: فَاسْلُكِي مَا أَكَلْتِ فِي سُبُلِ رَبِّكِ، أَيْ: فِي مَسَالِكِهِ الَّتِي يُحِيلُ فِيهَا بِقُدْرَتِهِ النَّوْرَ الْمُرَّ عَسَلًا مِنْ أَجْوَافِكِ وَمَنَافِذِ مَآكِلِكِ، أَوْ: إِذَا أَكَلْتِ الثِّمَارَ فِي الْمَوَاضِعِ الْبَعِيدَةِ مِنْ بُيُوتِكِ، فَاسْلُكِي إِلَى بُيُوتِكِ رَاجِعَةً سُبُلَ رَبِّكِ، لَا تَتَوَعَّرُ عَلَيْكِ وَلَا تَضِلِّينَ فِيهَا، فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّهَا رُبَّمَا أَجْدَبَ عَلَيْهَا مَا حَوْلَهَا فَتُسَافِرُ إِلَى الْبَلَدِ الْبَعِيدِ فِي طَلَبِ النَّجْعَةِ.

أَوْ أَرَادَ بِقَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ كُلِي﴾[7]: ثُمَّ اقْصِدِي أَكْلَ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي فِي طَلَبِهَا فِي مَظَانِّهَا سُبُلَ رَبِّكِ، ﴿ذُلُلًا﴾[8]: جَمْعُ ذَلُولٍ، وَهِيَ حَالٌ مِنَ السُّبُلِ، لِأَنَّ اللَّهَ ذَلَّلَهَا لَهَا وَوَطَّأَهَا

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَسَهَّلَهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولا﴾[1] أَوْ مِنَ الضَّمِيرِ فِي ﴿فَاسْلُكِي﴾[2]، أَيْ: وَأَنْتِ ذُلُلٌ مُنْقَادَةٌ لِمَا أُمِرْتِ بِهِ غَيْرَ مُمْتَنِعَةٍ.

﴿شَرَابًا﴾[3]: يُرِيدُ الْعَسَلَ، لِأَنَّهُ مِمَّا يَشْرَبُ.

﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ﴾[4]: مِنْهُ أَبْيَضُ وَأَسْوَدُ وَأَصْفَرُ وَأَحْمَرُ.

﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾[5]، لِأَنَّهُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْفِيَةِ وَالْأَدْوِيَةِ الْمَشْهُورَةِ النَّافِعَةِ، وَقُلْ مَعْجُونٌ مِنَ الْمَعَاجِينِ لَمْ يَذْكُرِ الْأَطِبَّاءُ فِيهِ الْعَسَلَ، وَلَيْسَ الْغَرَضُ أَنَّهُ شِفَاءٌ لِكُلِّ مَرِيضٍ، كَمَا أَنَّ كُلَّ دَوَاءٍ كَذَلِكَ، وَتَنْكِيرُهُ إِمَّا لِتَعْظِيمِ الشِّفَاءِ الَّذِي فِيهِ، أَوْ لِأَنَّ فِيهِ بَعْضَ الشِّفَاءِ، وَكِلَاهُمَا مُحْتَمَلٌ.

وَعَنِ النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، فَقَالَ: "اذْهَبْ وَاسْقِهِ الْعَسَلَ"، فَذَهَبَ ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ: قَدْ سَقَيْتُهُ فَمَا نَفَعَ، فَقَالَ: "اذْهَبْ وَاسْقِهِ عَسَلًا" فَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ وَكَذَبَتْ بَطْنُ أَخِيكَ، فَسَقَاهُ فَشَفَاهُ اللَّهُ فَبَرَأَ، كَأَنَّمَا أُنْشِطَ مِنْ عِقَالٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: الْعَسَلُ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ، وَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، فَعَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْقُرْآنِ وَالْعَسَلِ.

وَمِنْ بِدَعِ التَّأْوِيلَاتِ الرَّافِضَةِ: أَنَّ الْمُرَادَ بِالنَّحْلِ: عَلِيٌّ وَقَوْمُهُ: وَعَنْ بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ عِنْدَ الْمَهْدِيِّ: إِنَّمَا النَّحْلُ: بَنُو هَاشِمٍ، يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهِمُ الْعِلْمُ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: جَعَلَ اللَّهُ طَعَامَكَ وَشَرَابَكَ مِمَّا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهِمْ، فَضَحِكَ الْمَهْدِيُّ، وَحَدَّثَ بِهِ الْمَنْصُورَ، فَاتَّخَذُوهُ أُضْحُوكَةً مِنْ أَضَاحِيكِهِمْ.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾[6]

---

[1] سورة الْمُلْكُ، الآية 15.

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾[1]: إِلَى أَخَسِّهِ وَأَحْقَرِهِ، وَهُوَ خَمْسٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً عَنْ عَلِيٍّ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ– وَتِسْعُونَ سَنَةً عَنْ قَتَادَةَ، لِأَنَّهُ لَا عُمْرَ أَسْوَأُ حَالًا مِنْ عُمْرِ الْهَرَمِ.

﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾[2]: لِيَصِيرَ إِلَى حَالَةٍ شَبِيهَةٍ بِحَالِ الطُّفُولَةِ فِي النِّسْيَانِ، وَأَنْ يَعْلَمَ شَيْئًا ثُمَّ يُسْرِعُ فِي نِسْيَانِهِ، فَلَا يَعْلَمُهُ إِنْ سُئِلَ عَنْهُ.

وَقِيلَ: لِئَلَّا يَعْقِلَ مِنْ بَعْدِ عَقْلِهِ الْأَوَّلِ شَيْئًا، وَقِيلَ: لِئَلَّا يَعْلَمَ زِيَادَةَ عِلْمٍ عَلَى عِلْمِهِ.

﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[3]

أَيْ: جَعَلَكُمْ مُتَفَاوِتِينَ فِي الرِّزْقِ، فَرَزَقَكُمْ أَفْضَلَ مِمَّا رَزَقَ مَمَالِيكَكُمْ وَهُمْ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ، فَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَرُدُّوا فَضْلَ مَا رُزِقْتُمُوهُ عَلَيْهِمْ، حَتَّى تَتَسَاوَوْا فِي الْمَلْبَسِ وَالْمَطْعَمِ، كَمَا يُحْكَى عَنْ أَبِي ذَرٍّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَقُولُ: " إِنَّمَا هُمْ إِخْوَانُكُمْ، فَاكْسُوهُمْ مِمَّا تَلْبَسُونَ، وَأَطْعِمُوهُمْ مِمَّا تَطْعَمُونَ "فَمَا رُئِيَ عَبْدُهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَّا وَرِدَاؤُهُ رِدَاؤُهُ وَإِزَارُهُ إِزَارُهُ مِنْ غَيْرِ تَفَاوُتٍ

﴿أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[4]: فَجَعَلَ ذَلِكَ مِنْ جُمْلَةِ جُحُودِ النِّعْمَةِ، وَقِيلَ: هُوَ مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِلَّذِينِ جَعَلُوا لَهُ شُرَكَاءَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ لَا تُسَوُّونَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَبِيدِكُمْ فِيمَا أَنْعَمْتُ بِهِ عَلَيْكُمْ، وَلَا تَجْعَلُونَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءَ، وَلَا تَرْضَوْنَ ذَلِكَ لِأَنْفُسِكُمْ، فَكَيْفَ رَضِيتُمْ أَنْ تَجْعَلُوا عَبِيدِي لِي شُرَكَاءَ؟!

وَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَنَّ الْمَوَالِيَ وَالْمَمَالِيكَ أَنَا رَازِقُهُمْ جَمِيعًا، فَهُمْ فِي رِزْقِي سَوَاءٌ، فَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَوَالِيَ أَنَّهُمْ يَرُدُّونَ عَلَى مَمَالِيكِهِمْ مِنْ عِنْدِهِمْ شَيْئًا مِنَ الرِّزْقِ، فَإِنَّمَا ذَلِكَ رِزْقِي أُجْرِيهِ إِلَيْهِمْ عَلَى أَيْدِيهِمْ.

وَقُرِئَ: "يَجْحَدُونَ"، بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[1]

﴿مِنْ أَنْفُسِكُمْ﴾[2]: مِنْ جِنْسِكُمْ.

وَقِيلَ: هُوَ خَلْقُ حَوَّاءَ مِنْ ضِلَعِ آدَمَ، وَالْحَفَدَةُ: جَمْعُ حَافِدٍ، وَهُوَ الَّذِي يَحْفِدُ، أَيْ: يُسْرِعُ فِي الطَّاعَةِ وَالْخِدْمَةِ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْقَانِتِ: وَإِلَيْكَ نَسْعَى وَنَحْفِدُ.

وَقَالَ:

حَفَدَ الْوَلَائِدَ بَيْنَهُنَّ وَأَسْلَمَتْ... بِأَكُفِّهِنَّ أَزِمَّةُ الْأَجْمَالِ

وَاخْتُلِفَ فِيهِمْ فَقِيلَ: هُمُ الْأُخْتَانِ عَلَى الْبَنَاتِ.

وَقِيلَ: أَوْلَادُ الْأَوْلَادِ، وَقِيلَ: أَوْلَادُ الْمَرْأَةِ مِنَ الزَّوْجِ الْأَوَّلِ، وَقِيلَ: الْمَعْنَى: وَجَعَلَ لَكُمْ حَفَدَةً، أَيْ: خَدَمًا يَحْفِدُونَ فِي مَصَالِحِكُمْ وَيُعِينُونَكُمْ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِالْحَفَدَةِ: الْبَنُونَ أَنْفُسُهُمْ، كَقَوْلِهِ: ﴿سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾[3]، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْهُنَّ أَوْلَادًا هُمْ بَنُونَ وَهُمْ حَافِدُونَ، أَيْ: جَامِعُونَ بَيْنَ الْأَمْرَيْنِ.

﴿مِنَ الطَّيِّبَاتِ﴾[4]: يُرِيدُ بَعْضَهَا، لِأَنَّ كُلَّ الطَّيِّبَاتِ فِي الْجَنَّةِ، وَمَا طَيِّبَاتُ الدُّنْيَا إِلَّا أُنْمُوذَجٌ مِنْهَا.

﴿أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ﴾[5]، وَهُوَ: مَا يَعْتَقِدُونَ مِنْ مَنْفَعَةِ الْأَصْنَامِ وَبَرَكَتِهَا وَشَفَاعَتِهَا، وَمَا هُوَ إِلَّا وَهُمْ بَاطِلٌ لَمْ يَتَوَصَّلُوا إِلَيْهِ بِدَلِيلٍ وَلَا أَمَارَةٍ، فَلَيْسَ لَهُمْ إِيمَانٌ إِلَّا بِهِ، كَأَنَّهُ شَيْءٌ مَعْلُومٌ مُسْتَيْقَنٌ، وَنِعْمَةُ اللَّهِ الْمُشَاهَدَةُ الْمُعَايَنَةُ الَّتِي لَا شُبْهَةَ فِيهَا لِذِي عَقْلٍ وَتَمْيِيزٍ: هُمْ كَافِرُونَ بِهَا مُنْكِرُونَ لَهَا كَمَا يُنْكَرُ الْمُحَالُ الَّذِي لَا يَتَصَوَّرُهُ الْعُقُولُ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية 67.

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَقِيلَ: الْبَاطِلُ يُسَوِّلُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مِنْ تَحْرِيمِ الْبَحِيرَةِ وَالسَّائِبَةِ وَغَيْرِهِمَا، وَنِعْمَةُ اللَّهِ: مَا أَحَلَّ لَهُمْ.

﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾[1]

الرِّزْقُ يَكُونُ بِمَعْنَى: الْمَصْدَرِ، وَبِمَعْنَى: مَا يُرْزَقُ، فَإِنْ أَرَدْتَ الْمَصْدَرَ نَصَبْتَ بِهِ ﴿شَيْئًا﴾[2]، كَقَوْلِهِ: ﴿أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ يَتِيمًا﴾[3]، عَلَى: لَا يَمْلِكُ أَنْ يَرْزُقَ شَيْئًا، وَإِنْ أَرَدْتَ الْمَرْزُوقَ كَانَ شَيْئًا بَدَلًا مِنْهُ، بِمَعْنَى: قَلِيلًا، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ تَأْكِيدًا لِ ﴿لَا يَمْلِكُ﴾[4]: أَيْ: لَا يَمْلِكُ شَيْئًا مِنَ الْمِلْكِ.

وَ﴿مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[5]: صِلَةٌ لِلرِّزْقِ إِنْ كَانَ مَصْدَرًا بِمَعْنَى: لَا يَرْزُقُ مِنَ السَّمَوَاتِ مَطَرًا، وَلَا مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا، أَوْ صِفَةٌ إِنْ كَانَ اسْمًا لِمَا يُرْزَقُ.

وَالضَّمِيرُ فِي: ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾[6]: لِمَا، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى: الْآلِهَةِ، بَعْدَ مَا قِيلَ: ﴿لا يَمْلِكُ﴾[7]: عَلَى اللَّفْظِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ لِلْكُفَّارِ، يَعْنِي: وَلَا يَسْتَطِيعُ هَؤُلَاءِ -مَعَ أَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ مُتَصَرِّفُونَ أُولُو أَلْبَابٍ- مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَكَيْفَ بِالْجَمَادِ الَّذِي لَا حِسَّ بِهِ؟

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾[8] بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿لا يَمْلِكُ﴾[9]؟ وَهَلْ هُمَا إِلَّا شَيْءٌ وَاحِدٌ؟

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة]الْبَلَدُ، الآيتان 14-15.

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

[9] سورة النَّحْلِ، الآية .

قُلْتُ: لَيْسَ فِي ﴿لا يَسْتَطِيعُونَ﴾[1] تَقْدِيرُ رَاجِعٍ.

وَإِنَّمَا الْمَعْنَى: لَا يَمْلِكُونَ أَنْ يَرْزُقُوا، مَنْفِيَّةً عَنْهُمْ أَصْلًا، لِأَنَّهُمْ مَوَاتٌ، إِلَّا أَنْ يُقَدَّرَ الرَّاجِعُ، وَيُرَادَ بِالْجَمْعِ بَيْنَ نَفْيِ الْمِلْكِ وَالِاسْتِطَاعَةِ لِلتَّوْكِيدِ، أَوْ يُرَادُ: أَنَّهُمْ لَا يَمْلِكُونَ الرِّزْقَ وَلَا يُمْكِنُهُمْ أَنْ يَمْلِكُوهُ، وَلَا يَتَأَتَّى ذَلِكَ مِنْهُمْ وَلَا يَسْتَقِيمُ.

﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[2]

﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ﴾[3]: تَمْثِيلٌ لِلْإِشْرَاكِ بِاللَّهِ وَالتَّشْبِيهِ بِهِ، لِأَنَّ مَنْ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ مُشَبِّهٌ حَالًا بِحَالٍ، وَقِصَّةً بِقِصَّةٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ﴾[4]: كُنْهَ مَا تَفْعَلُونَ وَعِظَمَهُ، وَهُوَ مُعَاقِبُكُمْ عَلَيْهِ بِمَا يُوَازِيهِ فِي الْعِظَمِ، لِأَنَّ الْعِقَابَ عَلَى مِقْدَارِ الْإِثْمِ.

﴿وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾[5]: كُنْهَهُ وَكُنْهَ عِقَابِهِ، فَذَاكَ هُوَ الَّذِي جَرَّكُمْ إِلَيْهِ وَجَرَّأَكُمْ عَلَيْهِ، فَهُوَ تَعْلِيلٌ لِلنَّهْيِ عَنِ الشِّرْكِ.

وَيَجُوزُ أَنْ يُرَادَ: فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ، إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ كَيْفَ يَضْرِبُ الْأَمْثَالَ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ.

﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[6]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

ثُمَّ عَلَّمَهُمْ كَيْفَ تُضْرَبُ فَقَالَ: مَثَلُكُمْ فِي إِشْرَاكِكُمْ بِاللَّهِ الْأَوْثَانَ: مَثَلُ مَنْ سَوَّى بَيْنَ عَبْدٍ مَمْلُوكٍ عَاجِزٍ عَنِ التَّصَرُّفِ، وَبَيْنَ حُرٍّ مَالِكٍ قَدْ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا فَهُوَ يَتَصَرَّفُ فِيهِ وَيُنْفِقُ مِنْهُ كَيْفَ شَاءَ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَالَ: ﴿مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾[1]، وَكُلُّ عَبْدٍ مَمْلُوكٌ وَغَيْرُ قَادِرٍ عَلَى التَّصَرُّفِ؟

قُلْتُ: أَمَّا ذِكْرُ الْمَمْلُوكِ فَلِيُمَيَّزَ مِنَ الْحُرِّ، لِأَنَّ اسْمَ الْعَبْدِ يَقَعُ عَلَيْهِمَا جَمِيعًا، لِأَنَّهُمَا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ.

وَأَمَّا ﴿لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ﴾[2]، فَلِيُجْعَلَ غَيْرَ مَكَاتَبٍ وَلَا مَأْذُونٍ لَهُ، لِأَنَّهُمَا يَقْدِرَانِ عَلَى التَّصَرُّفِ.

وَاخْتَلَفُوا فِي الْعَبْدِ، هَلْ يَصِحُّ لَهُ مِلْكٌ؟ وَالْمَذْهَبُ الظَّاهِرُ أَنَّهُ لَا يَصِحُّ لَهُ .

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿مَنْ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ رَزَقْنَاهُ﴾[3] مَا هِيَ؟

قُلْتُ: الظَّاهِرُ أَنَّهَا مَوْصُوفَةٌ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَحُرًّا رَزَقْنَاهُ، لِيُطَابِقَ عَبْدًا، وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قِيلَ: ﴿يَسْتَوُونَ﴾[4] عَلَى الْجَمْعِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: هَلْ يَسْتَوِي الْأَحْرَارُ وَالْعَبِيدُ؟

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[5]

الْأَبْكَمُ: الَّذِي وُلِدَ أَخْرَسَ، فَلَا يَفْهَمُ وَلَا يُفْهِمُ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ﴾[1]، أَيْ: ثَقْلٌ وَعِيَالٌ عَلَى مَنْ يَلِي أَمْرَهُ وَيَعُولُهُ.

﴿أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ﴾[2]: حَيْثُمَا يُرْسِلْهُ وَيُصَرِّفْهُ فِي مَطْلَبِ حَاجَةٍ أَوْ كِفَايَةِ مُهِمٍّ، لَمْ يَنْفَعْ وَلَمْ يَأْتِ بِنَجْحٍ.

﴿هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ﴾[3]: هُوَ سَلِيمُ الْحَوَّاسِ نَفَّاعًا ذُو كِفَايَاتٍ، مَعَ رُشْدٍ وَدِيَانَةٍ، فَهُوَ: ﴿يَأْتِي أَمْرُ﴾[4]: النَّاسَ، ﴿بِالْعَدْلِ﴾[5]، وَالْخَيْرِ، ﴿وَهُوَ﴾[6]: فِي نَفْسِهِ، ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[7]: عَلَى سِيرَةٍ صَالِحَةٍ وَدِينٍ قَوِيمٍ.

وَهَذَا مَثَلٌ ثَانٍ ضَرَبَهُ اللَّهُ لِنَفْسِهِ وَلِمَا يُفِيضُ عَلَى عِبَادِهِ وَيَشْمَلُهُمْ مِنْ آثَارِ رَحْمَتِهِ وَأَلْطَافِهِ وَنِعَمِهِ الدِّينِيَّةِ وَالدُّنْيَوِيَّةِ، وَلِلْأَصْنَامِ الَّتِي هِيَ أَمْوَاتٌ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ.

وَقُرِئَ: "أَيْنَمَا يُوَجِّهْ"، بِمَعْنَى: أَيْنَمَا يَتَوَجَّهْ، مِنْ قَوْلِهِمْ: أَيْنَمَا أُوَجَّهْ أَلْقَ سَعْدًا.

وَقَرَأَ ابْنُ مَسْعُودٍ: "أَيْنَمَا يُوَجَّهْ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْمَفْعُولِ.

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[8]

﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾[9]، أَيْ: يَخْتَصُّ بِهِ عِلْمُ مَا غَابَ فِيهِمَا عَنِ الْعِبَادِ، وَخَفِيَ عَلَيْهِمْ عِلْمُهُ، أَوْ أَرَادَ بِغَيْبِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ: يَوْمَ الْقِيَامَةِ، عَلَى أَنَّ عِلْمَهُ غَائِبٌ عَنْ أَهْلِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَمْ يَطَّلِعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنْهُمْ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .
[9] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿إِلاَّ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ﴾[1]، أَيْ: هُوَ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنْ تَرَاخَى، كَمَا تَقُولُونَ أَنْتُمْ فِي الشَّيْءِ الَّذِي تَسْتَقْرِبُونَهُ: هُوَ كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ، إِذَا بَالَغْتُمْ فِي اسْتِقْرَابِهِ.

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ﴾[2]، أَيْ: هُوَ عِنْدَهُ دَانٍ وَهُوَ عِنْدَكُمْ بَعِيدٌ.

وَقِيلَ: الْمَعْنَى: أَنَّ إِقَامَةَ السَّاعَةِ، وَإِمَاتَةَ الْأَحْيَاءِ وَإِحْيَاءَ الْأَمْوَاتِ مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، يَكُونُ فِي أَقْرَبِ وَقْتٍ وَأَوْحَاهُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[3]: فَهُوَ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يُقِيمَ السَّاعَةَ وَيَبْعَثَ الْخَلْقَ، لِأَنَّهُ بَعْضُ الْمَقْدُورَاتِ، ثُمَّ دَلَّ عَلَى قُدْرَتِهِ بِمَا بَعْدَهُ.

﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[4]

قُرِئَ: "أُمَّهَاتِكُمْ": بِضَمِّ الْهَمْزَةِ وَكَسْرِهَا، وَالْهَاءُ مَزِيدَةٌ فِي أُمَّاتٍ، كَمَا زِيدَتْ فِي أَرَاقَ، فَقِيلَ: أَهْرَاقَ، وَشَذَّتْ زِيَادَتُهَا فِي الْوَاحِدَةِ، قَالَ:

أُمَّهَتِي خِنْدَفٌ وَإِلْيَاسُ أَبِي

﴿لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا﴾[5]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، وَمَعْنَاهُ: غَيْرَ عَالِمِيْنَ شَيْئًا مِنْ حَقِّ الْمُنْعِمِ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِي الْبُطُونِ، وَسَوَّاكُمْ وَصَوَّرَكُمْ، ثُمَّ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الضِّيقِ إِلَى السَّعَةِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ﴾[6]، مَعْنَاهُ: وَمَا رَكَّبَ فِيكُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ إِلَّا آلَاتٍ لِإِزَالَةِ الْجَهْلِ الَّذِي وُلِدْتُمْ عَلَيْهِ وَاجْتِلَابَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِهِ، مِنْ شُكْرِ الْمُنْعِمِ، وَعِبَادَتِهِ، وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِ، وَالتَّرَقِّي إِلَى مَا يُسْعِدُكُمْ، وَالْأَفْئِدَةُ فِي فُؤَادٍ، كَالْأَغْرِبَةِ فِي غُرَابٍ، وَهُوَ مِنْ جُمُوعِ الْقِلَّةِ الَّتِي

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة الْحَجُّ، الآية 47.
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

جَرَتْ مَجْرَى جُمُوعِ الْكَثْرَةِ؛ وَالْقِلَّةُ إِذَا لَمْ يَرِدْ فِي السَّمَاعِ غَيْرُهَا، كَمَا جَاءَ شُسُوعٌ فِي جَمْعِ شِسْعٍ لَا غَيْرُ، فَجَرَتْ ذَلِكَ الْمَجْرَى.

﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾[1]

قُرِئَ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا﴾[2] بِالتَّاءِ وَالْيَاءِ.

﴿مُسَخَّرَاتٍ﴾[3]: مُذَلَّلَاتٍ لِلطَّيَرَانِ بِمَا خَلَقَ لَهَا مِنَ الْأَجْنِحَةِ وَالْأَسْبَابِ الْمُوَاتِيَةِ لِذَلِكَ.

وَالْجَوُّ: الْهَوَاءُ الْمُتَبَاعِدُ مِنَ الْأَرْضِ فِي سَمْتِ الْعُلُوِّ وَالسُّكَاكُ أَبْعَدُ مِنْهُ، وَاللَّوْحُ مِثْلُهُ: ﴿مَا يُمْسِكُهُنَّ﴾[4]: فِي قَبْضِهِنَّ وَبَسْطِهِنَّ وَوُقُوفِهِنَّ.

﴿إِلاَّ اللَّهُ﴾[5]: بِقُدْرَتِهِ.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾[6]

﴿مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾[7]: الَّتِي تَسْكُنُونَهَا مِنَ الْحَجَرِ وَالْمَدَرِ وَالْأَخْبِيَةِ وَغَيْرِهَا، وَالسَّكَنُ: فَعَلٌ بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ، وَهُوَ مَا يُسْكَنُ إِلَيْهِ وَيُنْقَطَعُ إِلَيْهِ مِنْ بَيْتٍ أَوْ إِلْفٍ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿بُيُوتًا﴾[1]: هِيَ الْقِبَابُ وَالْأَبْنِيَةُ مِنَ الْأَدَمِ وَالْأَنْطَاعِ.

﴿تَسْتَخِفُّونَهَا﴾[2]: تَرَوْنَهَا خَفِيفَةَ الْمَحْمَلِ فِي الضَّرْبِ وَالنَّقْضِ وَالنَّقْلِ.

﴿يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ﴾[3]، أَيْ: يَوْمَ تَرْحَلُونَ خَفَّ عَلَيْكُمْ حَمْلُهَا وَثِقْلُهَا، وَيَوْمَ تَنْزِلُونَ وَتُقِيمُونَ فِي مَكَانٍ لَمْ يَثْقُلْ عَلَيْكُمْ ضَرْبُهَا، أَوْ هِيَ خَفِيفَةٌ عَلَيْكُمْ فِي أَوْقَاتِ السَّفَرِ وَالْحَضَرِ جَمِيعًا، عَلَى أَنَّ الْيَوْمَ بِمَعْنَى: الْوَقْتِ.

﴿وَمَتَاعًا﴾[4]: وَشَيْئًا يُنْتَفَعُ بِهِ.

﴿إِلَى حِينٍ﴾[5]: إِلَى أَنْ تَقْضُوا مِنْهُ أَوْطَارَكُمْ، أَوْ إِلَى أَنْ يَبْلَى وَيَفْنَى، أَوْ إِلَى أَنْ تَمُوتُوا.

وَقُرِئَ: "يَوْمَ ظَعْنِكُمْ" بِالسُّكُونِ.

﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[6]

﴿مِمَّا خَلَقَ﴾[7]: مِنَ الشَّجَرِ وَسَائِرِ الْمُسْتَظِلَّاتِ.

﴿أَكْنَانًا﴾[8]: جَمْعُ كِنٍّ، وَهُوَ مَا يُسْتَكَنُّ بِهِ مِنَ الْبُيُوتِ الْمَنْحُوتَةِ فِي الْجِبَالِ وَالْغِيرَانِ وَالْكُهُوفِ.

﴿سَرَابِيلَ﴾[9]: هِيَ الْقُمْصَانُ وَالثِّيَابُ مِنَ الصُّوفِ وَالْكِتَّانِ وَالْقُطْنِ وَغَيْرِهَا.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

[9] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾[1]: لَمْ يَذْكُرِ الْبَرْدَ، لِأَنَّ الْوِقَايَةَ مِنَ الْحَرِّ أَهَمُّ عِنْدَهُمْ، وَقَلَّمَا يُهِمُّهُمُ الْبَرْدَ، لِكَوْنِهِ يَسِيرًا مُحْتَمِلًا.

وَقِيلَ: مَا يَقِي مِنَ الْحَرِّ يَقِي مِنَ الْبَرْدِ، فَدَلَّ ذِكْرُ الْحَرِّ عَلَى الْبَرْدِ.

﴿وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ﴾[2]، يُرِيدُ: الدُّرُوعَ وَالْجَوَاشِنَ وَالسِّرْبَالَ عَامٌّ يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَا كَانَ مِنْ حَدِيدٍ وَغَيْرِهِ.

﴿لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾[3]، أَيْ: تَنْظُرُونَ فِي نِعَمِهِ الْفَائِضَةِ فَتُؤْمِنُونَ بِهِ وَتَنْقَادُونَ لَهُ، وَقُرِئَ: "تَسْلَمُونَ" مِنَ السَّلَامَةِ، أَيْ: تَشْكُرُونَ فَتَسْلَمُونَ مِنَ الْعَذَابِ، أَوْ تَسْلَمُ قُلُوبُكُمْ مِنَ الشِّرْكِ، وَقِيلَ: تَسْلَمُونَ مِنَ الْجِرَاحِ بِلُبْسِ الدُّرُوعِ.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[4]

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾[5]: فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْكَ فَقَدْ تَمَهَّدَ عُذْرُكَ بَعْدَمَا أَدَّيْتَ مَا وَجَبَ عَلَيْكَ مِنَ التَّبْلِيغِ، فَذَكَرَ سَبَبَ الْعُذْرِ، وَهُوَ الْبَلَاغُ لِيَدُلَّ عَلَى الْمُسَبَّبِ.

﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ﴾[6]: الَّتِي عَدَّدْنَاهَا، حَيْثُ يَعْتَرِفُونَ بِهَا وَأَنَّهَا مِنَ اللَّهِ.

﴿ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا﴾[7]: بِعِبَادَتِهِمْ غَيْرَ الْمُنْعِمِ بِهَا، وَقَوْلِهِمْ: هِيَ مِنَ اللَّهِ، وَلَكِنَّهَا بِشَفَاعَةِ آلِهَتِنَا.

وَقِيلَ: إِنْكَارُهُمْ قَوْلُهُمْ وَرِثْنَاهَا مِنْ آبَائِنَا.

وَقِيلَ: قَوْلُهُمْ لَوْلَا فُلَانٌ مَا أَصَبْتَ كَذَا لِبَعْضِ نِعَمِ اللَّهِ. وَإِنَّمَا لَا يَجُوزُ التَّكَلُّمُ بِنَحْوِ هَذَا إِذَا لَمْ يَعْتَقِدْ أَنَّهَا مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّهُ أَجْرَاهَا عَلَى يَدِ فُلَانٍ وَجَعَلَهُ سَبَبًا فِي نَيْلِهَا.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾[1]، أَيْ: الْجَاحِدُونَ غَيْرُ الْمُعْتَرِفِينَ.

وَقِيلَ: "نِعْمَةُ اللَّهِ": نُبُوَّةُ مُحَمَّدٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- كَانُوا يَعْرِفُونَهَا ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا عِنَادًا، وَأَكْثَرُهُمُ الْجَاحِدُونَ الْمُنْكِرُونَ بِقُلُوبِهِمْ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى: ثُمَّ؟

قُلْتُ: الدَّلَالَةُ عَلَى أَنَّ إِنْكَارَهُمْ أَمْرٌ مُسْتَبْعَدٌ بَعْدَ حُصُولِ الْمَعْرِفَةِ، لِأَنَّ حَقَّ مَنْ عَرَفَ النِّعْمَةَ أَنْ يَعْتَرِفَ لَا أَنْ يُنْكِرَ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[2]

﴿شَهِيدًا﴾[3]: نَبِيَّهَا يَشْهَدُ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ بِالْإِيمَانِ وَالتَّصْدِيقِ، وَالْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

﴿ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4]: فِي الِاعْتِذَارِ، وَالْمَعْنَى: لَا حُجَّةَ لَهُمْ، فَدَلَّ بِتَرْكِ الْإِذْنِ عَلَى أَنْ لَا حُجَّةَ لَهُمْ وَلَا عُذْرَ، وَكَذَا عَنِ الْحَسَنِ.

﴿وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾[5]: وَلَا هُمْ يُسْتَرْضَوْنَ، أَيْ: لَا يُقَالُ لَهُمْ أَرْضُوا رَبَّكُمْ، لِأَنَّ الْآخِرَةَ لَيْسَتْ بِدَارِ عَمَلٍ.

فَإِنْ قُلْتَ: فَمَا مَعْنَى ﴿ثُمَّ﴾[6] هَذِهِ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهَا: أَنَّهُمْ يُمْنَوْنَ بَعْدَ شَهَادَةِ الْأَنْبِيَاءِ بِمَا هُوَ أُطْمُ مِنْهَا، وَهُوَ أَنَّهُمْ يُمْنَعُونَ الْكَلَامَ فَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فِي إِلْقَاءِ مَعْذِرَةٍ وَلَا إِدْلَاءٍ بِحُجَّةٍ، وَانْتِصَابُ الْيَوْمِ بِمَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: وَاذْكُرْ يَوْمَ نَبْعَثُ، أَوْ يَوْمَ نَبْعَثُ وَقَعُوا فِيمَا وَقَعُوا فِيهِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَكَذَلِكَ إِذَا رَأَوُا الْعَذَابَ بَغَتَهُمْ وَثَقُلَ عَلَيْهِمْ، ﴿فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[1]، كَقَوْلِهِ: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾[2].

﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[3]

إِنْ أَرَادُوا بِالشُّرَكَاءِ آلِهَتَهُمْ، فَمَعْنَى: ﴿شُرَكَاؤُنَا﴾[4]: آلِهَتُنَا الَّتِي دَعَوْنَاهَا شُرَكَاءَ، وَإِنْ أَرَادُوا الشَّيَاطِينَ، فَلِأَنَّهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ فِي الْكُفْرِ وَقُرَنَاؤُهُمْ فِي الْغَيِّ.

وَ﴿نَدْعُو﴾[5] بِمَعْنَى: نَعْبُدُ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ قَالُوا: ﴿الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[6]، وَكَانُوا يَعْبُدُونَهُمْ عَلَى الصِّحَّةِ؟

قُلْتُ: لَمَّا كَانُوا غَيْرَ رَاضِينَ بِعِبَادَتِهِمْ فَكَأَنَّ عِبَادَتَهُمْ لَمْ تَكُنْ عِبَادَةً.

وَالدَّلِيلُ عَلَيْهِ: قَوْلُ الْمَلَائِكَةِ: ﴿كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾[7]، يَعْنُونَ: أَنَّ الْجِنَّ كَانُوا رَاضِينَ بِعِبَادَتِهِمْ لَا نَحْنُ، فَهُمُ الْمَعْبُودُونَ دُونَنَا، أَوْ كَذَّبُوهُمْ فِي تَسْمِيَتِهِمْ شُرَكَاءَ وَآلِهَةً، تَنْزِيهًا لِلَّهِ مِنَ الشَّرِيكِ، وَإِنْ أُرِيدَ بِالشُّرَكَاءِ: الشَّيَاطِينُ، جَازَ أَنْ يَكُونَ "كَاذِبِينَ" فِي قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾[8]، كَمَا يَقُولُ الشَّيْطَانُ: إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِي مِنْ قَبْلُ.

﴿وَأَلْقَوْا﴾[9]، يَعْنِي: الَّذِينَ ظَلَمُوا، وَإِلْقَاءُ السِّلْمِ: الِاسْتِسْلَامُ لِأَمْرِ اللَّهِ وَحُكْمِهِ بَعْدَ الْإِبَاءِ وَالِاسْتِكْبَارِ فِي الدُّنْيَا.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة الْأَنْبِيَاءُ، الآية 40.

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

[9] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ﴾[1]: وَبَطَلَ عَنْهُمْ، ﴿مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾[2]: مِنْ أَنَّ لِلَّهِ شُرَكَاءَ، وَأَنَّهُمْ يَنْصُرُونَهُمْ وَيَشْفَعُونَ لَهُمْ حِينَ كَذَّبُوهُمْ وَتَبَرَّؤُا مِنْهُمْ.

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[3]

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[4]: فِي أَنْفُسِهِمْ، وَحَمَلُوا غَيْرَهُمْ عَلَى الْكُفْرِ: يُضَاعِفُ اللَّهُ عِقَابَهُمْ كَمَا ضَاعَفُوا كُفْرَهُمْ.

وَقِيلَ: فِي زِيَادَةِ عَذَابِهِمْ حَيَّاتٌ أَمْثَالُ الْبُخْتِ وَعَقَارِبُ أَمْثَالُ الْبِغَالِ تَلْسَعُ إِحْدَاهُنَّ اللَّسْعَةَ فَيَجِدُ صَاحِبُهَا حُمَّتَهَا أَرْبَعِينَ خَرِيفًا.

وَقِيلَ: يَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ إِلَى الزَّمْهَرِيرِ فَيُبَادِرُونَ مِنْ شِدَّةِ بَرْدِهِ إِلَى النَّارِ.

﴿بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾[5]: بِكَوْنِهِمْ مُفْسِدِينَ النَّاسَ بِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ.

﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[6]

﴿شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾[7]، يَعْنِي: نَبِيَّهُمْ، لِأَنَّهُ كَانَ يَبْعَثُ أَنْبِيَاءَ الْأُمَمِ فِيهِمْ مِنْهُمْ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾[1]: يَا مُحَمَّدُ، ﴿شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ﴾[2]: عَلَى أُمَّتِكَ.

﴿تِبْيَانًا﴾[3]: بَيَانًا بَلِيغًا وَنَظِيرُ "تِبْيَانٍ".

"تِلْقَاءُ" فِي كَسْرِ أَوَّلِهِ، وَقَدْ جَوَّزَ الزَّجَّاجُ فَتْحَهُ فِي غَيْرِ الْقُرْآنِ.

فَإِنْ قُلْتَ: كَيْفَ كَانَ الْقُرْآنُ تِبْيَانًا ﴿لِكُلِّ شَيْءٍ﴾[4]؟

قُلْتُ: الْمَعْنَى: أَنَّهُ بَيَّنَ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أُمُورِ الدِّينِ، حَيْثُ كَانَ نَصًّا عَلَى بَعْضِهَا وَإِحَالَةً عَلَى السُّنَّةِ، حَيْثُ أَمَرَ فِيهِ بِاتِّبَاعِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَطَاعَتِهِ، وَقِيلَ: وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى، وَحَثًّا عَلَى الْإِجْمَاعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5].

وَقَدْ رَضِيَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِأُمَّتِهِ اتِّبَاعَ أَصْحَابِهِ، وَالِاقْتِدَاءَ بِآثَارِهِمْ فِي قَوْلِهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "أَصْحَابِي كَالنُّجُومِ بِأَيِّهِمُ اقْتَدَيْتُمُ اهْتَدَيْتُمْ"، وَقَدِ اجْتَهَدُوا وَقَاسُوا وَوَطَّؤُوا طُرُقَ الْقِيَاسِ وَالِاجْتِهَادِ، فَكَانَتِ السُّنَّةُ وَالْإِجْمَاعُ وَالْقِيَاسُ وَالِاجْتِهَادُ، مُسْتَنِدَةً إِلَى تِبْيَانِ الْكِتَابِ. فَمِنْ ثَمَّ كَانَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[6]

الْعَدْلُ هُوَ الْوَاجِبُ، لِأَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى- عَدَلَ فِيهِ عَلَى عِبَادِهِ، فَجَعَلَ مَا فَرَضَهُ عَلَيْهِمْ وَاقِعًا تَحْتَ طَاقَتِهِمْ.

﴿وَالإِحْسَانِ﴾[7]: النَّدْبُ، وَإِنَّمَا عُلِّقَ أَمْرُهُ بِهِمَا جَمِيعًا، لِأَنَّ الْفَرْضَ لَا بُدَّ مِنْ أَنْ يَقَعَ فِيهِ تَفْرِيطٌ فَيُجْبِرُهُ النَّدْبُ، وَلِذَلِكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لِمَنْ عَلَّمَهُ الْفَرَائِضَ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا زِدْتُ فِيهَا وَلَا نَقَصْتُ: "أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ"، فَعَقَدَ الْفَلَاحَ بِشَرْطِ

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

الصِّدْقِ وَالسَّلَامَةِ مِنَ التَّفْرِيطِ، وَقَالَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ-: "اسْتَقِيمُوا وَلَنْ تُحْصُوا"، فَمَا يَنْبَغِي أَنْ يُتْرَكَ مَا يَجْبُرُ كَسْرَ التَّفْرِيطِ مِنَ النَّوَافِلِ.

وَالْفَوَاحِشُ: مَا جَاوَزَ حُدُودَ اللَّهِ، "وَالْمُنْكَرُ": مَا تُنْكِرُهُ الْعُقُولُ، "وَالْبَغْيُ": طَلَبُ التَّطَاوُلِ بِالظُّلْمِ، وَحِينَ أُسْقِطَتْ مِنَ الْخُطَبِ لَعْنَةُ الْمُلَاعِنِينَ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ-، أُقِيمَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مَقَامَهَا.

وَلَعَمْرِي إِنَّهَا كَانَتْ فَاحِشَةً وَمُنْكَرًا وَبَغْيًا، ضَاعَفَ اللَّهُ لِمَنْ سَنَّهَا غَضَبًا وَنَكَالًا وَخِزْيًا، إِجَابَةً لِدَعْوَةِ نَبِيِّهِ: "وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ"، وَكَانَتْ سَبَبَ إِسْلَامِ عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ.

﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٌ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[1]

عَهْدُ اللَّهِ: هِيَ الْبَيْعَةُ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- عَلَى الْإِسْلَامِ، ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾[2].

﴿وَلا تَنْقُضُوا﴾[3]: إِيمَانَ الْبَيْعَةِ.

﴿بَعْدَ تَوْكِيدِهَا﴾[4]، أَيْ: بَعْدَ تَوْثِيقِهَا بِاسْمِ اللَّهِ، وَأَكَّدَ وَوَكَّدَ: لُغَتَانِ فَصِيحَتَانِ، وَالْأَصْلُ: الْوَاوُ، وَالْهَمْزَةُ: بَدَلٌ.

﴿كَفِيلا﴾[5]: شَاهِدًا وَرَقِيبًا، لِأَنَّ الْكَفِيلَ مُرَاعٍ لِحَالِ الْمَكْفُولِ بِهِ مُهَيْمِنٌ عَلَيْهِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة الْفَتْحُ، الآية 10.

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَلا تَكُونُوا﴾[1]: فِي نَقْضِ الْأَيْمَانِ كَالْمَرْأَةِ الَّتِي أَنْحَتْ عَلَى غَزْلِهَا بَعْدَ أَنْ أَحْكَمَتْهُ وَأَبْرَمَتْهُ فَجَعَلَتْهُ ﴿أَنْكَاثًا﴾[2]: جَمْعَ نَكْثٍ، وَهُوَ مَا يُنْكَثُ فَتْلُهُ.

قِيلَ: هِيَ رَيْطَةُ بِنْتُ سَعْدِ بْنِ تَيْمٍ وَكَانَتْ خَرْقَاءَ، اتَّخَذَتْ مِغْزَلًا قَدْرَ ذِرَاعٍ وَصِنَّارَةً مِثْلَ أُصْبُعٍ وَفَلْكَةً عَظِيمَةً عَلَى قَدْرِهَا، فَكَانَتْ تَغْزِلُ هِيَ وَجَوَارِيهَا مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى الظُّهْرِ، ثُمَّ تَأْمُرُهُنَّ فَيَنْقُضْنَ مَا غَزَلْنَ.

﴿تَتَّخِذُونَ﴾[3]: حَالٌ وَ﴿دَخَلًا﴾[4]: أَحَدُ مَفْعُولَيِ اتَّخَذَ، يَعْنِي: وَلَا تَنْقُضُوا أَيْمَانَكُمْ مُتَّخِذِيهَا.

﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾[5]، أَيْ: مَفْسَدَةً وَدَغَلًا.

﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ﴾[6]: بِسَبَبِ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ، يَعْنِي: جَمَاعَةَ قُرَيْشٍ.

﴿هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾[7]: هِيَ أَزْيَدُ عَدَدًا وَأَوْفَرَ مَالًا، مِنْ أُمَّةٍ مِنْ جَمَاعَةِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ﴾[8]: الضَّمِيرُ لِقَوْلِهِ: أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ، لِأَنَّهُ فِي مَعْنَى: الْمَصْدَرِ، أَيْ: إِنَّمَا يَخْتَبِرُكُمْ بِكَوْنِهِمْ أَرْبَى، لِيَنْظُرَ أَتَتَمَسَّكُونَ بِحَبَلِ الْوَفَاءِ بِعَهْدِ اللَّهِ وَمَا عَقَدْتُمْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ وَوَكَّدْتُمْ مِنْ أَيْمَانِ الْبَيْعَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- أَمْ تَغْتَرُّونَ بِكَثْرَةِ قُرَيْشٍ وَثَرْوَتِهِمْ وَقُوَّتِهِمْ، وَقِلَّةِ الْمُؤْمِنِينَ وَفَقْرِهِمْ وَضَعْفِهِمْ؟

﴿وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ﴾[9]: إِنْذَارٌ وَتَحْذِيرٌ مِنْ مُخَالَفَةِ مِلَّةِ الْإِسْلَامِ.

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[10]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .
[9] سورة النَّحْلِ، الآية .
[10] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾[1]: حَنِيفَةً مُسْلِمَةً عَلَى طَرِيقِ الْإِلْجَاءِ وَالِاضْطِرَارِ، وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى ذَلِكَ.

﴿وَلَكِنْ﴾[2]: الْحِكْمَةُ اقْتَضَتْ أَنْ يَضِلَّ.

﴿مَنْ يَشَاءُ﴾[3]: وَهُوَ أَنْ يَخْذُلَ مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَخْتَارُ الْكُفْرَ وَيُصَمِّمُ عَلَيْهِ.

﴿وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾[4]: وَهُوَ أَنْ يَلْطُفَ بِمَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَخْتَارُ الْإِيمَانَ، يَعْنِي: أَنَّهُ بَنَى الْأَمْرَ عَلَى الِاخْتِيَارِ وَعَلَى مَا يَسْتَحِقُّ بِهِ اللُّطْفَ وَالْخِذْلَانَ، وَالثَّوَابَ وَالْعِقَابَ، وَلَمْ يَبْنِهِ عَلَى الْإِجْبَارِ الَّذِي لَا يُسْتَحَقُّ بِهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ، وَحَقَّقَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[5]: وَلَوْ كَانَ هُوَ الْمُضْطَرَّ إِلَى الضَّلَالِ وَالِاهْتِدَاءِ، لَمَا أَثْبَتَ لَهُمْ عَمَلًا يُسْئَلُونَ عَنْهُ.

﴿وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[6]

ثُمَّ كَرَّرَ النَّهْيَ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَيْمَانِ دَخَلًا بَيْنَهُمْ، تَأْكِيدًا عَلَيْهِمْ وَإِظْهَارًا لِعِظَمِ مَا يُرْكَبُ مِنْهُ.

﴿فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا﴾[7]: فَتَزِلَّ أَقْدَامُكُمْ عَنْ مَحَجَّةِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ ثُبُوتِهَا عَلَيْهَا.

﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ﴾[8]: فِي الدُّنْيَا بِصُدُورِكُمْ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[1]: وَخُرُوجِكُمْ مِنَ الدِّينِ، أَوْ بِصَدِّكُمْ غَيْرَكُمْ، لِأَنَّهُمْ لَوْ نَقَضُوا أَيْمَانَ الْبَيْعَةِ وَارْتَدُّوا، لَاتَّخَذُوا نَقْضَهَا سُنَّةً لِغَيْرِهِمْ يَسْتَنُّونَ بِهَا.

﴿وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[2]: فِي الْآخِرَةِ.

﴿وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[3]

كَانَ قَوْمٌ مِمَّنْ أَسْلَمَ بِمَكَّةَ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ لِجَزَعِهِمْ مِمَّا رَأَوْا مِنْ غَلَبَةِ قُرَيْشٍ وَاسْتِضْعَافِهِمُ الْمُسْلِمِينَ، وَإِيذَائِهِمْ لَهُمْ، وَلِمَا كَانُوا يَعِدُونَهُمْ إِنْ رَجَعُوا مِنَ الْمَوَاعِيدِ– أَنْ يَنْقُضُوا مَا بَايَعُوا عَلَيْهِ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– فَثَبَّتَهُمُ اللَّهُ.

﴿وَلا تَشْتَرُوا﴾[4]: وَلَا تَسْتَبْدِلُوا.

﴿بِعَهْدِ اللَّهِ﴾[5]: وَبَيْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–.

﴿ثَمَنًا قَلِيلا﴾[6]: عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا يَسِيرًا، وَهُوَ مَا كَانَتْ قُرَيْشٌ يَعِدُونَهُمْ وَيُمَنُّونَهُمْ إِنْ رَجَعُوا.

﴿إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[7]: مِنْ إِظْهَارِكُمْ وَتَغْنِيمِكُمْ، وَمِنْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ: ﴿خَيْرٌ لَكُمْ﴾[8].

﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[9]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .
[9] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿مَا عِنْدَكُمْ﴾[1]: مِنْ أَعْرَاضِ الدُّنْيَا.

﴿يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[2]: مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ.

﴿بَاقٍ﴾[3]: لَا يَنْفَدُ.

وَقُرِئَ: "وَلَنَجْزِيَنَّ" بِالنُّونِ وَالْيَاءِ.

﴿الَّذِينَ صَبَرُوا﴾[4]: عَلَى أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَمَشَاقِّ الْإِسْلَامِ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ وُحِّدَتِ الْقَدَمُ وَنُكِّرَتْ؟

قُلْتُ: لِاسْتِعْظَامِ أَنْ تَزِلَّ قَدَمٌ وَاحِدَةٌ عَنْ طَرِيقِ الْحَقِّ بَعْدَ أَنْ ثَبَتَتْ عَلَيْهِ، فَكَيْفَ بِأَقْدَامٍ كَثِيرَةٍ؟

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[5]

فَإِنْ قُلْتَ: ﴿مَنْ﴾[6] مُتَنَاوِلٌ فِي نَفْسِهِ لِلذَّكَرِ وَالْأُنْثَى، فَمَا مَعْنَى تَبْيِينِهِ بِهِمَا؟

قُلْتُ: هُوَ مُبْهَمٌ صَالِحٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ لِلنَّوْعَيْنِ، إِلَّا أَنَّهُ إِذَا ذُكِرَ كَانَ الظَّاهِرُ تَنَاوُلَهُ لِلذُّكُورِ، فَقِيلَ: ﴿مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى﴾[7]: عَلَى التَّبْيِينِ، لِيَعُمَّ الْمَوْعِدُ النَّوْعَيْنِ جَمِيعًا.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿حَيَاةً طَيِّبَةً﴾[1]، يَعْنِي: فِي الدُّنْيَا وَهُوَ الظَّاهِرُ، لِقَوْلِهِ: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ﴾[2]: وَعَدَهُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾[3].

وَذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنَ مَعَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ مُوسِرًا كَانَ أَوْ مُعْسِرًا يَعِيشُ عَيْشًا طَيِّبًا إِنْ كَانَ مُوسِرًا، فَلَا مَقَالَ فِيهِ، وَإِنْ كَانَ مُعْسِرًا، فَمَعَهُ مَا يُطَيِّبُ عَيْشَهُ وَهُوَ الْقَنَاعَةُ وَالرِّضَا بِقِسْمَةِ اللَّهِ.

وَأَمَّا الْفَاجِرُ، فَأَمْرُهُ عَلَى الْعَكْسِ: إِنْ كَانَ مُعْسِرًا فَلَا إِشْكَالَ فِي أَمْرِهِ، وَإِنْ كَانَ مُوسِرًا فَالْحِرْصُ لَا يَدْعُهُ أَنْ يَتَهَنَّأَ بِعَيْشِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا–: الْحَيَاةُ الطَّيِّبَةُ: الرِّزْقُ الْحَلَالُ، وَعَنِ الْحَسَنِ: الْقَنَاعَةُ، وَعَنْ قَتَادَةَ: يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ.

وَقِيلَ: هِيَ حَلَاوَةُ الطَّاعَةِ وَالتَّوْفِيقِ فِي قَلْبِهِ.

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾[4]

لَمَّا ذَكَرَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ وَوَعَدَ عَلَيْهِ، وَصَلَ بِهِ قَوْلَهُ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾[5]: إِيذَانًا بِأَنَّ الِاسْتِعَاذَةَ مِنْ جُمْلَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ الَّتِي يُجْزِلُ اللَّهُ عَلَيْهَا الثَّوَابَ.

وَالْمَعْنَى: فَإِذَا أَرَدْتَ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ فَاسْتَعِذْ، كَقَوْلِهِ: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ﴾[6]، وَكَقَوْلِكَ: إِذَا أَكَلْتَ فَسَمِّ اللَّهَ.

فَإِنْ قُلْتَ: لِمَ عَبَّرَ عَنْ إِرَادَةِ الْفِعْلِ بِلَفْظِ الْفِعْلِ؟

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة آلُ عِمْرَانَ، الآية 148.

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة الْمَائِدَةُ، الآية 6.

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

قُلْتُ: لِأَنَّ الْفِعْلَ يُوجَدُ عِنْدَ الْقَصْدِ وَالْإِرَادَةِ بِغَيْرِ فَاصِلٍ وَعَلَى حَسَبِهِ، فَكَانَ مِنْهُ بِسَبَبٍ قَوِيٍّ وَمُلَابَسَةٍ ظَاهِرَةٍ.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ –رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ–: قَرَأْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقُلْتُ: أَعُوذُ بِالسَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَقَالَ لِي: "يَا ابْنَ أُمِّ عَبْدٍ، قُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، هَكَذَا أَقْرَأَنِيهِ جِبْرِيلُ –عَلَيْهِ السَّلَامُ– عَنِ الْقَلَمِ عَنِ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ".

﴿لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ﴾[1]، أَيْ: تَسَلُّطٌ وَوِلَايَةٌ عَلَى أَوْلِيَاءِ اللَّهِ، يَعْنِي: أَنَّهُمْ لَا يَقْبَلُونَ مِنْهُ وَلَا يُطِيعُونَهُ فِيمَا يُرِيدُ مِنْهُمْ مَنِ اتِّبَاعِ خُطُوَاتِهِ.

﴿إِنَّمَا سُلْطَانُهُ﴾[2]: عَلَى مَنْ يَتَوَلَّاهُ وَيُطِيعُهُ.

﴿بِهِ مُشْرِكُونَ﴾: الضَّمِيرُ يَرْجِعُ إِلَى رَبِّهِمْ، وَيَجُوزُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى الشَّيْطَانِ، عَلَى مَعْنَى: بِسَبَبِهِ وَغُرُورِهِ وَوَسْوَسَتِهِ.

﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[3]

تَبْدِيلُ الْآيَةِ مَكَانَ الْآيَةِ: هُوَ النَّسْخُ، وَاللَّهُ –تَعَالَى– يَنْسَخُ الشَّرَائِعَ بِالشَّرَائِعِ، لِأَنَّهَا مَصَالِحُ، وَمَا كَانَ مَصْلَحَةً أَمْسِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مَفْسَدَةً الْيَوْمَ، وَخِلَافُهُ مَصْلَحَةً، وَاللَّهُ –تَعَالَى– عَالِمٌ بِالْمَصَالِحِ وَالْمَفَاسِدِ، فَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ وَيَنْسَخُ مَا يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ.

وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾[4]، وَجَدُوا مَدْخَلًا لِلطَّعْنِ فَطَعَنُوا؛ وَذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ وَبُعْدِهِمْ عَنِ الْعِلْمِ بِالنَّاسِخِ وَالْمَنْسُوخِ، وَكَانُوا يَقُولُونَ: إِنَّ مُحَمَّدًا يَسْخَرُ مِنْ أَصْحَابِهِ: يَأْمُرُهُمُ الْيَوْمَ بِأَمْرٍ وَيَنْهَاهُمْ عَنْهُ غَدًا، فَيَأْتِيهِمْ بِمَا هُوَ أَهْوَنُ. وَلَقَدِ افْتَرَوْا، فَقَدْ كَانَ يَنْسَخُ الْأَشَقَّ بِالْأَهْوَنِ، وَالْأَهْوَنَ بِالْأَشَقِّ، وَالْأَهْوَنَ بِالْأَهْوَنِ، وَالْأَشَقَّ بِالْأَشَقِّ، لِأَنَّ الْغَرَضَ الْمَصْلَحَةُ، لَا الْهَوَانُ وَالْمَشَقَّةُ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: هَلْ فِي ذِكْرِ تَبْدِيلِ الْآيَةِ بِالْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْقُرْآنَ إِنَّمَا يُنْسَخُ بِمِثْلِهِ، وَلَا يَصِحُّ بِغَيْرِهِ مِنَ السُّنَّةِ وَالْإِجْمَاعِ وَالْقِيَاسِ؟

قُلْتُ: فِيهِ أَنَّ قُرْآنًا يُنْسَخُ بِمِثْلِهِ، وَلَيْسَ فِيهِ نَفْيُ نَسْخِهِ بِغَيْرِهِ، عَلَى أَنَّ السُّنَّةَ الْمَكْشُوفَةَ الْمُتَوَاتِرَةَ مِثْلُ الْقُرْآنِ فِي إِيجَابِ الْعِلْمِ، فَنَسْخُهُ بِهَا كَنَسْخِهِ بِمِثْلِهِ.

وَأَمَّا الْإِجْمَاعُ وَالْقِيَاسُ وَالسُّنَّةُ غَيْرُ الْمَقْطُوعِ بِهَا، فَلَا يَصِحُّ نَسْخُ الْقُرْآنِ بِهَا.

﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1]

فِي ﴿يُنَزِّلُ﴾[2]، وَ﴿نَزَّلَهُ﴾[3]: وَمَا فِيهِمَا مِنَ التَّنْزِيلِ شَيْئًا فَشَيْئًا عَلَى حَسَبِ الْحَوَادِثِ وَالْمَصَالِحِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ التَّبْدِيلَ مِنْ بَابِ الْمَصَالِحِ كَالتَّنْزِيلِ، وَأَنَّ تَرْكَ النَّسْخِ بِمَنْزِلَةِ إِنْزَالِهِ دُفْعَةً وَاحِدَةً فِي خُرُوجِهِ عَنِ الْحِكْمَةِ.

و﴿رُوحُ الْقُدُسِ﴾[4]: جِبْرِيلُ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- أُضِيفَ إِلَى الْقُدُسِ وَهُوَ الطُّهْرُ، كَمَا يُقَالُ: حَاتِمُ الْجُودِ وَزَيْدُ الْخَيْرِ.

وَالْمُرَادُ: الرُّوحُ الْمُقَدَّسُ، وَحَاتِمٌ الْجَوَادُ، وَزَيْدٌ الْخَيْرُ، وَالْمُقَدَّسُ: الْمُطَهَّرُ مِنَ الْمَآثِمِ، وَقُرِئَ : بِضَمِّ الدَّالِ وَسُكُونِهَا.

﴿بِالْحَقِّ﴾[5]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: نَزَّلَهُ مُلْتَبِسًا بِالْحِكْمَةِ، يَعْنِي: أَنَّ النَّسْخَ مِنْ جُمْلَةِ الْحَقِّ.

﴿لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[6]: لِيَبْلُوَهُمْ بِالنَّسْخِ، حَتَّى إِذَا قَالُوا فِيهِ: هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا وَالْحِكْمَةُ، حَكَمَ لَهُمْ بِثَبَاتِ الْقَدَمِ وَصِحَّةِ الْيَقِينِ وَطُمَأْنِينَةِ الْقُلُوبِ، عَلَى أَنَّ اللَّهَ حَكِيمٌ فَلَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا هُوَ حِكْمَةٌ وَصَوَابٌ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَهُدًى وَبُشْرَى﴾[1]: مَفْعُولٌ لَهُمَا مَعْطُوفَانِ عَلَى مَحَلِّ لِيُثَبِّتَ. وَالتَّقْدِيرُ: تَثْبِيتًا لَهُمْ وَإِرْشَادًا وَبِشَارَةً، وَفِيهِ تَعْرِيضٌ بِحُصُولِ أَضْدَادِ هَذِهِ الْخِصَالِ لِغَيْرِهِمْ.

وَقُرِئَ: "لِيُثْبِتَ" بِالتَّخْفِيفِ.

﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[2]

أَرَادُوا بِالْبَشَرِ: غُلَامًا كَانَ لِحُوَيْطِبِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى قَدْ أَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، اسْمُهُ: عَائِشٌ أَوْ يَعِيشُ، وَكَانَ صَاحِبَ كُتُبٍ، وَقِيلَ: هُوَ جَبْرٌ، غُلَامٌ رُومِيٌّ كَانَ لِعَامِرِ بْنِ الْحَضْرَمِيِّ.

وَقِيلَ: عَبْدَانِ : جَبْرٌ وَيَسَارٌ، كَانَا يَصْنَعَانِ السُّيُوفَ بِمَكَّةَ وَيَقْرَآنِ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، فَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– إِذَا مَرَّ وَقَفَ عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مَا يَقْرَآنِ، فَقَالُوا: يُعَلِّمَانِهِ، فَقِيلَ لِأَحَدِهِمَا، فَقَالَ: بَلْ هُوَ يُعَلِّمُنِي.

وَقِيلَ: هُوَ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَاللِّسَانُ: اللُّغَةُ، وَيُقَالُ: أَلْحَدَ الْقَبْرَ وَلَحَدَهُ، وَهُوَ مُلْحِدٌ وَمَلْحُودٌ، إِذَا أَمَالَ حَفْرَهُ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ، فَحَفَرَ فِي شَقِّ مِنْهُ ثُمَّ اسْتُعِيرَ لِكُلِّ إِمَالَةٍ عَنِ اسْتِقَامَةٍ، فَقَالُوا: أَلْحَدَ فُلَانٌ فِي قَوْلِهِ، وَأَلْحَدَ فِي دِينِهِ، وَمِنْهُ الْمُلْحِدُ، لِأَنَّهُ أَمَالَ مَذْهَبَهُ عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا، لَمْ يُمِلْهُ عَنْ دِينٍ إِلَى دِينٍ، وَالْمَعْنَى: لِسَانُ الرَّجُلِ الَّذِي يُمِيلُونَ قَوْلَهُمْ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ إِلَيْهِ لِسَانٌ.

﴿أَعْجَمِيٌّ﴾[3]: غَيْرُ بَيِّنٍ.

﴿وَهَذَا﴾[4]: الْقُرْآنُ.

﴿لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾[5]: ذُو بَيَانٍ وَفَصَاحَةٍ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ وَإِبْطَالًا لِطَعْنِهِمْ.

وَقُرِئَ: "يَلْحَدُونَ": بِفَتْحِ الْيَاءِ وَالْحَاءِ.

وَفِي قِرَاءَةِ الْحَسَنِ: اللِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ بِتَعْرِيفِ اللِّسَانِ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: الْجُمْلَةُ الَّتِي هِيَ قَوْلُهُ: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾[1] مَا مَحَلُّهَا؟

قُلْتُ: لَا مَحَلَّ لَهَا، لِأَنَّهَا مُسْتَأْنَفَةٌ جَوَابٌ لِقَوْلِهِمْ، وَمِثْلُهُ قَوْلُهُ: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[2] بَعْدَ قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ﴾[3].

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[4]

﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾[5]، أَيْ: يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ.

﴿لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ﴾[6]: لَا يَلْطُفُ بِهِمْ، لِأَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ الْخِذْلَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، لَا مِنْ أَهْلِ اللُّطْفِ وَالثَّوَابِ.

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ﴾[7]: رَدٌّ لِقَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾[8]، يَعْنِي: إِنَّمَا يَلِيقُ افْتِرَاءُ الْكَذِبِ بِمَنْ لَا يُؤْمِنُ، لِأَنَّهُ لَا يَتَرَقَّبُ عِقَابًا عَلَيْهِ.

﴿وَأُولَئِكَ﴾[9]: إِشَارَةٌ إِلَى قُرَيْشٍ، ﴿هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[10]، أَيْ: هُمُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فَهُمُ الْكَاذِبُونَ، أَوْ إِلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ، أَيْ: أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ عَلَى الْحَقِيقَةِ الْكَامِلُونَ فِي الْكَذِبِ، لِأَنَّ تَكْذِيبَ آيَاتِ اللَّهِ أَعْظَمُ الْكَذِبِ: أَوْ أُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ عَادَتْهُمُ الْكَذِبُ لَا

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 124.
[3] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 124.
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .
[8] سورة النَّحْلِ، الآية .
[9] سورة النَّحْلِ، الآية .
[10] سورة النَّحْلِ، الآية .

يُبَالُونَ بِهِ فِي كُلِّ شَيْءٍ، لَا تَحْجُبُهُمْ عَنْهُ مُرُوءَةٌ وَلَا دِينٌ، أَوْ أُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾[1].

﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾[2]

﴿مَنْ كَفَرَ﴾[3]: بَدَلَ مِنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ، عَلَى أَنْ يُجْعَلَ: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾[4]: اعْتِرَاضًا بَيْنَ الْبَدَلِ وَالْمُبْدَلِ مِنْهُ.

وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ وَاسْتَثْنَى مِنْهُمُ الْمُكْرَهَ، فَلَمْ يَدْخُلْ تَحْتَ حُكْمِ الِافْتِرَاءِ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا﴾[5]، أَيْ: طَابَ بِهِ نَفْسًا وَاعْتَقَدَهُ، ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ﴾[6]: وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بَدَلًا مِنَ الْمُبْتَدَأِ الَّذِي هُوَ: ﴿أُولَئِكَ﴾[7] عَلَى: وَمَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ الْكَاذِبُونَ، أَوْ مِنَ الْخَبَرِ الَّذِي هُوَ الْكَاذِبُونَ، عَلَى: وَأُولَئِكَ هُمْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَنْتَصِبَ عَلَى الذَّمِّ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَقَدْ جَوَّزُوا أَنْ يَكُونَ: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ﴾[1]: شَرْطًا مُبْتَدَأً، وَيُحْذَفُ جَوَابُهُ، لِأَنَّ جَوَابَ: ﴿مَنْ شَرَحَ﴾[2]: دَالٌّ عَلَيْهِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ، إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ، وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ.

رُوِيَ أَنَّ نَاسًا مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ فُتِنُوا فَارْتَدُّوا عَنِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ دُخُولِهِمْ فِيهِ، وَكَانَ فِيهِمْ مَنْ أُكْرِهَ، فَأَجْرَى كَلِمَةَ الْكُفْرِ عَلَى لِسَانِهِ وَهُوَ مُعْتَقِدٌ لِلْإِيمَانِ، مِنْهُمْ: عَمَّارٌ، وَأَبَوَاهُ– يَاسِرٌ وَسُمَيَّةُ–، وَصُهَيْبٌ، وَبِلَالٌ، وَخَبَّابٌ، وَسَالِمٌ: عُذِّبُوا، فَأَمَّا سُمَيَّةُ: فَقَدْ رُبِطَتْ بَيْنَ بَعِيرَيْنِ وَوُجِئَ فِي قُبُلِهَا بِحَرْبَةٍ، وَقَالُوا: إِنَّكِ أَسْلَمْتِ مِنْ أَجْلِ الرِّجَالِ فَقُتِلَتْ، وَقُتِلَ يَاسِرٌ، وَهُمَا أَوَّلُ قَتِيلَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا عَمَّارٌ: فَقَدْ أَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ مُكْرَهًا، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ عَمَّارًا كَفَرَ، فَقَالَ: "كَلَّا، إِنَّ عَمَّارًا مُلِئَ إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِلَحْمِهِ وَدَمِهِ" فَأَتَى عَمَّارٌ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– وَهُوَ يَبْكِي، فَجَعَلَ النَّبِيُّ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: "مَالَكَ! إِنْ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ"، وَمِنْهُمْ جَبْرٌ مَوْلَى الْحَضْرَمِيِّ، أَكْرَهَهُ سَيِّدُهُ فَكَفَرَ ثُمَّ أَسْلَمَ مَوْلَاهُ وَأَسْلَمَ، وَحَسُنَ إِسْلَامُهُمَا، وَهَاجَرَا".

فَإِنْ قُلْتَ: أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَفْضَلُ، أَفِعْلُ عَمَّارٍ أَمْ فِعْلُ أَبَوَيْهِ؟

قُلْتُ: بَلْ فِعْلُ أَبَوَيْهِ، لِأَنَّ فِي تَرْكِ التَّقِيَّةِ وَالصَّبْرِ عَلَى الْقَتْلِ إِعْزَازًا لِلْإِسْلَامِ، وَقَدْ رُوِيَ: أَنَّ مُسَيْلِمَةَ أَخَذَ رَجُلَيْنِ، فَقَالَ لِأَحَدِهِمَا: مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِيَّ؟ قَالَ أَنْتَ أَيْضًا– فَخَلَّاهُ، وَقَالَ لِلْآخَرِ: مَا تَقُولُ فِي مُحَمَّدٍ؟ قَالَ: رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ: فَمَا تَقُولُ فِيَّ؟ قَالَ: أَنَا أَصَمُّ، فَأَعَادَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَأَعَادَ جَوَابَهُ، فَقَتَلَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–، فَقَالَ: "أَمَّا الْأَوَّلُ: فَقَدْ أَخَذَ بِرُخْصَةِ اللَّهِ، وَأَمَّا الثَّانِي: فَقَدْ صَدَعَ بِالْحَقِّ فَهَنِيئًا لَهُ"، "ذَلِكَ": إِشَارَةٌ إِلَى الْوَعِيدِ، وَأَنَّ الْغَضَبَ وَالْعَذَابَ يَلْحَقَانِهِمْ بِسَبَبِ اسْتِحْبَابِهِمُ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَاسْتِحْقَاقِهِمْ خِذْلَانَ اللَّهِ بِكُفْرِهِمْ.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾[3]: الْكَامِلُونَ فِي الْغَفْلَةِ، الَّذِينَ لَا أَحَدَ أَغْفَلُ مِنْهُمْ، لِأَنَّ الْغَفْلَةَ عَنْ تَدَبُّرِ الْعَوَاقِبِ هِيَ غَايَةُ الْغَفْلَةِ وَمُنْتَهَاهَا.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾[1]

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ﴾[2]: دَلَالَةٌ عَلَى تَبَاعُدِ حَالِ هَؤُلَاءِ مِنْ حَالِ أُولَئِكَ، وَهُمْ عَمَّارٌ وَأَصْحَابُهُ، وَمَعْنَى: إِنَّ رَبَّكَ لَهُمْ، أَنَّهُ لَهُمْ لَا عَلَيْهِمْ، بِمَعْنَى: أَنَّهُ وَلِيُّهُمْ وَنَاصِرُهُمْ لَا عَدُوُّهُمْ وَخَاذِلُهُمْ، كَمَا يَكُونُ الْمَلِكُ لِلرَّجُلِ لَا عَلَيْهِ، فَيَكُونُ مَحْمِيًّا مَنْفُوعًا غَيْرَ مَضْرُورٍ.

﴿مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾[3]: بِالْعَذَابِ وَالْإِكْرَاهِ عَلَى الْكُفْرِ.

وَقُرِئَ : "فَتَنُوا": عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، أَيْ: بَعْدَ مَا عَذَّبُوا الْمُؤْمِنِينَ كَالْحَضْرَمِيِّ وَأَشْبَاهِهِ.

﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾[4]: مِنْ بَعْدِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَهِيَ الْهِجْرَةُ وَالْجِهَادُ وَالصَّبْرُ.

﴿يَوْمَ تَأْتِي﴾[5]: مَنْصُوبٌ بِرَحِيمٍ، أَوْ بِإِضْمَارِ اذْكُرْ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى النَّفْسِ الْمُضَافَةِ إِلَى النَّفْسِ؟

قُلْتُ: يُقَالُ لِعَيْنِ الشَّيْءِ وَذَاتِهِ نَفْسُهُ، وَفِي نَقِيضِهِ غَيْرُهُ، وَالنَّفْسُ الْجُمْلَةُ كَمَا هِيَ، فَالنَّفْسُ الْأُولَى: هِيَ الْجُمْلَةُ، وَالثَّانِيَةُ: عَيْنُهَا وَذَاتُهَا؛ فَكَأَنَّهُ قِيلَ: يَوْمَ يَأْتِي كُلُّ إِنْسَانٍ يُجَادِلُ عَنْ ذَاتِهِ لَا يُهِمُّهُ شَأْنُ غَيْرِهِ، كُلٌّ يَقُولُ: نَفْسِي نَفْسِي.

وَمَعْنَى الْمُجَادَلَةِ عَنْهَا: الِاعْتِذَارُ عَنْهَا، كَقَوْلِهِ: ﴿هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا﴾[6]، ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾[7]، وَنَحْوُ ذَلِكَ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة الْأَعْرَافُ، الآية 38.

[7] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 23.

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1]

﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً﴾[2]، أَيْ: جَعَلَ الْقَرْيَةَ الَّتِي هَذِهِ حَالُهَا مَثَلًا لِكُلِّ قَوْمٍ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَأَبْطَرَتْهُمُ النِّعْمَةُ، فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ بِهِمْ نِقْمَتَهُ.

فَيَجُوزُ أَنْ تُرَادَ قَرْيَةٌ مُقَدَّرَةٌ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ، وَأَنْ تَكُونَ فِي قُرَى الْأَوَّلِينَ قَرْيَةٌ كَانَتْ هَذِهِ حَالُهَا، فَضَرَبَهَا اللَّهُ مَثَلًا لِمَكَّةَ إِنْذَارًا مِنْ مِثْلِ عَاقِبَتِهَا.

﴿مُطْمَئِنَّةً﴾[3]: لَا يُزْعِجُهَا خَوْفٌ، لِأَنَّ الطُّمَأْنِينَةَ مَعَ الْأَمْنِ، وَالِانْزِعَاجَ وَالْقَلَقَ مَعَ الْخَوْفِ.

﴿رَغَدًا﴾[4]: وَاسِعًا، وَالْأَنْعُمُ: جَمْعُ نِعْمَةٍ، عَلَى تَرْكِ الِاعْتِدَادِ بِالتَّاءِ، كَدِرْعٍ وَأَدْرُعٍ، أَوْ جَمْعُ نُعْمٍ، كَبُؤْسٍ وَأَبْؤُسٍ، وَفِي الْحَدِيثِ نَادَى مُنَادِي النَّبِيِّ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- بِالْمَوْسِمِ بِمِنًى: "إِنَّهَا أَيَّامُ طُعْمٍ وَنُعْمٍ فَلَا تَصُومُوا".

فَإِنْ قُلْتَ: الْإِذَاقَةُ وَاللِّبَاسُ اسْتِعَارَتَانِ، فَمَا وَجْهُ صِحَّتِهِمَا؟ وَالْإِذَاقَةُ الْمُسْتَعَارَةُ مُوقِعَةٌ عَلَى اللِّبَاسِ الْمُسْتَعَارِ، فَمَا وَجْهُ صِحَّةِ إِيقَاعِهَا عَلَيْهِ؟

قُلْتُ: أَمَّا الْإِذَاقَةُ: فَقَدْ جَرَتْ عِنْدَهُمْ مَجْرَى الْحَقِيقَةِ، لِشُيُوعِهَا فِي الْبَلَايَا وَالشَّدَائِدِ وَمَا يَمَسُّ النَّاسَ مِنْهَا، فَيَقُولُونَ: ذَاقَ فُلَانٌ الْبُؤْسَ وَالضُّرَّ، وَأَذَاقَهُ الْعَذَابَ: شَبَّهَ مَا يُدْرَكُ مِنْ أَثَرِ الضَّرَرِ وَالْأَلَمِ بِمَا يُدْرَكُ مِنْ طَعْمِ الْمُرِّ وَالْبَشِعِ.

وَأَمَّا اللِّبَاسُ: فَقَدْ شُبِّهَ بِهِ لِاشْتِمَالِهِ عَلَى اللَّابِسِ: مَا غَشِيَ الْإِنْسَانَ وَالْتَبَسَ بِهِ مِنْ بَعْضِ الْحَوَادِثِ.

وَأَمَّا إِيقَاعُ الْإِذَاقَةِ عَلَى لِبَاسِ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ، فَلِأَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ عِبَارَةً: "عَمَّا يُغْشَى مِنْهُمَا"، وَيُلَابَسُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: فَأَذَاقَهُ مَا غَشِيَهُمْ مِنَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ، وَلَهُمْ فِي نَحْوِ هَذَا طَرِيقَانِ لَا بُدَّ مِنَ الْإِحَاطَةِ بِهِمَا، فَإِنَّ الِاسْتِنْكَارَ لَا يَقَعُ إِلَّا لِمَنْ فَقَدَهُمَا:

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

–أَحَدُهُمَا: أَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ إِلَى الْمُسْتَعَارِ لَهُ، كَمَا نَظَرَ إِلَيْهِ هَهُنَا، وَنَحْوُهُ قَوْلُ كُثَيِّرٍ:

غَمْرُ الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًـــــا غَلِقَتْ لِضِحْكَتِهِ رِقَابُ الْمَالِ

اسْتِعَارَةُ الرِّدَاءِ لِلْمَعْرُوفِ، لِأَنَّهُ يَصُونُ عِرْضَ صَاحِبِهِ صَوْنَ الرِّدَاءِ لِمَا يُلْقَى عَلَيْهِ، وَوَصْفُهُ بِالْغَمْرِ الَّذِي هُوَ وَصْفُ الْمَعْرُوفِ وَالنَّوَالِ، لَا صِفَةُ الرِّدَاءِ، نَظَرٌ إِلَى الْمُسْتَعَارِ لَهُ.

–وَالثَّانِي: أَنْ يَنْظُرُوا فِيهِ إِلَى الْمُسْتَعَارِ، كَقَوْلِهِ:

يُنَازِعُنِي رِدَائِي عَبْدُ عَمْـــــرٍو رُوَيْدَكَ يَا أَخَا عَمْرِو بْنِ بَكْرِ

لِيَ الشَّطْرُ الَّذِي مَلَكَتْ يَمِينِي وَدُونَكَ فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْـــرِ

أَرَادَ بِرِدَائِهِ سَيْفَهُ، ثُمَّ قَالَ: فَاعْتَجِرْ مِنْهُ بِشَطْرٍ، فَنَظَرَ إِلَى الْمُسْتَعَارِ فِي لَفْظِ الِاعْتِجَارِ، وَلَوْ نَظَرَ إِلَيْهِ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ لَقِيلَ: فَكَسَاهُمْ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ، وَلَقَالَ كُثَيِّرٌ: ضَافِي الرِّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا.

﴿وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾[1]: فِي حَالِ الْتِبَاسِهِمْ بِالظُّلْمِ، كَقَوْلِهِ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ﴾[2]، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ مُفَاجَأَةِ النِّقْمَةِ وَالْمَوْتِ عَلَى الْغَفْلَةِ.

وَقُرِئَ: "وَالْخَوْفَ": عَطْفًا عَلَى اللِّبَاسِ، أَوْ عَلَى تَقْدِيرِ حَذْفِ الْمُضَافِ وَإِقَامَةِ الْمُضَافِ إِلَيْهِ مَقَامَهُ، أَصْلُهُ: وَلِبَاسَ الْخَوْفِ.

وَقُرِئَ: "لِبَاسَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ".

﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[3]

لَمَّا وَعَظَهُمْ بِمَا ذَكَرَ مِنْ حَالِ الْقَرْيَةِ وَمَا أُوتِيَتْ بِهِ مِنْ كُفْرِهَا وَسُوءِ صَنِيعِهَا، وَصَلَ بِذَلِكَ بِالْفَاءِ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَكُلُواْ﴾[4]: صَدَّهُمْ عَنْ أَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ وَمَذَاهِبِهِمُ الْفَاسِدَةِ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا، بِأَنْ أَمَرَهُمْ بِأَكْلِ مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْحَلَالِ الطَّيِّبِ، وَشُكْرِ إِنْعَامِهِ بِذَلِكَ،

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية 28.

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَقَالَ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1]، يَعْنِي: تُطِيعُونَ، أَوْ إِنْ صَحَّ زَعْمُكُمْ أَنَّكُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ بِعِبَادَةِ الْآلِهَةِ، لِأَنَّهَا شُفَعَاؤُكُمْ عِنْدَهُ، ثُمَّ عَدَّدَ عَلَيْهِمْ مُحَرَّمَاتِ اللَّهِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ تَحْرِيمِهِمْ وَتَحْلِيلِهِمْ بِأَهْوَائِهِمْ وَجَهَالَاتِهِمْ، دُونَ اتِّبَاعِ مَا شَرَعَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ أَنْبِيَائِهِ.

﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[2]

وَانْتِصَابُ ﴿الْكَذِبَ﴾[3]: بِلَا تَقُولُوا، عَلَى: وَلَا تَقُولُوا الْكَذِبَ لِمَا تَصِفُهُ أَلْسِنَتُكُمْ مِنَ الْبَهَائِمِ بِالْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ فِي قَوْلِكُمْ: ﴿مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا﴾[4]، مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادِ ذَلِكَ الْوَصْفِ إِلَى وَحْيٍ مِنَ اللَّهِ أَوْ إِلَى قِيَاسٍ مُسْتَنِدٍ إِلَيْهِ، وَاللَّامُ مِثْلُهَا فِي قَوْلِكَ: وَلَا تَقُولُوا لِمَا أَحَلَّ اللَّهُ هُوَ حَرَامٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ﴾[5]: بَدَلٌ مِنَ الْكَذِبِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَتَعَلَّقَ بِـ ﴿تَصِفُ﴾[6] عَلَى إِرَادَةِ الْقَوْلِ، أَيْ: وَلَا تَقُولُوا الْكَذِبَ لِمَا تَصِفُهُ أَلْسِنَتُكُمْ، فَتَقُولُ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ.

وَلَكَ أَنْ تَنْصِبَ الْكَذِبَ بِـ ﴿تَصِفُ﴾[7]، وَتَجْعَلَ ﴿مَا﴾[8]: مَصْدَرِيَّةً، وَتُعَلِّقَ "هذا حَلَالٌ وَهذا حَرَامٌ" بِلَا تَقُولُوا: عَلَى وَلَا تَقُولُوا هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِوَصْفِ أَلْسِنَتِكُمُ الْكَذِبَ، أَيْ: لَا تُحَرِّمُوا وَلَا تُحَلِّلُوا لِأَجْلِ قَوْلٍ تَنْطِقُ بِهِ أَلْسِنَتُكُمْ وَيَجُولُ فِي أَفْوَاهِكُمْ، لَا لِأَجْلِ حُجَّةٍ وَبَيِّنَةٍ، وَلَكِنْ قَوْلٌ سَاذَجٌ وَدَعْوَى فَارِغَةٌ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة الْأَنْعَامُ، الآية 139.

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

[8] سورة النَّحْلِ، الآية .

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى وَصْفِ أَلْسِنَتِهِمُ الْكَذِبَ؟

قُلْتُ: هُوَ مِنْ فَصِيحِ الْكَلَامِ وَبَلِيغِهِ، جَعَلَ قَوْلَهُمْ كَأَنَّهُ عَيْنُ الْكَذِبِ وَمَحْضُهُ، فَإِذَا نَطَقَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ، فَقَدْ حَلَّتِ الْكَذِبَ بِحِلِّيَتِهِ وَصَوَّرَتْهُ بِصُورَتِهِ، كَقَوْلِهِمْ: وَجْهُهَا يَصِفُ الْجَمَالَ، وَعَيْنُهَا تَصِفُ السِّحْرَ.

وَقُرِئَ: "الْكَذِبِ" بِالْجَرِّ صِفَةً لِـ ﴿مَا﴾[1] الْمَصْدَرِيَّةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: لِوَصْفِهَا الْكَذِبِ، بِمَعْنَى: الْكَاذِبِ، كَقَوْلِهِ –تَعَالَى–: ﴿بِدَمٍ كَذِبٍ﴾[2]، وَالْمُرَادُ بِالْوَصْفِ: وَصَفُهَا الْبَهَائِمَ بِالْحِلِّ وَالْحُرْمَةِ.

وَقُرِئَ : "الْكُذُبُ": جَمْعُ كَذُوبٍ بِالرَّفْعِ، صِفَةً لِلْأَلْسِنَةِ، وَبِالنَّصْبِ عَلَى الشَّتْمِ، أَوْ بِمَعْنَى: الْكَلِمَ الْكَوَاذِبَ، أَوْ هُوَ جَمْعُ الْكَذَّابِ مِنْ قَوْلِكَ: كَذَبَ كِذَّابًا، ذَكَرَهُ ابْنُ جِنِّيٍّ.

وَاللَّامُ فِي ﴿لِتَفْتَرُوا﴾[3]: مِنَ التَّعْلِيلِ الَّذِي لَا يَتَضَمَّنُ مَعْنَى الْغَرَضِ.

﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾[4]: خَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: مَنْفَعَتُهُمْ فِيمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَفْعَالِ الْجَاهِلِيَّةِ مَنْفَعَةٌ قَلِيلَةٌ وَعِقَابُهَا عَظِيمٌ.

﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾[5]

يَعْنِي: فِي سُورَةِ الْأَنْعَامِ.

﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[6]

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

[6] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿بِجَهَالَةٍ﴾[1]: فِي مَوْضِعِ الْحَالِ، أَيْ: عَمِلُوا السُّوءَ جَاهِلِينَ غَيْرَ عَارِفِينَ بِاللَّهِ وَبِعِقَابِهِ، أَوْ غَيْرَ مُتَدَبِّرِينَ لِلْعَاقِبَةِ لِغَلَبَةِ الشَّهْوَةِ عَلَيْهِمْ.

﴿مِنْ بَعْدِهَا﴾[2]: مِنْ بَعْدِ التَّوْبَةِ.

﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[3]

﴿كَانَ أُمَّةً﴾[4] فِيهِ وَجْهَانِ:

-أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ كَانَ وَحْدَهُ أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ لِكَمَالِهِ فِي جَمِيعِ صِفَاتِ الْخَيْرِ، كَقَوْلِهِ:

وَلَيْسَ عَلَى اللَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ... أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِـــــدِ

وَعَنْ مُجَاهِدٍ: كَانَ مُؤْمِنًا وَحْدَهُ وَالنَّاسُ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ.

-وَالثَّانِي: أَنْ يَكُونَ أُمَّةٌ بِمَعْنَى مَأْمُومٍ، أَيْ: يَؤُمُّهُ النَّاسُ لِيَأْخُذُوا مِنْهُ الْخَيْرَ، أَوْ بِمَعْنَى: مُؤْتَمٌّ بِهِ كَالرُّحْلَةِ وَالنُّخْبَةِ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ مِمَّا جَاءَ مِنْ فُعْلَةٍ بِمَعْنَى: مَفْعُولٍ، فَيَكُونُ مِثْلَ قَوْلِهِ: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾[5].

وَرَوَى الشَّعْبِيُّ عَنْ فَرْوَةَ بْنِ نَوْفَلٍ الْأَشْجَعِيِّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ، فَقُلْتُ: غَلِطْتَ، إِنَّمَا هُوَ إِبْرَاهِيمُ، فَقَالَ: الْأُمَّةُ: الَّذِي يَعْلَمُ الْخَيْرَ، وَالْقَانِتُ الْمُطِيعُ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، وَكَانَ مُعَاذٌ كَذَلِكَ.

وَعَنْ عُمَرَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ- أَنَّهُ قَالَ حِينَ قِيلَ لَهُ: أَلَا تَسْتَخْلِفُ؟ لَوْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ حَيًّا لَاسْتَخْلَفْتُهُ، وَلَوْ كَانَ مُعَاذٌ حَيًّا لَاسْتَخْلَفْتُهُ، وَلَوْ كَانَ سَالِمٌ حَيًّا لَاسْتَخْلَفْتُهُ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يَقُولُ: "أَبُو عُبَيْدَةَ أَمِينُ هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَمُعَاذٌ أُمَّةٌ قَانِتٌ لِلَّهِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا الْمُرْسَلُونَ، وَسَالِمٌ شَدِيدُ الْحُبِّ لِلَّهِ، لَوْ كَانَ

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة الْبَقَرَةُ، الآية 124.

لَا يَخَافُ اللَّهَ لَمْ يَعْصِهِ"، وَهُوَ ذَلِكَ الْمَعْنَى، أَيْ: كَانَ إِمَامًا فِي الدِّينِ، لِأَنَّ الْأَئِمَّةَ مُعَلِّمُو الْخَيْرِ، وَالْقَانِتُ: الْقَائِمُ بِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، وَالْحَنِيفُ: الْمَائِلُ إِلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ غَيْرُ الزَّائِلِ عَنْهُ، وَنَفَى عَنْهُ الشِّرْكَ، تَكْذِيبًا لِكُفَّارِ قُرَيْشٍ فِي زَعْمِهِمْ أَنَّهُمْ عَلَى مِلَّةِ أَبِيهِمْ إِبْرَاهِيمَ.

﴿شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ﴾[1]: رُوِيَ أَنَّهُ كَانَ لَا يَتَغَدَّى إِلَّا مَعَ ضَيْفٍ، فَلَمْ يَجِدْ ذَاتَ يَوْمٍ ضَيْفًا، فَأَخَّرَ غَدَاءَهُ، فَإِذَا هُوَ بِفَوْجٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ فِي صُورَةِ الْبَشَرِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّعَامِ فَخَيَّلُوا لَهُ أَنَّ بِهِمْ جُذَامًا؟ فَقَالَ: الْآنَ وَجَبَتْ مُوَاكَلَتِكُمْ شُكْرًا لِلَّهِ عَلَى أَنَّهُ عَافَانِي وَابْتَلَاكُمْ.

﴿اجْتَبَاهُ﴾: اخْتَصَّهُ وَاصْطَفَاهُ لِلنُّبُوَّةِ.

﴿وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾[2]: إِلَى مِلَّةِ الْإِسْلَامِ.

﴿حَسَنَةً﴾[3]: عَنْ قَتَادَةَ: هِيَ تَنَوَّبَهُ اللَّهُ بِذِكْرِهِ، حَتَّى لَيْسَ مِنْ أَهْلِ دِينٍ إِلَّا وَهُمْ يَتَوَلَّوْنَهُ، وَقِيلَ: الْأَمْوَالُ وَالْأَوْلَادُ.

وَقِيلَ: قَوْلُ الْمُصَلِّي مِنَّا: كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ.

﴿لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾[4]: لَمِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[5]

﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾[6]: فِي ﴿ثُمَّ﴾[7]: هَذِهِ مَا فِيهَا مِنْ تَعْظِيمِ مَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وَإِجْلَالِ مَحَلِّهِ، وَالْإِيذَانُ بِأَنَّ أَشْرَفَ مَا أُوتِيَ خَلِيلُ اللَّهِ إِبْرَاهِيمُ مِنَ

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

الْكَرَامَةِ، وَأَجَلَّ مَا أُولِيَ مِنَ النِّعْمَةِ: اتِّبَاعُ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مِلَّتَهُ، مِنْ قِبَلِ أَنَّهَا دَلَّتْ عَلَى تَبَاعُدِ هَذَا النَّعْتِ فِي الْمَرْتَبَةِ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ النُّعُوتِ الَّتِي أَثْنَى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا.

﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾[1]

﴿السَّبْتُ﴾[2]: مَصْدَرُ سَبَّتَتِ الْيَهُودُ إِذَا عَظَّمَتْ سَبْتَهَا، وَالْمَعْنَى: إِنَّمَا جُعِلَ وَبَالُ السَّبْتِ وَهُوَ الْمَسْخُ.

﴿عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[3]: وَاخْتِلَافُهُمْ فِيهِ أَنَّهُمْ أَحَلُّوا الصَّيْدَ فِيهِ تَارَةً وَحَرَّمُوهُ تَارَةً، وَكَانَ الْوَاجِبُ عَلَيْهِمْ أَنْ يَتَّفِقُوا فِي تَحْرِيمِهِ عَلَى كَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ بَعْدَمَا حَتَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الصَّبْرَ عَنِ الصَّيْدِ فِيهِ وَتَعْظِيمَهُ.

وَالْمَعْنَى فِي ذِكْرِ ذَلِكَ، نَحْوُ الْمَعْنَى فِي ضَرْبِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ مَثَلًا، وَغَيْرَ مَا ذُكِرَ، وَهُوَ الْإِنْذَارُ مِنْ سُخْطِ اللَّهِ عَلَى الْعُصَاةِ وَالْمُخَالِفِينَ لِأَوَامِرِهِ وَالْخَالِعِينَ رِبْقَةَ طَاعَتِهِ .

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَعْنَى الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ إِذَا كَانُوا جَمِيعًا مُحِلِّينَ أَوْ مُحَرِّمِينَ؟

قُلْتُ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ يُجَازِيهِمْ جَزَاءَ اخْتِلَافِ فِعْلِهِمْ فِي كَوْنِهِمْ مُحِلِّينَ تَارَةً وَمُحَرِّمِينَ أُخْرَى، وَوَجْهٌ آخَرُ: وَهُوَ أَنَّ مُوسَى –عَلَيْهِ السَّلَامُ– أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوا فِي الْأُسْبُوعِ يَوْمًا لِلْعِبَادَةِ، وَأَنْ يَكُونَ يَوْمَ الْجُمْعَةِ؛ فَأَبَوْا عَلَيْهِ وَقَالُوا: نُرِيدُ الْيَوْمَ الَّذِي فَرَغَ اللَّهُ فِيهِ مِنْ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ السَّبْتُ، إِلَّا شِرْذِمَةً مِنْهُمْ قَدْ رَضُوا بِالْجُمْعَةِ.

فَهَذَا اخْتِلَافُهُمْ فِي السَّبْتِ، لِأَنَّ بَعْضَهُمُ اخْتَارَهُ وَبَعْضَهُمُ اخْتَارَ عَلَيْهِ الْجُمْعَةَ، فَأَذِنَ اللَّهُ لَهُمْ فِي السَّبْتِ وَابْتَلَاهُمْ بِتَحْرِيمِ الصَّيْدِ فِيهِ، فَأَطَاعَ أَمْرَ اللَّهِ الرَّاضُونَ بِالْجُمْعَةِ، فَكَانُوا لَا يَصِيدُونَ فِيهِ، وَأَعْقَابُهُمْ لَمْ يَصْبِرُوا عَنِ الصَّيْدِ فَمَسَخَهُمُ اللَّهُ دُونَ أُولَئِكَ، وَهُوَ يَحْكُمُ ﴿بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾[4]: فَيُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ بِمَا يَسْتَوْجِبُهُ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة النَّحْلِ، الآية .

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

وَمَعْنَى: ﴿جُعِلَ السَّبْتُ﴾[1]: فُرِضَ عَلَيْهِمْ تَعْظِيمُهُ وَتَرْكُ الِاصْطِيَادِ فِيهِ.
وَقُرِئَ : "إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتَ" عَلَى الْبِنَاءِ لِلْفَاعِلِ، وَقَرَأَ عَبْدُ اللَّهِ: "إِنَّا أَنْزَلْنَا السَّبْتَ".

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾[2]

﴿إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ﴾[3]: إِلَى الْإِسْلَامِ.
﴿بِالْحِكْمَةِ﴾[4]: بِالْمَقَالَةِ الْمُحْكَمَةِ الصَّحِيحَةِ، وَهِيَ الدَّلِيلُ الْمُوَضِّحُ لِلْحَقِّ الْمُزِيلُ لِلشُّبْهَةِ.
﴿وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾[5]: وَهِيَ الَّتِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِمْ أَنَّكَ تُنَاصِحُهُمْ بِهَا وَتَقْصِدُ مَا يَنْفَعُهُمْ فِيهَا، وَيَجُوزُ أَنْ يُرِيدَ الْقُرْآنَ، أَيْ: ادْعُهُمْ بِالْكِتَابِ الَّذِي هُوَ حِكْمَةٌ وَمَوْعِظَةٌ حَسَنَةٌ.
﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾[6]: بِالطَّرِيقَةِ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ طُرُقِ الْمُجَادَلَةِ مِنَ الرِّفْقِ وَاللِّينِ، مِنْ غَيْرِ فَظَاظَةٍ وَلَا تَعْنِيفٍ.
﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ﴾[7]: بِهِمْ فَمَنْ كَانَ فِيهِ خَيْرٌ كَفَاهُ الْوَعْظُ الْقَلِيلُ وَالنَّصِيحَةُ الْيَسِيرَةُ، وَمَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ عَجَزَتْ عَنْهُ الْحِيَلُ، وَكَأَنَّكَ تَضْرِبُ مِنْهُ فِي حَدِيدٍ بَارِدٍ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .
[2] سورة النَّحْلِ، الآية .
[3] سورة النَّحْلِ، الآية .
[4] سورة النَّحْلِ، الآية .
[5] سورة النَّحْلِ، الآية .
[6] سورة النَّحْلِ، الآية .
[7] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾[1]

سُمِّيَ الْفِعْلُ الْأَوَّلُ بِاسْمِ الثَّانِي لِلْمُزَاوَجَةِ، وَالْمَعْنَى: إِنْ صَنَعَ بِكُمْ صَنِيعَ سُوءٍ مِنْ قَتْلٍ أَوْ نَحْوِهِ، فَقَابِلُوهُ بِمِثْلِهِ، وَلَا تَزِيدُوا عَلَيْهِ.

وَقُرِئَ: "وَإِنْ عَقَّبْتُمْ فَعَقِّبُوا"، أَيْ: وَإِنْ قَفَّيْتُمْ بِالِانْتِصَارِ فَقَفُّوا بِمِثْلِ مَا فُعِلَ بِكُمْ.

رُوِيَ أَنَّ الْمُشْرِكِينَ مَثَّلُوا بِالْمُسْلِمِينَ يَوْمَ أُحُدٍ: بَقَرُوا بُطُونَهُمْ وَقَطَعُوا مَذَاكِيرَهُمْ، مَا تَرَكُوا أَحَدًا غَيْرَ مَمْثُولٍ بِهِ إِلَّا حَنْظَلَةَ بْنَ الرَّاهِبِ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– عَلَى حَمْزَةَ، وَقَدْ مُثِّلَ بِهِ.

وَرُوِيَ: فَرَآهُ مَبْقُورَ الْبَطْنِ، فَقَالَ: "أَمَا وَالَّذِي أَحْلِفُ بِهِ، لَئِنْ أَظْفَرَنِي اللَّهُ بِهِمْ لَأُمَثِّلَنَّ بِسَبْعِينَ مَكَانَكَ"، فَنَزَلَتْ، فَكَفَّرَ عَنْ يَمِينِهِ وَكَفَّ عَمَّا أَرَادَهُ، وَلَا خِلَافَ فِي تَحْرِيمِ الْمُثْلَةِ، وَقَدْ وَرَدَتِ الْأَخْبَارُ بِالنَّهْيِ عَنْهَا حَتَّى بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ؛ إِمَّا أَنْ يَرْجِعَ الضَّمِيرُ فِي (فَضْله وَلَعَلَّكُمْ) إِلَى صَبْرِهِمْ وَهُوَ مَصْدَرُ صَبَرْتُمْ، وَيُرَادَ بِالصَّابِرِينَ: الْمُخَاطَبُونَ، أَيْ: وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَصَبْرُكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ، فَوُضِعَ الصَّابِرُونَ مَوْضِعَ الضَّمِيرِ، ثَنَاءً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُمْ صَابِرُونَ عَلَى الشَّدَائِدِ، أَوْ وَصَفَهُمْ بِالصِّفَةِ الَّتِي تَحْصُلُ لَهُمْ إِذَا صَبَرُوا عَنِ الْمُعَاقَبَةِ؛ وَإِمَّا أَنْ يَرْجِعَ إِلَى جِنْسِ الصَّبْرِ –وَقَدْ دَلَّ عَلَيْهِ صَبَرْتُمْ– وَيُرَادَ بِالصَّابِرِينَ جِنْسُهُمْ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَلَلصَّبْرُ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ.

وَنَحْوُهُ قَوْلُهُ –تَعَالَى–: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾[2]، ﴿وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[3]، ثُمَّ قَالَ لِرَسُولِهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: ﴿وَاصْبِرْ﴾[4]: أَنْتَ فَعَزَمَ عَلَيْهِ بِالصَّبْرِ، ﴿وَمَا صَبْرُكَ إِلا بِاللَّهِ﴾[5]، أَيْ: بِتَوْفِيقِهِ وَتَثْبِيتِهِ وَرَبْطِهِ عَلَى قَلْبِكَ.

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة الشُّورَى، الآية 40.

[3] سورة الْبَقَرَةُ، الآية 237.

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

[5] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ﴾[1]، أَيْ: عَلَى الْكَافِرِينَ، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾[2]، أَوْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَمَا فَعَلَ بِهِمُ الْكَافِرُونَ.

﴿وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ﴾[3]، وَقُرِئَ: "وَلَا تَكُنْ فِي ضِيقٍ"، أَيْ: وَلَا يَضِيقَنَّ صَدْرُكَ مِنْ مَكْرِهِمْ، وَالضِّيقِ: تَخْفِيفُ الضَّيِّقِ، أَيْ: فِي أَمْرٍ ضَيِّقٍ.

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضِّيقُ وَالضَّيِّقُ مَصْدَرَيْنِ، كَالْقِيلِ وَالْقَوْلِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾[4]، أَيْ: هُوَ وَلِيُّ الَّذِينَ اجْتَنَبُوا الْمَعَاصِيَ.

"وَ" وَلِيُّ (الَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ) فِي أَعْمَالِهِمْ.

وَعَنْ هَرَمِ بْنِ حَيَّانَ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ حِينَ احْتُضِرَ: أَوْصِ، فَقَالَ: إِنَّمَا الْوَصِيَّةُ مِنَ الْمَالِ وَلَا مَالَ لِي، وَأُوصِيكُمْ بِخَوَاتِمَ سُورَةِ النَّحْلِ.

عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ–: "مَنْ قَرَأَ سُورَةَ النَّحْلِ لَمْ يُحَاسِبْهُ اللَّهُ بِمَا أَنْعَمَ عَلَيْهِ فِي دَارِ الدُّنْيَا وَإِنْ مَاتَ فِي يَوْمٍ تَلَاهَا أَوْ لَيْلَتِهِ، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ كَالَّذِي مَاتَ وَأَحْسَنَ الْوَصِيَّةَ".

---

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

[2] سورة الْمَائِدَةُ، الآية 68.

[3] سورة النَّحْلِ، الآية .

[4] سورة النَّحْلِ، الآية .

محتويات الكتاب

مدونات الكتاب

كتاب تفسير الكشّاف

الجزء التّاسع **52 – 19**

سُورَةُ الرَّعْدِ		
﴿المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾		
﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾		
﴿وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٌ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾		
﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الأَغْلالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾		
﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثُلاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ﴾		

﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾		
﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾		
﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَّ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهِ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهِ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ﴾		
﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مِنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾		
﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلاّ كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاّ فِي ضَلالٍ﴾		
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾		
﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مَنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لا يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾		
﴿أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ		

مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلُهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ﴾		
﴿لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لافْتَدَوْا بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾		
﴿أَفَمَنْ يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ﴾		
﴿الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾		
﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾		
﴿اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلّا مَتَاعٌ﴾		
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مِنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ أَنَابَ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾		
﴿كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ لِتَتْلُوَ عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ		

رَبِّي لا إِلَهَ إِلا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾		
﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُمْ بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِنْ دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهُ لا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾		
﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾		
﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لا يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنَ هَادٍ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنَ وَاقٍ﴾		
﴿مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ﴾		
﴿وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُو وَإِلَيْهِ مَآبِ﴾		
﴿وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنَ وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ﴾		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلا مِنْ قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾		
﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾		

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾		
﴿وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّارُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ﴾		
﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلا قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾		
سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ		
﴿الر كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَوَيْلٌ لِلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ بَعِيدٍ﴾		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾		
﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾		
﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾		
﴿وَقَالَ مُوسَى إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾		
﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ لا يَعْلَمُهُمْ إِلّا اللَّهُ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا		

﴿أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَنَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾		
﴿قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى قَالُوا إِنْ أَنْتُمْ إِلا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴾		
﴿قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مَنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلّا بِإِذْنِ اللَّهَ وَعَلَى اللَّهَ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ وَمَا لَنَا أَلا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾		
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ الأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾		
﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِنْ مَاءٍ صَدِيدٍ يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ﴾		
﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلالُ الْبَعِيدُ﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾		
﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهِ لَهَدَيْنَاكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَحِيصٍ﴾		
﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ		

الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾		
﴿وَأُدْخِلَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلامٌ﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾		
﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾		
﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ﴾		
﴿قُلْ لِعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ وَلا خِلالٌ﴾		
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الأَنْهَارَ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾		
﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ		

أَنْ نَعْبُدَ الأَصْنَامَ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنْ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنْ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾		
﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾		
﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾		
﴿وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَاءٌ﴾		
﴿وَأَنْذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُمْ مِنْ قَبْلُ مَا لَكُمْ مِنْ زَوَالٍ وَسَكَنْتُمْ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ الأَمْثَالَ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرَهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرَهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾		
﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضُ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُقَرَّنِينَ فِي الأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِنْ قَطِرَانٍ وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ اللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾		

﴿هَذَا بَلاغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنْذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الأَلْبَابِ﴾		
سُورَةُ الْحِجْرِ		
﴿الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ﴾		
﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلا وَلَهَا كِتَابٌ مَعْلُومٌ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ﴾		
﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾		
﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلائِكَةِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾		
﴿مَا نُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ إِلّا بِالْحَقِّ وَمَا كَانُوا إِذًا مُنْظَرِينَ﴾		
﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الأَوَّلِينَ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاّ كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾		
﴿كَذَلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الأَوَّلِينَ﴾		
﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ لَقَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ وَحَفِظْنَاهَا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَجِيمٍ إِلا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُبِينٌ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْزُونٍ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَنْ لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾		
﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلاَّ بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾		
﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ		

وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾		
﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَأْخِرِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾		
﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ قَالَ لَمْ أَكُنْ لأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَلأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾		
﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ لا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾		
﴿نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الأَلِيمُ﴾		
﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلامًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ قَالُوا لا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلامٍ عَلِيمٍ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَى أَنْ مَسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ		

		تُبَشِّرُونَ قَالُوا بَشَّرْنَاكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُنْ مِنَ الْقَانِطِينَ قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلّا الضَّالُّونَ﴾
		﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ إِلّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ إِلّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾
		﴿فَلَمَّا جَاءَ آلَ لُوطٍ الْمُرْسَلُونَ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُنْكَرُونَ قَالُوا بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ وَأَتَيْنَاكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَاتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ وَلا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾
		﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ قَالَ إِنَّ هَؤُلاءِ ضَيْفِي فَلا تَفْضَحُونِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَلا تُخْزُونِ قَالُوا أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ الْعَالَمِينَ قَالَ هَؤُلاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ فَجَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُقِيمٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ﴾
		﴿وَإِنْ كَانَ أَصْحَابُ الأَيْكَةِ لَظَالِمِينَ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُبِينٍ﴾
		﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾
		﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾
		﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ﴾

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾		
﴿لا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ وَقُلْ إِنِّي أَنَا النَّذِيرُ الْمُبِينُ﴾		
﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ﴾		
﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾		
﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾		
سُورَةُ النَّحْلِ		
﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾		
﴿يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مِنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاّ أَنَا فَاتَّقُونِ﴾		
﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾		
﴿وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾		
﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ﴾		
﴿وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلا بِشِقِّ الأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾		

﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ يُنْبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾		
﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾		
﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾		
﴿وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾		
﴿وَأَلْقَى فِي الأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ وَعَلامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾		
﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لا يَخْلُقُ أَفَلا تَذَكَّرُونَ﴾		
﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهِ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ﴾		
﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يَخْلُقُونَ أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾		
﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ لا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ﴾		
﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنْ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ		

اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾		
﴿وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾		
﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾		
﴿وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلا آبَاؤُنَا وَلا حَرَّمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلّا الْبَلاغُ الْمُبِينُ﴾		
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهَ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلالَةُ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾		
﴿إِنْ تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مَنْ نَاصِرِينَ﴾		
﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾		

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾[1]		
﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلأَجْرُ الآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾		
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾		
﴿أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لا يَشْعُرُونَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ﴾		
﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾		
﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾		
﴿وَلَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ﴾		
﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ﴾		

[1] سورة النَّحْلِ، الآية .

﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنَ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾		
﴿لِلَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الأَعْلَى وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾		
﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾		
﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَى لا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُفْرَطُونَ﴾		
﴿تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾		
﴿وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾		
﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُسْقِيكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ﴾		
﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾		
﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾		
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ		

﴿لِكَيْ لا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾		
﴿وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَادِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾		
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾		
﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنْ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ شَيْئًا وَلا يَسْتَطِيعُونَ﴾		
﴿فَلا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾		
﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾		
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾		
﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾		
﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾		
﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾		
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثَاثًا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ﴾		
﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ		

		بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾
		﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ الْمُبِينُ يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ﴾
		﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾
		﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾
		﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾
		﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾
		﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾
		﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلا تَنْقُضُوا الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَلا تَكُونُوا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾
		﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾
		﴿وَلا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ

عَظِيمٌ﴾		
﴿وَلا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾		
﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		
﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مَنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾		
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ﴾		
﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةً وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾		
﴿قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾		
﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾		
﴿إِنَّ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾		
﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مَنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾		
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا		

وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾		
﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهُ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾		
﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهُ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهِ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿وَلا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾		
﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ﴾		
﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾		
﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾		
﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾		
﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾		

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾		
﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلّا بِاللَّهِ وَلا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾		

محتويات الكتاب 64 – 61

النّاشر: شركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع
العنوان: إقامة الزّيتونة – III/2 – المنار 2 – تونس – الجمهوريّة التّونسيّة
الهاتف: 71886914 216+
الفاكس: 71886872 216+
العنوان الالكتروني: JomaaAssaad@yahoo.fr
معرّف النّاشر: 02-9938
عدد الطّبعة: الأولى
ت د م ك: 978-9938-02-070-6

© جميع الحقوق محفوظة لشركة كيرانيس للطّباعة والنّشر والتّوزيع